طريق الخلاص

بقلم عوض سمعان

طبعة ثانية دار الثقافة المسيحية القاهرة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

تمهيد

يقدم هذا الكتاب دراسة تحليلية رائعة ، مؤسسة على كلمة الله . موضحة بأسلوب جميل قوى "طريق الخلاص" ، الذي أعده الله لنا بصليب يسوع المسيح.

إن أعظم ما يحتاج إليه العالم المعاصر ، هو أن يعرف طريق الخلاص المجيد، معرفة اختيارية، توضح أمامه معالم السير الى الحياة الأبدية.

ولو أدرك الناس في كل عصر محبة الله العظيم ورغبته الفعالة لخلاصهم ، لاستهانوا بكل المعطلات ، وارتموا فى أحضان الفادى طالبين الخلاص المبارك

لهذا يسر دار الثقافة المسيحية أن تقدم هذا الكتاب القراء اللغة العربية ، مصلية أن يستخدمه الله وسيلة فى خلاص النفوس المحتاجة .

القس صموئيل حبيب

مدير دار الثقافة المسيحية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

مقدمة

الخلاص من الخطية هو أسمى ما تصبو إليه النفوس الطيبة وقد سأل أحدهم مرة قائلا يا سيدى : " ماذا ينبغى أن أفعل لكي أخلص؟ " فكانت الاجابة " آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك " (أعمال الرسل ١٦ : ٢٠ - ٢١) - هذاهو الطريق الذي عينه الله للخلاص من الخطية ونتائجها ، وهو كما نرى طريق واضح كل الوضوح. لكن مما يؤسف له كثيرا أن معظم الذي ينتمون الى المسيحية لا يعرفون هذا الطريق حق المعرفة ، وإن عرفوا شيئا عنه ، فإنهم لا يعرفون هذا الطريق حق المعرفة ، وإن عرفوا شيئا عنه ، فإنهم لا يعرفون ما هو الإيمان الذي يتوقف عليه الخلاص المذكور ، أو أثر هذا الإيمان في النفس ، أو البركات التى يتمتع بها كل من يؤمن إيمانا حقيقيا.

ونظرا لأن هذه الموضوعات على جانب عظيم من الأهمية ، إذ أنها زبدة الكتاب المقدس وخلاصته، رأيت من الواجب أن أتحدث عن كل منها بشيء من التفصيل في كتابي هذا ، وكلي رجاء أن يرافقه المولى بنعمته لأجل مجده وخير الراغبين في خلاصه .

المؤلف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

١

الخطية والسبيل إلى الغفران والتمتع بالله

يجدر بنا قبل التحدث عن " طريق الخلاص" من الخطية ، أن نذكر أولا شيئا عن ماهية الخطية ، وعن الكيفية التي يمكن أن نحصل بها على الغفران والتمتع بالله ، ولذلك نقول :

أولا الخطية وماهيتها

١ - معنى الخطية :

(أ) الخطية (من الناحية الايجابية) ليست هي عمل الشر فحسب ، كما يظن كثير من الناس ، بل إنها أيضا مجرد التفكير فيه أو الميل إليه أو التحدث به ، فقد قال الوحى " فكر الحماقة خطية" ، (امثال ٢٤ : ٩) و " من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه "، (متى ٥ : ٢٨) و " وكل من يبغض أخاه (١) ، فهو قاتل نفس" (يوحنا ٣ : ١٥) . و " كل كلمة بطالة (٢) يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين " (متى ١٢ : ٣٦) . و " من قال يا أحمق يستوجب نار جهنم" (متى ٥ : ٢٢) . ولا غرابة في ذلك ، فهذه الأعمال تدل على انحراف نفس فاعلها عن كمال الله ، وانحراف النفس عن كمال الله هو الخطية بعينها.

ولذلك أوصانا الوحي قائلا " اطرحوا عنكم الكذب لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم ... ليرفع من بينكم كل سخط وغضب ، وكل خبث وكل مكر ، والرياء والحسد ٠٠٠ " (افسس ٤ : ٢١ - ٣١ ، ا بطرس ٥ : ١) ، كما نهانا عن المحاباة (يعقوب ٢ : ١) والكبرياء (١ تيموثاوس ٦ : ١٧) والطمع (كولوسي ٣ : ٥) وغير ذلك من النقائص قائلا لنا :" كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " (متى ٥: ٤٨) و "نظير القدوس الذي دعاكم ، كونوا انتم أيضا قديسين في كل سيرة" (١ بطرس ١ : ١٥) ، لأنه بدون القداسة لن يرى أحد الرب (عبرانيين ١٢ : ١٤) . وقد عرف داود النبي هذه الحقيقة حق المعرفة ولذلك قال مرة لله " لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب صخرتي ووليي " (مزمور ١٩ : ١٤)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

(ب) والخطية (من الناحية السلبية) ، ليست هي التقصير في عمل الخير فحسب ، كما يظن كثير من الناس ، بل انها أيضا الانشغال بأمور الدنيا عن الصلة بالله وتنفيذ مشيئته في هذه الحياة ، لأن الوحي كما قال " فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل ، فذلك خطية له "، (يعقوب ٤ : ١٧) ، قال أيضا "أن محبة العالم (أو بالأحرى الانصراف إليه) عداوة لله " (يعقوب ٤ : ٤) و"أن ط الأشرار يرجعون الى الهاوية ، كل الأمم الناسين الله " (مزمور ٩ : ١٧) - ولا غرابة في ذلك ، فالله ليس فقط صالحا ويطلب الصلاح ، بل أيضا خالقنا وصاحب الفضل علينا ، ومن الواجب أن يكون له المقام الأول في حياتنا ، ولذلك قال الوحي لكل منا " تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك " (لوقا ١٠ : ٢٥).

(ج) كما أن الخاطيء (فى نظر الله) ليس من يعمل خطايا كثيرة فقط ، بل ومن يعمل خطية واحدة أيضا . فقد قال الوحي : " لأن من حفظ كل الناموس ، وإنما عثر فى واحدة ، فقد صار مجرما في الكل . لأن الذى قال لا تزن ، قال أيضا لا تقتل ، فإن لم تزن ولكن قتلت ، فقد صرت متعديا الناموس " (يعقوب ٢ : ١٠ ، ١١) ولذلك لأجل خطية واحدة طرح بعض الملائكة من السماء (٢ بطرس ٢ : ٤) ولأجل خطية واحدة طرح آدم وحواء من جنة عدن (تكوين ٣ : ٢٤) ولأجل خطية واحدة ، حرم موسى من دخول أرض كنعان (تثنية ٣٢ : ٥) . ولأجل خطية واحدة، مات حنانيا وسفيرة فى الحال (أعمال ٥:١ - ١١) فضلا عن ذلك ، فان الخطية تحسب خطية حتى اذا كان المرء لا يعلم أنها خطية ، أو لا يشعر بها عند عملها. لأن الجهل بالقانون لا يبرىء المعتدى عليه، ولأن عدم الشعور بالخطية سهو ، والسهو عن وصايا الله هو خطية ولذلك قال الوحي " ولا تقل قدام الملاك انه سهر" (جامعة ٥ : ٦) .

مما تقدم يتضح لنا أنه إذا عاش إنسان دون أى خطية إيجابية، لكن لم يعمل كل الصلاح الذي يستطيع القيام به ، يكون خاطئا. وإن عمل كل الصلاح الذي يستطيع القيام به، لكن أخطأ خطية واحدة عن طريق الجهل أو السهو، يكون خاطئا كذلك ، وإن لم يخطىء هذه الخطية مطلقا ، لكن لم يحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قدرته ومن كل فكره ، يكون خاطئا أيضا - وإذا كان ذلك كذلك ، فلا عجب إذا وصف الوحي الإنسان عامة بالقول ان " تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم " (تكوين ٦ : ٥) . وان قلبه " أخدع من كل شيء وهو نجيس" (ارميا ١٧ : ٩)٠ وان " كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم ، من

أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة ، بل جرح وأحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت " (١) (إشعياء ١:٦) . كما وصف الناس جميعا بالقول " ليس بار ولا واحد (٢) ، ليس من يفهم ليس من يطلب الله ، الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحا (٣) ، ليس ولا واحد " (رومية ٣ : ١٢ - ١٨) . كما قال " لأنه لا فرق" (٤) ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله " (رومية ٣ : ٢٢ ، ٢٣) . ولذلك صاح داود النبى مرة لله قائلا " لا تدخل في المحاكمة مع عبدك ، فإنه لن يتبرر قدامك حي " (مزمور ١٤٣ : ٢).

٢ - خطورة الخطية :

إن الاعتقاد السائد بين معظم الناس هو ، أن من يفعل الخطية يسيء الى نفسه أو الى غيره من الناس فحسب ، لكن الحقيقة الواقعة هي أنه يسىء بها الى الله قبل كل شيء آخر ، لأن الله هو الذي نهى عنها لتعارضها مع طبيعته ومع الكمال الذى يريد أن يراه في خلائقه العاقلة . فقد قال الوحي عن الله أنه لا يطيق الإثم (اشعياء ١: ١٣) وإن عينيه أطهر من أن تنظرا الشر(حبقوق ١: ١٣) . ولذلك فإن من يفعل الخطية (علم أم لم يعلم) يرفض شريعة الله (ارميا ٦ : ١٩) وينقض عهده (يشوع ٧ : ١١) ، ويتمرد على شخصه (هوشع ١٣ : ١٦) ، ويسلبه حقوقه (ملاخى ٣ : ١٨) ، ويفسد أمامه (نحميا ١: ٧)، ويحتقر اسمه وينجسه أيضا (ملاخى : ٦) ، (حزقيال ٣٦: ٢٠)

٣ - مصدر الخطية :

(أ) يتضح من الكتاب المقدس أننا جميعا ورثنا من آدم الأول طبيعته التي تميل إلى الخطية . فقد قال الوحي " بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية ٥ : ١٢ - ٢١) . ولا غرابة في ذلك فخطية آدم لم تكن اصابة فى جسده حتى كانت لا تنتقل نتائجها إلينا بل كانت اصابة في نفسه بعينها . كما أن هذه الاصابة لم تكن اصابة هيئة ، بل اصابة غيرت اتجاه نفسه تغييرا كليا (إذ بعد أن كانت في براءتها لا تهوى الا خالقها ولا تعمل إلا ما يريده ، أصبحت تتجه الى الجسد والعالم وتعمل ما نهاها الله عنه) ، واصابة مثل هذه تنتقل طبعا من الأب الى أبنائه كما تنتقل العلل النفسية الخطيرة تماما .. وقد شهد داود النبي عن انتقال الخطية (أو بالحرى الطبيعة الخاطئة) إليه بالوراثة فقال " بالإثم صورت ، وبالخطية حبلت أمي" (مزمور ٥١:٥).

(ب) والاختبار يؤيد هذه الحقيقة كل التأييد ، فنحن نرى أنه كثيرا ما تبدو على

الأطفال امارات الأنانية والكبرياء ومحبة الذات . والحسد والطمع والعناد . كما أنهم كثيرا ما يسطون على ممتلكات الغير و يتشاجرون معهم ، مدفوعين في ذلك كله بغرائز (١) كامنة في نفوسهم، الأمر الذي يدل على أن الطبيعة الخاطئة تولد مع الانسان . كما يولد السم مع الثعبان . وكل ما هنالك أنها لا تظهر بأعمالها الشنيعة إلا إذا تهيأت لها الفرص المناسبة للظهور وطبعا لا عبرة بالقول إن تصرفات الأطفال المذكورة هى مجرد نقائص ، أو أن الأطفال لا يدركون أن تصرفاتهم هذه هى خطايا ، لأن النقائص خطايا ، وعدم إدراك الخطايا لا يقلل من كونها خطايا (٢) .

٤- سلطان الخطية على النفس :

(أ) وسلطان الخطية على النفس (كما نعلم) سلطان قاس وقد شهد بهذه الحقيقة رسول عظيم ، فقال عن نفسه قبل استثمارها الكامل لنعمة الله " أني أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى في جسدي ، شيئ صالح لأن الارادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. "لأني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل .... فإني أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن ، ولكن أرى ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن في أعضائي." ويحي أنا الإنسان الشقي ، من ينقذني من جسد هذا الموت ؟ " (رومية ٧ : ١٨ - ٢٢) .

(ب) فالإنسان لانتقال الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة ، وتسلطها على كيانه تبعا لذلك، لا يستطيع بمجهوده الذاتي أن يتحرر منها أو يرتقى فوقها . ولذلك نرى أنه إذا تعهد يوما بالإقلاع عن الخطية ، وبذل كل ما لديه من جهد في سبيل تنفيذ تعهده هذا ، كثيرا ما يغلب على أمره. فإن لم يفعل الخطية فى الظاهر ، فقد يفكر فيها ويشتهيها في الباطن ، ومن ثم يعود من حيث أتى . لذلك فمثل الإنسان في مقاومة الخطية مثل الماء الذي لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يرتفع الى مستوى أعلى من المستوى الذي هبط منه في أول الأمر، كما نرى (مثلا) في تجارب الأوانى المستطرقة . أو مثل الطائر الذي يسعى الى الانطلاق نحو السماء وهو محبوس في قفصه ، فإنه مهما حاول وجاهد يرتد خائبا الى قاع القفص . والنبى الذى أدرك عجز البشر عن التحرر من الخطية من تلقاء أنفسهم بسبب ولادتهم بها ، صاح مرة قائلا " هل يغير الكوشي (١) جلده ، أو النمر رقطه ؟! فأنتم أيضا (هل تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر أو بالحرى المطبوعين على الشر)؟ (ارميا ١٣ : ٢٣) .

٥ - نتائج الخطية:

فضلا عن أن للخطية نتائج خاصة تحل على فاعليها وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه ، فانه بالنسبة الى قضاء الله العام ، لها النتائج الخطيرة التالية :

(أ) الموت الأدبي :

وهذا الموت هو العجز عن السلوك بالقداسة والكمال ، فقد قال الرسول عن الخطية قبل إيمانه بالمسيح ، انها خدعته وقتلته (رومية ٧ : ١١) ، وانها عاشت فمات هو (رومية ٧ : ٩) ، كما قال للمؤمنين عن حالتهم قبل الإيمان " وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا " (أفسس ٢ : ١) .

(ب) الموت الجسدى : والموت الجسدى الذى ترتعد منه فرائصنا وتخور أمامه عزائمنا ، هو النتيجة الثانية للخطية . فقد قال الله لآدم بعدما أخطأ " لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تكوين ٣ : ١٩) (٢) .

(ج) الموت الثاني : والموت الثانى أو العذاب الأبدى هو النتيجة الثالثة للخطية . فقد قال الوحي " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت (١) ، الذي هو الموت الثاني" ، (رؤيا ٢١: ٨). كما قال " ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين" (رؤيا ١٤:٢١) والموت الثانى (أو العذاب الأبدي) هو القصاص العادل الذي يستحقه البشر بسبب خطاياهم و إساءتهم الى الله ، لأن القصاص يكون دائما أبدا متناسبا تناسبا طرديا مع قدر الشخص المساء اليه .

مما تقدم يتضح لنا أن الخاطىء من الناحية الأدبية ليس فقط شخصا عاجزا عن السلوك بالقداسة والكمال بل انه أيضا شخص ميت بالذنوب والآثام ولذلك فإنه لا يحتاج فقط إلى وعظ و ارشاد كما يظن بعض الناس ، بل يحتاج قبل كل شيء الى حياة إلهية تسمو به الله فوق ناموس الخطية الذي يسيطر عليه ، وتجعله أهلا للتوافق مع في صفاته العلوية السامية . كما أن العقوبة التي يستحقها بسبب خطاياه ليست عقوبة هينة تظل فترة من الزمن، حتى كان من الممكن أن يتجنبها بل انها عقوبة لا نهاية لشدتها أو مدتها ، الأمر الذي بتعويض ما ، يتعذر معه على الإنسان أن يجد من تلقاء ذاته سبيلا للنجاة منها.

ثانيًا - السبيل إلى الغفران والتمتع بالله

- ١عدم إمكانية الحصول على الغفران والتمتع بالله بواسطة الأعمال الصالحة :

(أ) بما أن الصوم والصلاة والتوبة والصدقة ومعها كل الأعمال الصالحة التي يمكن للإنسان أن يأتيها ، لا تستطيع أن ترد الى حق الله الذي أسأنا إليه بسبب خطايانا ، قدسيته وكرامته بالدرجة التي يصبح معها كأنه لم يساء إليه على الإطلاق، لأن هذه الأعمال (أولا) ليست فضلا منا نسديه إلى الله ، حتى يمكن أن تحسب تعويضا عن خطايانا بل انها واجب ان قصرنا في أدائه نكون خطاة أمام الله كما ذكرنا فيما سلف (ثانيًا) انها لصدورها من نفوس مطبوعة على الخطية ، كثيرا ما تكون ملوثة بجراثيم الفخر والتباهي .. أو البخل والتقتير ، أو الرغبة في مصلحة ذاتية كالحصول على ثواب أو النجاة من عاقب ، الأمر الذي يجردها من كل صلاح حقيقى (١) (ثالثًا) ، أننا مهما أكثرنا من هذه الأعمال تكون محدودة في قدرها ، بينما حق الله الذي أسأنا إليه بسبب خطايانا لا حد لقدره ، والأشياء المحدودة فى قدرها لا تستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد لقدره. وبما أن الله لكماله المطلق لا تطغى فيه صفة على صفة أخرى، لذلك فإنه مع ما يتصف به من رحمة لا يمكن أن يصفح عن الخطاة لمجرد قيامهم بالأعمال الصالحة ، لأنها كما ذكرنا لا تحقق مطالب عدالته على الاطلاق . وقد شهد الوحي بهذه الحقيقة فقال الرب إله رحيم ورؤوف.... ولكنه لا يبرئ ابراء " (خروج ٣٤: ٦-٧).

(ب) ومن ناحية أخرى ، بما أن الأعمال الصالحة السابق ذكرها لا تستطيع أن تقضى على الخطية الكامنة فينا ، لأنه في أثناء القيام بهذه الأعمال قد تصدر منا خطايا بالفكر والقول والعمل . وبما أن الله لكماله المطلق لا تطغى فيه صفة على صفة على صفة أخرى كما ذكرنا ، لذلك فإنه مع ما يتصف به من محبة ، لا يمكن للخطاة لمجرد قيامهم بالأعمال الصالحة أن يتمتعوا به أو يوجدوا فى حضرته ، لأن هذه الأعمال لا تجعلهم كاملين أو قديسين بالدرجة التى تتناسب معه ولذلك قال الوحي إن الشرير لا يساكن الله (مزمور ٥ : ٤) .

والحق أنه لا غرابة فى النتيجة التى وصلنا إليها ، لأننا نرى أنه إذا ارتكب إنسان جريمة يستحق بسببها حكم الإعدام ، ثم ندم بعد ذلك على جريمته كثيرا ، أو انقطع عن الطعام والشراب أمدا طويلا ، أو تعهد بعدم العودة إلى الإجرام مستقبلا ، أو أعطى كل ما يقتنيه من مال للفقراء والمساكين ، فإن هذه الأعمال مجتمعة لا تكون مبررا كافيا يدعو القاضي مهما كان رحومًا عطوفًا ، إلى العفو عنه وتبرئة ساحته .

(ج) أما الدعوى بأن القاضى مقيد بقوانين يجب أن يطبقها ، رله رؤساء يراقبون أحكامه ، لكن الله لا يتقيد بقوانين ولا يراقب عمله رؤساء ، ولذلك يمكنه أن يصفح عن الخطاة الذين يندمون على خطاياهم. ويتقدمون إليه بالصلاة والصوم والصدقة فلا يجوز الأخذ بها ، لأن الله وإن كان لا يتقيد بقوانين ولا يراقب عمله رؤساء ، لكن له كماله الذاتي الذي ينزهه عن القيام بأي عمل لا يتفق مع هذا الكمال ، ولذلك لا يمكن أن يصفح عن الخطاة أو يقربهم إليه لمجرد قيامهم بالأعمال الصالحة للأسباب السابق ذكرها.

كما أن الدعوى بأن خطايانا مهما كانت شنيعة لا تمنع الله من الصفح عنا وتقريبنا إليه ، لأن رحمته ومحبته لا حد لهما ، لا يجوز الأخذ بها أيضا ، لأنه ان كانت رحمة الله ومحبته لا حد لهما ، فإن عدالته وقداسته لا حد لهما كذلك ، اذ أن من دواعي كمال الله أن يكون عادلا بقدر ما هو رحوم ، وأن يكون قدوسا بقدر ما هو محب . ولذلك لا يمكن أن تطغى رحمته على عدالته ، أو محبته على قداسته بأي حال من الأحوال كما ذكرنا فيما سلف .

٢ - توقف " الحصول على الغفران والتمتع بالله "على تحقيق الله لمطالب عدالته وقداسته عوضا عنا :

(أ) بما أنه لا يمكن الصفح عنا وتقريبنا إلى الله إلا إذا تحققت أولا مطالب عدالته وقداسته التى لا حد لها ، وبما أنه إذا تحققت هذه المطالب فينا ، فإننا نقضي أبديتنا بعيدا عن الله فى شقاء لا نهاية له ولا تبقى أمامنا فرصة للتمتع بالغفران أو الاقتراب من الله ، لذلك ان كان هناك مجال للتمتع بهذين الإمتيازين (ومن المؤكد أن يكون هناك مجال لذلك ، لأن وجود المحبة والرحمة فى الله لا يمكن أن يكون باطلا) لا بد أن يحقق شخص فى نفس مطالب عدالة الله وقداسته عوضا عنا . ومبدأ النيابة مبدأ قانونى سليم ، فالضامن مثلا يقوم بدفع الديون نيابة عن المدينين في حالة عجزهم عن دفعها. والأب الفاضل يتحمل بنفسه نتائج أخطاء أبنائه بدلا عنهم ، والجندى الباسل يبذل نفسه عوضا عن أهله وبلاده - وليس هناك من يعترض على واحد من هؤلاء ، بل اننا جميعا نجلهم ونشيد بمحبتهم ونبلهم.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك ، فمن يا ترى هو الشخص المحب النبيل الذي يستطيع أن يحقق عوضا عنا مطالب عدالة الله وقداسته التي لا حد لها ؟ (الجواب) بما أن الذى يحقق هذه المطالب يجب أن يكون شخصا لا حد لقدرته أو مكانته ، لأن الشخص المحدود لا يستطيع أن يحقق مطالب لا حد لها ، وبما أن الله وحده هو

الذي لا حد لقدرته أو مكانته إذا لا شك أنه وحده هو الذى يستطيع أن يحقق هذه المطالب، وبذلك يكون هو النائب أو الفادى الذى نحتاج نحن جميعا إليه في أمر خلاصنا من الخطية ونتائجها - وقد شهد بهذه الحقيقة جميع أنبياء الله ورسله في العهدين القديم والجديد . ففى العهد القديم قال موسى النبى لله " ترشد برأفتك الشعب الذي فديته " (خروج ١٥: ١٣) . وقال داود النبى " الرب فادي نفوس عبيده " (مزمور٣٤ : ٢٢) . وقال إشعياء النبي " فادينا رب الجنود اسمه " (إشعياء ٤٧ : ٤) . وقال الله على لسان هوشع النبى " من يد الهاوية أفديهم " (هوشع ١٣: ١٤) وفي العهد الجديد قال بولس الرسول عن الله أنه " خلصنا من خطايانا " ودعانا دعوة مقدسة

(٢ تيموثاوس ١:٩) . وقال يهوذا الرسول عنه أنه " الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" (يهوذا ١ : ٢٥)، وقال بطرس الرسول إن الله يخلصنا الآن (١بطرس ٣ : ٢١) . وقال يوحنا الرسول إن الله " يطهرنا من كل إثم " (١ يوحنا ١ : ٩).

(ج) وفداء الله لنا ، أو بالحرى احتماله لنتائج خطايانا (بطريقة ما) عوضا هنا ، قبل أن يغفرها لنا ، أمر لا يختلف فيه اثنان لأننا نرى أنه إذا ساء عبد (مثلا) الى سيده إساءة شنيعة ، فإن سيده له أن يعاقبه وله أن يعفى عنه . فإن أبت نفسه أن تتحمل اساءة العبد عاقبه كما يشاء لكن إن رضيت نفسه أن تتحمل هذه الاساءة عطفا منها على العبد ، فإنه يعفو عنه . وهكذا يكون موقف الله إزاءنا ، إذا أراد أن يعاقبنا أو يعفو عنا.

(د) والكتاب المقدس مليء بالآيات التي تدل على أن الله يعطف علينا ويحبنا محبة لا حد لها ، الأمر الذى يدل على أن تكفيره عنا بنفسه يتوافق مع علاقته بنا كل التوافق ، فقد جاء فى العهد القديم أن لذات الله هي مع بني آدم (أمثال ٨ : ٣١)، وأن المؤمنين أعزاء ومكرمون لديه (إشعياء ٤٣ : ٤) وأنه بمحبة أبدية أحبهم ولذلك أدام لهم الرحمة (أرميا ٣١ : ٣٠) . وأنه بمحبته ورأفته فكهم (إشعيا ٦٣: ٩) وأنه أحبهم ليس لصلاح فيهم بل أحبهم فضلا (هوشع ١٤ : ١٤) وجاء فى العهد الجديد أن مسرة الله هي في الناس (لوقا ٢ : ١٣) . وأنه فى ذاته محبة (١ يوحنا ٤ : ٨) . ونظرا لأن المحبة لا تشع سوى محبة ، قال الوحي عن الله إنه أحب العالم بأسره (يوحنا 3 : ١٦) ، أما من جهة المؤمنين فقد قال إن الله أحبهم بمحبة كثيرة (أفسس ٢ : ٤) وأن محبته لهم لا حد لها

(يوحنا ١٣: ١).

٢- أحقية فداء الله للبشر بنفسه : يتضح لنا مما سلف أن فداء الله لنا يتوافق مع صفاته وعلاقته بنا كل التوافق ، الأمر الذي لا يدع مجالا لأى اعتراض نزيه على قيامه تعالى بهذا الفداء ، لكن لأهمية هذه الحقيقة نستعرض فيما يلى اعتراضات المعترضين ، ثم نرد على كل منها بقدر ما يتسع المجال.

(أ) كيف نعلم أن الله يريد أن يفتدينا أو يكفر بنفسه عنا ؟ الرد : بما أن الله لم ينفذ حكم الموت فى آدم بعد سقوطه في الخطية مباشرة بل أبقاه حيا ، وبما أنه ليس من المعقول إزاء كمال الله. أن يكون قد أبقاه حيًّا لكى يلد ملايين البشر للشقاء الأبدي ، اذا فعدم قضاء الله على آدم بعد سقوطه ، دليل على أنه لا يريد هلاك البشر بل خلاصهم . وبما أن خلاصهم لا يتحقق إلا بفداء الله لهم بنفسه ، إذا فمن المؤكد أنه أراد أن يقوم بهذه المهمة منذ القديم.

(ب) إذا كان لا بد من الفداء ، فهل يعجز الله عن خلق شخص يقوم بهذه المهمة نيابة عنه ؟

الرد : بما أنه لا يستطيع فدائنا إلا الله كما ذكرنا ، وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصا نظيره ، لأن المخلوق يكون محدثا ، والمحدث لا يكون مثل الأزلى ، اذا ليس هناك كائن غير الله يستطيع . كما أننا لو فرضنا جدلا أن الله خلق القيام بفدائنا والتكفير عنا شخصا نظيره ليقوم بهذه المهمة ، يكون قد ظلم هذا الشخص وعاقبه بأفظع عقوبة دون ذنب جناه . أما إذا قام تعالى بفدائنا بنفسه، لا يكون قد ظلم أحدا أو قسا عليه ، بل يكون قد أظهر منتهى الرحمة والمحبة لنا ، الأمر الذي هو خليق به.

(ج) إن افتداء الله لنا بنفسه يفرض عليه التأثر، والتأثر يدل على التغير ، والحال أن الله لا يتغير . فضلا عن ذلك ، فإن قيامه بفدائنا بنفسه لا يتفق مع عظمته

وجلاله على الاطلاق.

الرد : من المعلوم لدينا أن كل علاقة بين طرفين يترتب عليها حديد تأثير فى كل منهما . وإذا كان ذلك كذلك ، فإننا إن نفينا التأثر عن الله نكون قد نفينا وجود علاقة له بنا ، وهذا ليس بصواب لا من الناحية الدينية أو العقلية . ولذلك لا ندحة من التسليم بأن الله يتأثر (على نحو ما) بسبب علاقته بنا ومحبته لنا ،غير أن تأثره بسبب هذين العاملين وما يترتب عليهما من قيامه بفدائنا ، لا يؤدى إلى حدوث تغير في ذاته ، لأنه تعالى كان يعلم كل شيء عنا قبل أن يخلقنا ولذلك من المؤكد أن رغبته في أن يفدينا بنفسه كانت لديه قبل أن يخلقنا ، أو بالحرى كانت لديه منذ الأزل الذي لا بدء له . ومن ثم فإنه عندما أخطأنا في الزمان، وتطلب الأمر أن يفتدينا بنفسه ، لم يجد عليه جديد يدعو الى حدوث تغير في ذاته أن يكون فقط قد عمل ما قصد أن يعمله أزلا . كما أن افتدائه لنا بنفسه لا يتعارض مع عظمته على الإطلاق ، لأن العظمة ليست في الكبرياء بل في الوداعة والتواضع ، وليست في الأثرة بل في الإيثار والسخاء وليست في الأنانية بل في البذل والتضحية.

(د) ما الذي يلزم الله بافتدائنا ، وهو ليس تحت التزام بأي معنى من المعاني ؟

الرد : طبعا ليس هناك شيء في الوجود يمكن أن يلزم الله بالقيام بعمل من الأعمال، لأنه ليس هناك من له أدنى نفوذ عليه ، بل إنه (أي الله) يقوم بكل عمل من أعماله بمحض اختياره ومشيئته . ولذلك من البديهي أن يكون الباعث الوحيد له على افتدائنا بنفسه ، هو كماله المطلق وتوافق جميع صفاته معا كما ذكرنا.

٤ - ظهور الله في المسيح لإعلان فدائه لنا وتأهيلنا للتمتع به إذا وضعنا أمامنا أن الله يحبنا محبة لا حد لها كما ذكرنا فيما سلف ، وأن محبة مثل هذه لا يمكن أن تجعله مفارقا لنا أو منفصلا عنا ، بل تدعه يشق لنفسه طريقا من اللامحدودية إلى المحدودية مع بقائه غير محدود في ذاته (١)، كما تدعه يقترب منا ويعلن فداءه لنا على نحو تدركه عقولنا وتطمئن له قلوبنا ، أدركنا فى خشوع وورع أن الله لكي يقوم بهذين العملين يمكن أن يظهر لنا فى انسان (٢) خاص (يكون طبعا خاليا من الخطية خلوا تاما) ، لأن في مثل هذا الانسان يمكن أن يعلن الله ويمكن أيضا أن يكون فيه نائبا لنا ذاته بوسيلة نستطيع أن ندركه بها عنا يتحمل خطايانا بكل نتائجها . ولذلك إذا رجعنا الى الكتاب المقدس نراه يعلن لنا أن الله ظهر في الإنسان يسوع المسيح (١تيموثاوس : ١٦) لكى يخلصنا من خطايانا و يؤهلنا

للتوافق معه والتمتع به ، فهو يسجل لنا ما يأتي :

(أولا) أن المسيح من الناحية الباطنية هو صورة الله غير المنظور (٣) (كولوسي ١ : ١٥) وأنه " الكلمة (٤) " الذي كان في البدء عند الله ، وكان فى الوقت نفسه هو الله (٥) (يوحنا ١ : ١ - ٣). وأنه الابن (١) الوحيد الكائن في حضن الآب منذ الأزل (يوحنا ١ : ١٨) ، وأنه الكائن على الكل الها مباركا الى الأبد (رومية : ٥) - وولادة المسيح من عذراء (متى ١ : ١٨) ، وعصمته من الخطية (يوحنا ٨ : ٤٦) وسلطانه المطلق على الطبيعة وما وراء الطبيعة (متى ٨ : ٢٦ ، يوحنا ١١ : ٤٤ - ٤٥) ، ومغفرته للخطايا (لوقا ٧ : ٤٨) ، وقبوله السجود من البشر (لوقا ٢٤ : ٥٢) ، وتنزهه عن المكان والزمان (متى ١٨ : ٢٠) ، ومعرفته بالغيب (لوقا ٢٢ : ١٠) ، كل هذه تؤيد أنه وإن كان انسانا فى الظاهر ، إلا أنه كان في الباطن هو كلمة الله أو ابن الله ، أو بالحرى كان هو الله معلنًا وظاهرًا، كما ذكرنا.

(ثانيا) إن المسيح رضي بمحض اختياره أن يقدم نفسه كفارة عنا (١) فقد قال عن نفسه " أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف " (يوحنا ١٠:١١) ، كما قال " إن ابن الانسان جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك (متى ١٨:١) وأنه " لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مرقس ١٠ : ٤٥) ولذلك شهد أنبياء الله ورسله فى العهدين القديم والجديد عن المسيح أنه الفادي الذي يكفر بنفسه عن البشر مثلما شهدوا عن الله تماما . ففي العهد القديم قال إشعياء النبي عن المسيح " ويأتي الفادي الى صهيون " كما قال عنه " وهو مجروح لأجل معاصينا ، (إشعياء ٥٩ : ٢٠) مسحوق لأجل آثامنا " (إشعياء ٥٣ : ٥) . وقد أعلن يوحنا المعمدان هذه الحقيقة أيضا فقال عنه أنه " حمل الله الذى يرفع خطية العالم (يوحنا ١ : ٢٩) . وفى العهد الجديد قال بولس الرسول عن المسيح أنه بذل نفسه فدية " (١ تيموثاوس ٢ : ٦) . وإن "لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا " (افسس ١ : ٧) . وقال بطرس الرسول للمؤمنين عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى ٠٠٠ بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، معروفا سابقا قبل تأسيس العالم " (١ بطرس ١ : ١٥ - ٢٠).

ولذلك فالآلام التي قاساها المسيح على الصليب لم تكن محصورة في الآلام الجسدية التي وقعها اليهود والرومان عليه ، بل كانت مع هذه الآلام ، آلام نفسية لا حد لها ، هى آلام الكفارة التي تحملها نيابة عنا بسبب خطايانا . ولذلك كان

يحزن ويكتئب قبل الصليب ، كما صرخ صرخة داوية عندما كان معلقا عليه ، وقال لله " إلهي إلهي لماذا تركتنى (٢) " ، الأمر الذى لم يفعله واحد من القديسين الشهداء الذين يقلون عنه كثيرا في الشجاعة والصبر و الاحتمال - وقد ظل على الصليب محتملا هذه الآلام حتى حقق كل مطالب عدالة الله ، لأنه لم ينزل عنه حتى قال هذه الكلمة الخالدة " قد أكمل " (يوحنا ١٩ : ٣) . وقد تأيد صدق قوله هذا بأدلة منظورة ومحسوسة ، فقد انشق حجاب الهيكل الذي كان يفصل بين الله وبين الناس بسبب خطاياهم (متى ٢٧ : ٥١) ، وتمام هو من بين الأموات فى اليوم الثالث (يوحنا ٢٠ : ٢١) ، كما صعد بعد ذلك الى السماء على مرأى من شهود كثيرين (أعمال ١ : ٩) .

(ثالثا) إن المسيح حقق أيضا مطالب قداسة الله من جهتنا لأنه أعطانا حياته الأبدية، وبهذه الحياة يمكننا أن نرتقى فوفق قصورنا الذاتي وأن نتوافق مع الله كل التوافق فقد قال عن رعيته " وأنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك الى الأبد" (يوحنا ١ : ٢٨) ، كما قال عن نفسه " وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل "(يوحنا ١٠ : ١٠) . وقد اختبر المؤمنون به هذه الحياة فى نفوسهم ، فقال بولس الرسول (مثلا) " لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت " (رومية ٨ : ٢) وقال أيضا " مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ " (غلاطية ٢ : ٣٠) ، وأيضا " أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني " (فيلبي ٤ :١٣).

وبما أن المسيح حقق مطالب عدالة الله وقداسته (أو بالحرى حققها الله فى شخصه) ، إذا لا يتطلب الأمر منا للحصول على النجاة من قصاص الخطية وتأثيرها الباطني على نفوسنا (أو بالحرى للحصول على الغفران والتمتع بالله) سوى أن نؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًا ، كما سيتضح بالتفصيل فيما يلي من فصول.

---

(١) " الأخ " هنا ، ليس من تربطنا به رابطة عائلية ، بل هو الرفيق في الانسانية

(٢) الكلمة البطالة لا يراد بها الكلمة البذيئة فحسب (كما يظن بعض الناس) ، بل يراد بها ما هو أدق من هذا المعنى ، اذ يراد بها الكلمة العاطلة ، أو بالحرى التى

لا تعمل عملا نافعا ، لأنها مشتقة من البطالة ،،، والبطالة عدم العمل.

---

(١) تعبيرات مجازية يراد بها أن الخطية ضربت أطنابها في الإنسان ، حتى أفسدت كل كيانه.

(٢) أما قول الوحى عن نوح أنه كان رجلا بارا وكاملًا في أجياله (تكوين ٦: ٩) وعن أيوب أنه كان رجلا كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر(أيوب ١ : ١) ، وعن زكريا وامراته أنهما كانا بارين (لوقا ١ : ٦) ، فلا يراد به أنهم كانوا بلا خطية على الإطلاق ، لأن الكتاب المقدس يسجل لكل منهم خطية خاصة (تكوين ٩: ٢١ وأيوب : ١ ، ٣٠ : ١ ومتى١ : ١٨ - ٢٠)، بل يراد به أنهم كانوا يحاولون ارضاء الله فى أعمالهم كما كانوا يسرعون الى تقديم الذبائح الكفارية إليه عن كل خطية يفعلونها ، كما يتضح (مثلا) من (أيوب ١:٥)

(٣) الصلاح ، هو عمل الخير دون انتظار الجزاء أو ثواب ، ولذلك فانه لا يتوافر الا فى الله (لوقا ١٨ : ١٩) .

(٤) اعتاد الناس أن يفرقوا بين إنسان وآخر، فيقولون (مثلا) إن هذا الإنسان أفضل من ذاك ، ولكن ليس هذا هو الحال في نظر الله ، لأن الكل خطاة أمامه ، إذ انه ليس هناك واحد منهم لم يفعل خطية واحدة في حياته، ومن يفعل خطية واحدة يكون خاطئا.

---

(١) الغرائز في ذاتها ليست خطية . لأن الله هو الذي أودعها في الإنسان لأجل خيره وفائدته في هذه الحياة ، وإنما الخطية هي اساءة استخدام الغرائز باستعمالها في غير ما أودعها الله لأجله.

(٢) أما الاعتراض (وما ذنب البشر الذين ولدوا من آدم رغما عنهم ؟) فلا مجال له على الاطلاق ، اذ فضلا عن أنه لو كان شخص آخر قد وجد مكان آدم ، لكان قد فعل مثلما فعل آدم تماما ولأصبح كل نسله خطاة أيضا مثله ، فقد أعلن الله أنه كما انتقلت الخطية الينا دون ذنب جنيناه ، يأتى الينا الخلاص منها دون أى مجهود من جانبنا ، كما يتضح مما يلي في هذا الفصل.

---

(١) الكوشى هو الزنجي أو الحبشي (٢) أما لو كان آدم قد أطاع الله، لكان الله قد

حفظه من الموت والدليل على ذلك أنه كان قد وضع فى جنة عدن شجرة أطلق عليها شجرة الحياة ، وكان من خصائص هذه الشجرة أن من يأكل منها لا يموت (تكوين ٣ : ٢٢).

ويرجع السبب في ذلك ليس الى سر كامن فيها ، بل الى انها كانت رمزا الى المسيح (رؤيا ٢ : ٧) ، الذي يهب حياة أبدية لكل من يأكل روحيا منه (يوحنا ٦: ٥١) . وطبعا لم يسمع الله لآدم بالأكل من هذه الشجرة بعد سقوطه في الخطية (تكوين ٣ : ٢٢ - ٣٣) لئلا يحيا الى الأبد في خطاياه ، فيكون ذلك وبالا عظيما عليه.

---

(١) النار المذكورة هنا ليست نارا مادية لأن المادة (بالمعنى العام المصطلح عليه بيننا) ليس لها وجود فى الأبدية ، لكن من المؤكد أنها ستكون أكثر إيلاما من النار المادية للأسباب المذكورة أعلاه .

---

(١) ولذلك قال نبي مشهور " كثوب عدة (وهو الثوب الملطخ بالأقذار والادناس) كل أعمال برنا (وليس اعمال شرنا فحسب) ، (اشعيا ٦٤ : ٦) . وإن كانت هذه الحقيقة تبدو غريبة فى نظر بعض الناس ، لكن الذين سمت مداركهم استطاعوا أن يدركوها كما أدركها هذا النبي من قبل. فقد قال كيركجارد فيلسوف الوجودية " أن أفضل ما لدينا من أعمال ، مثل أسوأ ما لدينا منها ، يحتاج الى غفران الله ".

---

(١) ولا غرابة في ذلك ، فنحن نعلم أن وجود الله مع جماعة في وقت ما ، لا يمنع وجوده مع جماعة غيرها في نفس هذا الوقت ، لأن الله لا يتحيز بحيز على الاطلاق

(٢) ولا غضاضة فى ذلك لدى الله على الإطلاق ، فالإنسان هو أقرب الخلائق وأحبهم إليه . وقد خلقه من الناحية الأدبية والروحية على صورته كشبهه

(تكوين ١ : ٢٧) ، وجعل الملائكة خداما له (عبرانيين ١ : ١٤) كما أن آثار الإنسان فى العالم تدل على أنه أسمى من كل الكائنات عقلا وإدراكًا.

(٣) بما أنه لا يمكن أن يعلن الله اعلانا كاملا سوى الله ، لأنه غير محدود وكل

ما عداه محدود ، والمحدود لا يستطيع أن يعلن غير المحدود إعلانًا كاملًا ، لذلك فالكائن الذي يدعى "صورة الله " هو الله أو الله معلنا - ومن البديهي أن تكون لله "صورة" على نحو ما ، لأنه وان كان لا حد له فى ذاته، غير أنه ليس كائنا مبهما أو غامضا ، وكل كائن غير مبهم أو غامض له " صورة" تعلنه وتظهره.

(٤) هذا اللفظ يرد في الأصل اليوناني " لوغوس" ، واللوغوس يراد به المعلن لله ، أو كما يقول الفلاسفة " العقل الإلهى المدبر للكون"

(٥) إن المسيحية مع إعلانها أن الله واحد فى ذاته ، تعلن أنه ثلاثة أقانيم هم "الأب والابن والروح القدس" الأمر الذي يدل على أنه كانت لله علاقة بينه وبين ذاته أزلا - وطبعا لولا ذلك لكانت صفات الله عاطلة أزلا ثم صارت عاملة عندما خلق الكائنات ودخل في علاقة معها ، ولكان قد تعرض للتغير والتطور تبعا لذلك، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب " الله - بين الفلسفة المسيحية ".

(١) كلمة " ابن" في الاصطلاح " ابن الله" ، لا يراد بها المعنى الحرفي بل المعنى المجازي ، إذ يراد بها " الكائن الذي يعلن الله غير المنظور" . فقد قال الوحي " الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر " (يوحنا ١ : ١٨)، وقال المسيح عن نفسه " من رآني فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤:٩). وبما أنه لا يعلن الله الا الله وحده لأنه تعالى لا نظير له على الإطلاق، لذلك فالكائن الذي يدعى "ابن الله " هو ذات الله معلنًا وظاهرًا . وهذا الاصطلاح يشبه كل الشبه الاصطلاح " ابن الانسان ، الذي يطلق أيضا على المسيح ، فإنه لا يراد به أن المسيح هو ابن رجل ما ، بل يراد به الإنسان عامة - أو بالحرى الإنسان في الحالة التي يريدها الله ، وهذه الحالة كما نعلم هي حالة التوافق الكلي معه .. وفى اللغة العربية تستعمل كلمة " ابن" بهذا المعنى تقريبا ، فنحن نقول "بنات الفكر" بمعنى (الفكر واضحا وجليا) . وهكذا الحال في اللغة العبرية فإن المراد بالاصطلاح " بنت شعبى" (أرميا ٨: ١١) الشعب نفسه، والمراد بالاصطلاح " ابنة متبددى" (صفنيا ١ : ١٠) تبددون أنفسهم ، ولذلك ورد فى الترجمة الانجليزية The daughter of my 'disperspersed - وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب " الله ذاته ونوع وحدانيته ".

---

(١) هذا ملاحظة أن المسيح فى ذاته كان غير قابل للموت ، لأنه مع كان خاليًا من الخطية التي تجلب الموت . ولذلك قال مرة عن نفسه " ليس أحد يأخذها مني

بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضا " (يوحنا ١٠ : ١٨) .

(٢) لا يراد بهذه العبارة أن الله هجر المسيح ، بل يراد بها أن الله جعله يتحمل الخطية بكل شناعتها ، دون أن يقدم له معونة تخفف من شدة وطأتها عليه ، وذلك لكي تكون كفارة عن الخطية كفارة قانونية.

٢

الإيمان والخلاص من قصاص الخطية

إن الخلاص من قصاص الخطية لا يترتب عليه النجاة من دينونتها إلى الأبد فقط ، بل يترتب عليه أيضا تبرير الخطاة وتطهيرهم وتقديسهم ومصالحتهم مع الله وتمتعهم معه بالحياة الأبدية - وكل هذه البركات تؤول إليهم بفضل كفارة المسيح ويحصلون عليها بالإيمان أو بالحرى بالإيمان الحقيقي ، كما يتضح مما يلى :

١ - الخلاص من قصاص الخطية : فقد قال الوحي عن الله أنه" خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا في المسيح يسوع " (٢ تيماثاوس ١ : ١) ، وانه " حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا " (تيطس ٣ : ٥) . وقال عن المسيح" ليس بأحد غيره الخلاص . لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغى أن نخلص " (أعمال ٤٤ : ١٢) . وقال لنا " لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان ، وذلك ليس منكم هو عطية الله " (افسس ٢ : ٨) .

كما قال " من آمن واعتمد خلص " (مرقس ١٦ : ١٦) . و " آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك " (أعمال ١٦ : ٣١) . و " الذي يؤمن به (أي المسيح) ، لا يدان ، والذي لا يؤمن به قد دين " (يوحنا ٣ : ١٨) . و " إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت " (رومية ١٠ : ٩) . وقال عن الانجيل انه " قوة الله للخلاص لكل من يؤمن "

(رومية ١ : ١٦) . وقال بولس الرسول عن نفسه " صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول ، ان المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا " (١ تيموثاوس ١ : ١٢ - ١٥) - ونظرا لأن هذا الخلاص تم بكفارة المسيح ونحصل عليه الآن بالإيمان كما ذكرنا فيما سلف ، لذلك ترد أفعال الخلاص في صيغة الماضي أو الحاضر.

٢ - الغفران : فقد قال الوحي عن المسيح " الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا " (أفسس ١ : ٧) . وقال لنا " ان كل من يؤمن به (أي المسيح) ينال باسمه غفران الخطايا " (أعمال ١٠ : ٤٣) . و " حتى ينالوا بالإيمان بالمسيح غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين " (أعمال ٢٦ : ١٨) . و " قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه " (١ يوحنا ٢ : ١٢) . و " مسامحًا لكم بجميع الخطايا " (كولوسي ٢ : ١٣)

والله عندما يغفر الخطية لا يذكرها على الاطلاق (١) ، فقد قال " لا أذكر خطاياهم ولا تعدياتهم فيما بعد " (عبرانيين ٨ : ١٢) . وقال أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي ، وخطاياك لا أذكرها " (إشعياء ٤٣ : ٢٥) ٠ والنبى الذى أدرك هذه الحقيقة قال عن الله " يدوس آثامنا ويطرح في أعماق البحر (٢) جميع خطاياهم " (ميخا ٧ : ١٩) . وقال آخر لله " طرحت وراء ظهرك خطاياى " (اشعياء ٢٨ : ١٧) - وغفران الخطايا بالجمع ، يراد به طبعا غفران كل الخطايا ، وليس خطية آدم فحسب كما يقول بعض المنتمين الى المسيحية ونظرا لأن هذا الغفران الكامل الشمال تم بكفارة المسيح ونحصل عليه الآن بالإيمان كما ذكرنا ترد أفعال الغفران فى صيغة الماضي أو الحاضر.

-٣التبرير : ويراد بالتبرير جعل الذين يؤمنون أبرارًا ، ولذلك فالتبرير ليس هو الغفران ، لأن الغفران يراد به فقط الصفح عن الخطاة بعدم توقيع القصاص الأبدي عليهم ، وبناء على ذلك فإن الذين يحصلون على الغفران دون التبرير ، يظلون فى مركز خطاة (٣) ، ومن ثم فإنهم وان كانوا لا يعاقبون في الأبدية ، لا يتمتعون بالوجود مع الله فيها فيكون مثلهم مثل أبشالوم الذي صفح عنه أبوه ، ولكن لم يسمح له بأن يرى وجهه (٢ صموئيل ١٤ : ٢٤) . أما الذين يحصلون على التبرير فيعتبرون كأنهم لم يخطئوا على الاطلاق ، وليس هذا فحسب ، بل وأيضا كأنهم عملوا كل البر الذى يتطلبه الله منهم (١) ولذلك فانهم لا ينجون فقط من قصاص خطاياهم، بل يكون لهم أيضا القبول الكامل أمام الله بفضل كفارة المسيح ، وقد أشار الوحى الى هذا التبرير فقال " متبررين مجانا بنعمته بالفداء

الذي بيسوع المسيح " (رومية ٣ : ٢٤ - ٢٨) .

"وأما الآن فقد ظهر بر الله (٢) بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون (١) " (رومية ٣ : ٢١ - ٢٢). و " لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا " (١ كورنثوس ٦:١١)

كما قال" فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية ٥: ١) . و "متبررين الآن بدمه " (رومية ٥: ٩) .

و " لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن " (رومية ١٠ : ٤) . وقال عن المسيح أن به " يتبرر كل من يؤمن " (أعمال ١٣ : ٢٨ - ٣٩) . و " أنه أسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (٢) " (رومية ٤ : ٢٥) .

وعن الإنجيل أن فيه " معلن بر الله بإيمان لإيمان" (٣) (رومية ١ : ٧)

وقال عن الحصول على البر بدون أى عمل صالح من جانبنا " ان الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس " (رومية ٣ : ٢٨). كما قال " أما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فايمانه يحسب له برا" (٤) ٠ كما يقول داود النبى فى تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برا بدون اعمال : " طوبى للذين غفرت آثامهم (٥) وسترت خطاياهم" (رومية ٤ : ٣ - ٧) - ونظرا لأن تبريرنا تم بكفارة المسيح ونحصل عليه الآن بالإيمان ، لذلك ترد أفعال التبرير في صيغة الماضي أو الحاضر .

٤- التطهير : ويراد بالتطهير ازالة كل أثر للخطية عن المؤمنين من أمام الله حتى يظهروا بلا عيب على الإطلاق (١) . وقد أشار الوحي إلى هذا التطهير فقال عن الله " إذ طهر بالإيمان قلوبهم" ، (أعمال ١٥: ٩). وقال عن المسيح أنه " صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا" (عبرانيين ١ : ٣) . وأنه " أحبنا وغسلنا من خطايانا بدمه" (رؤيا ١:٥) ٠ وان دمه " يطهر من كل خطية " (١ يوحنا ١ : ٧)

وقال عن المؤمنين الذين سيملكون مع المسيح أنهم غسلوا ثيابهم (٢) وبيّضوها في دم المسيح (رؤيا ٧ : ١٤) - ونظرا لأن تطهيرنا من الخطية تم بكفارة المسيح ونحصل عليه الآن بالإيمان ، لذلك ترد أفعال هذا التطهير في صيغة الماضي أو الحاضر .

٥ - التقديس : والتقديس يراد به آمران (الأول) التكريس أو التخصيص ٠ فقول المسيح عن نفسه " لأجلهم أقدس أنا ذاتي" ، (يوحنا ١٧ : ١٩) يراد به أنه يخصص ذاته لرعايتنا والعناية بنا أثناء سيرنا في العالم .. (الثاني) التكميل .

فقول الرسول للتسالونيكيين " وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام " (١ تسالونيكي ٥: ٢٣) يراد به أن الله يكملهم الى التمام ، ولذلك فتقديس المؤمنين لا يراد به فقط تخصيصهم لله ، بل وأيضا جعلهم كاملين أمامه (١) . وقد أشار الوحي الى هذه الحقيقة فقال عن المسيح انه " بقربان واحد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عبرانيين ١٠ : ١٤) .

وقال عن المؤمنين أنهم " مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة " (عبرانيين ١٠: ١٠) وقال لهم " لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا " (١ كورنثوس ٦ : ١١) . و " أنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء ، قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه " (كولوسي ١ : ٢٠ - ٢٢)٠٠ كما قال لهم " وأنتم مملوؤن :

(أو بالحرى كاملون غاية الكمال) فيه (أي في المسيح) ، (كولوسي ٢:١٠) ولذلك عندما كان يتحدث الرسول عنهم أو اليهم ، كان يدعوهم قديسين ، فقد قال " الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية"، (عبرانيين ٣ : ١) . وقال " إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين " (رومية ١ : ٧) . وقال " إلى كنيسة الله التي في كورنثوس مع القديسين أجمعين الذين في أخائية " (٢ كورنثوس ١ : ١) وقال "إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي (١) " (فيلبي ١ : ١) - ونظرا لأن تقديسنا تم بكفارة المسيح ونحصل عليه الآن بالإيمان ، لذلك ترد أفعال التقديس في صيغة الماضي أو الحاضر.

٦- الصلح والسلام مع الله : أو بالحرى ازالة العداوة التي كانت بيننا وبين الله بسبب خطايانا . فقد قال الوحي " فاذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح ، الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالايمان الى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون " (رومية ٥ : ١ - ٢) . وقال أيضا " لكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة . أى أن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم" (٢) : لأنه جعل الذي لم يعرف خطية (وهو المسيح) خطية (١) ولأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه ، (٢ كورنثوس ٥ : ١٩ - ٢١)... " لأن فيه (أي المسيح) سر أن يحل كل الملء (أي اللاهوت كله) وأن يصالح به الكل لنفسه ، عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته " "وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء في الفكر والأعمال الشريرة قد صالحكم

الآن فى جسم بشريته بالموت(كولوسي ١ : ١٩ - ٢٢) كما قال " ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رومية ٥ : ١٠) و" لأن المسيح هو سلامنا الذي جعل الاثنين (أي اليهود والأمم معًا) (٢) واحدًا (بعد أيمانهما بشخصه) ، "ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة (التي كانت بينهما قبل هذا الإيمان) ، لكي يخلق الاثنين في نفسه (بعد ايمانهما) انسانًا واحدًا جديدًا ، صانعًا سلامًا . ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلًا العداوة به" ، (افسس ٢ : ١٥ - ١٦) - ونظرا لأن هذا الصلح تم بكفارة المسيح ونتمتع به الآن بالإيمان ، لذلك ترد أفعال الصلح فى صيغة الماضي أو الحاضر .

٧- الخلاص من الطبيعة الخاطئة : والمسيح لم يخلصنا في الماضي من عقوبة الخطية الأبدية، ويخلصنا فى الوقت الحاضر من سلطة الخطية وتأثيرها على نفوسنا فحسب، ولكنه وعد أيضا أنه سيخلصنا من الطبيعة الخاطئة نفسها ، أو بالحرى يغير أجسادنا الى صورة جسد مجده . فقد قال بولس الرسول " هكذا المسيح أيضًا ، بعد ما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية (أو بالحرى بدون أي عمل خاص بالخطية) للذين ينتظرونه" (عبرانيين ٩ : ٢٨) . وقال " فان سيرتنا نحن هي في السموات التي منها ننتظر مخلصا هو الرب يسوع الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (أو بالحرى جسد الضعة) لكي يكون على صورة جسد مجده (١) " (فيلبي ٣ : ٢١) .

وقال " فان خلاصنا الان أقرب مما كان حين آمنا " (رومية ١٣ : ١٣) . وقال عن المؤمنين أنهم عتيدون " أن يرثوا الخلاص " (عبرانيين ١ : ١٤) وقال أيضا عنهم "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه" (رومية ٨ : ٢٧) . وقال بطرس الرسول لهم " أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير " (١ بطرس ١:٥) . وقال يوحنا الرسول " نعلم أنه إذا أظهر (المسيح) نكون مثله ، لأننا سنراه كما هو" (١يوحنا ٣ : ٤) - وإن كان هذا الخلاص لم يتم بعد ، لكن نوقن كل اليقين أنه سوف يتم ، كما قال الرسل المذكورين بالوحي الإلهي.

٨ - التمتع بالحياة الأبدية : قال المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه

الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ٣ : ١٦) . وإن من يسمع كلامه ويؤمن بالذي أرسله فله حياة أبدية ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة (أي لا توجد أمامه بعد دينونة عن أى خطيّة من خطاياه) . وأن " من يؤمن بالابن تكون له الحياة الأبدية ويقيمه الابن فى اليوم الأخير" (يوحنا ٦ : ٤) . وقال المسيح عن نفسه أنه " القيامة والحياة من آمن به ولو مات فسيحيا". وكل من كان حيا وآمن به فلن يموت إلى الأبد.(يوحنا ١١ : ٢٥ و ٢٦) . ونظرًا لأن الانعام بالحياة الأبدية تم بكفارة المسيح ، ونحصل عليه الآن بالإيمان بالمسيح ، لذلك ترد أفعال الحصول على هذه الحياة فى صيغة الماضي أو الحاضر.

---

(١) وهذا عكس ما نفعله أحيانا ، فقد نصفح عمن يسيء إلينا ، ولكن إساءته تظل كامنة في نفوسنا زمنًا طويلًا ، ولذلك تسبب لنا من وقت الى آخر نفورا منه .

(٢) عبارة مجازية للدلالة على أن الله لا يذكر مطلقا الخطايا التي يغفرها.

(٣) فمثلهم والحالة هذه مثل المذنبين الذين بعد صدور الحكم بالإدانة ضدهم ، يوقف تنفيذه بأمر عال (مثلا) ، فإنهم على الرغم من عدم تنفيذ هذا الحكم لا يعتبرون أبرارا أو كاملين في نظرنا على الاطلاق

---

(١) أن التبرير المذكور أعلاه كامل فى ذاته كل الكمال ، ولا يحتاج الى أي عمل من جانبنا لكي يكون أكثر كمالا ، لأن الذي عمله هو الله نفسه . ونظرا لأن هذا البرّ هو هبة مجانية منه لنا ، يمكن أن يدعى البر الاكتسابي تمييزا له عن البر العملي (أو بالحرى العمل الصالح الذي نقوم به في العالم الحاضر بتأثير الروح القدس في نفوسنا) ، والذي أشار إليه الرسول بالقول " لأن ثمر الروح هو فى كل صلاح وبر وحق" (أفسس ٥: ٩) ومما تجدر ملاحظته فى هذه المناسبة (أولا) أن البر العملي ليس هو أساس قبولنا الأبدى أمام الله لأننا مقبولون أمامه (كما ذكرنا فيما سلف) بالبر الاكتسابي الذي وهبه لنا مجانا بفضل كفارة المسيح (ثانيًا) ان البر العملي لأنه من عملنا نحن ، قلما يكون كاملا كل الكمال ، لأننا لسنا كاملين في أعمالنا . ومع ذلك فإن الله لا يهمل هذا البر بل يعطينا عنه جزاء خاصًا) إلى جانب البر الأبدي الذي هو هبة مجانية منه) ، كما يتضح بالتفصيل في الفصل الثاني عشر.

(١) من العبارة المذكورة أعلاه يتضح أيضا أن البر الذي يتمتع به المؤمنون أمام الله ، ليس برًا ذاتيًا لهم ، بل هو بر الله نفسه موهوبًا لهم بفضل كفارة المسيح . ومن ثم فإنه أفضل من البرّ الذي كان لآدم قبل السقوط بدرجة لا حد لها . وإذا كان ذلك كذلك ، جدير بكل منا أن يتحول عن كل بر فيه (مهما كان شأنه) ليكون له بالإيمان بالمسيح البر الإلهي نفسه ، كما فعل بولس الرسول من قبل ، فقد قال : " وليس لي بري الذي من الناموس" (أو بالحرى الذى لى على أساس قيامي بالأعمال التي يتطلبها الناموس) ، بل الذي بإيمان المسيح ، البر الذي من الله بالايمان " (فيلبى ٣، ٨ - ١٠) .

---

(١) العبارة " بر الله ... على كل الذين يؤمنون " ، يراد بها أن هذا البر هو عليهم كرداء يستر خطاياهم ، ولذلك لا يبدو منها شيء أمام والنبي الذي أدرك هذه الحقيقة قال عن الله " البسني ثوب الخلاص وكسانى ثوب البر " (إشعياء ٦١ : ١٠) . لتحقيق مطالب عدالة الله وقداسته . (٢) لأن قيامة المسيح من الأموات برهنت ان كفارته كافية كل الكفاية (٣) يراد بهذه الآية أن السبيل للتمتع ببر الله هو على مبدأ الإيمان وليس الأعمال ، وأن هذا البر يعطى لكل من له في نفسه ايمان (٤) أن الرسول لا ينفى هنا أهمية الأعمال الصالحة ، بل ينفي الاعتقاد بأن هذه الأعمال تكفى الخطاة الذين يعملونها للحصول على التبرير أمام الله . لكن الذين تمتعوا بير الله بفضل كفارة المسيح ، يجب عليهم أن يعملوا أعمالا صالحة بل وأن يعملوا ايضا هذه الأعمال بكثرة ووفرة (١كورنثوس ١٥ : ٥٧) ، لا لكى يتمتعوا بغفران أفضل أو تبرير أكمل ، بل لكي يمجدوا الله الذى أحسن إليهم بالغفران والتبرير (٥) وطبعا لا يقول النبى هنا (طوبى للذين لم يفعلوا خطية) ، لأنه ليس هناك إنسان لم يفعل خطية على الاطلاق . ولذلك فالطوبى وكل الطوبى هي للخطاة الذين سترت خطاياهم وأصبحوا أبرارا أمام الله بفضل كفارة المسيح التي آمنوا بها واعتمدوا عليها .

---

(١) أن التطهير المذكور أعلاه كامل كل الكمال ولا يحتاج الى أى عمل من جانبنا لكي يكون أكثر كمالًا ، لأن المسيح نفسه هو الذي قام به لأجلنا بدمه الكريم . ونظرًا لأن هذا التطهير هو هبة مجانية من الله لنا، لذلك يمكن أن يدعى التطهير الاكتسابي تمييزًا له عن التطهير العملي الذي هو تنقيتنا لأنفسنا أثناء السير فى العالم الحاضر من كل أمر لا يتفق مع قداسة الله. والتطهير العملي هو

ما أشار إليه الرسول في قوله " لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح " (٢ كورنثوس ٧ : ١) - ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة (أولًا) أن التطهير العملي ليس هو أساس قبولنا الأبدى أمام الله ، لأننا مقبولون أمامه (كما ذكرنا فيما سلف) بالتطهير الاكتسابي الذي وهبه لنا مجانا بفضل كفارة المسيح (ثانيًا) ان التطهير العملي لأنه من عملنا نحن ، قلما يكون ذلك فلهذا التطهير كاملا كل الكمال لأننا لسنا كاملين في أعمالنا . ومع فائدته وقيمته ، لأنه كلما طهرنا أنفسنا أكثر ، أصبحنا أكثر ، استعدادًا لخدمة الله والتمتع به ، و هيأنا أنفسنا للحصول على جزاء خاص إلى جانب التطهير الأبدي الذي هو هبة مجانية من الله ، كما ذكرنا فيما سلف .

(٢) كلمة " ثياب " مستعملة هنا بالمعنى المجازي للتعبير عن الحالة التي يظهر فيها المؤمنون أمام الله ، لأن دم المسيح لا يستعمل في غسل الثياب بل في غسل القلوب، أو بالحرى فى ازالة كل أثر للخطية يمكن أن يوجد فيها أمام الله.

---

(١) أن التقديس المذكور أعلاه كامل الكمال ولا يحتاج الى أي عمل من جانبنا لكي يكون أكثر كمالًا ، لأن المسيح نفسه هو الذي قام به لأجلنا بواسطة دمه الكريم . ونظرا لأن هذا التقديس هو هبة مجانية من الله لنا ، لذلك يمكن أن يدعى التقديس الاكتسابي تمييزا له عن التقديس العملي ، الذي هو انفصالنا عن الخطية وتكريس نفوسنا لله وحده : وقد أشار الوحى الى هذا التقديس فقال " مكملين القداسة في خوف الله " (٢ كورنثوس ٧:١) .

ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة (أولًا) أن التقديس العملي ليس هو أساس قبولنا الأبدى أمام الله . لأننا مقبولون أمامه (كما ذكرنا فيما سلف) بالتقديس الاكتسابي الذي وهبه لنا مجانا بفضل كفارة المسيح (ثانيًا) ان التقديس العملي لأنه من عملنا نحن ، قلما يكون كاملا كل الكمال لأننا لسنا كاملين في أعمالنا ومع ذلك له فائدته وقيمته ، لأننا كلما قدسنا نفوسنا أكثر ، أصبحنا أكثر استعدادا لخدمة الله والتمتع به ، و هيأنا أنفسنا للحصول على جزاء خاص ، إلى جانب التقديس الأبدي ،كما ذكرنا فيما سلف.

---

(١) مما تجدر الإشارة إليه أن المؤمنين الموجودين في هذه الكنائس لم يكونوا كاملين ، بل كانت لهم خطايا خاصة ، وكان الرسول يعظهم كثيرًا لكي يقلعوا

عنها - اقرأ مثلا (١ كورنثوس ٣ : ١ - ٤ ، ٥ : ٢)، ذلك كانوا بالنسبة إلى علاقتهم مع الله ، فى مقام القديسين ومع المحبوبين ، وذلك لوجودهم ليس فى ذواتهم ، بل في المسيح القدوس .

(٢) فالله لم ينتظر حتى نأتي إليه نحن المذنبين ، ونطلب منه الصلح والسلام كما هو المفروض شرعًا ، بل إنه وهو المساء إليه ، تقدم الينا و صالحنا لنفسه ، وذلك مع الفارق الذى لا حد له بينه وبيننا كما أنه لم يجعل شرط الصلح فدية نقدمها إليه ، كما هو المتبع في إجراءات الصلح ، بل صالحنا دون أن يلزمنا بفدية ما وقد فعل ذلك ليس لأن هذه الفدية غير ضرورية بالنسبة لعد الته ، بل لأننا لا نستطيع تقديمها إليه مهما عملنا من أعمال صالحة . وقيام الله بالفدية المذكورة بنفسه أمر يتوافق مع كماله كل التوافق ، وذلك لسببين (الأول) أن عدالة الله وقداسته لهما حقوقهما التى يجب ألا تهمل بأي حال من الأحوال ، لأن اهمالها معناه أن الله أصبح غير عادل أو غير قدوس ، وهذا محال (الثاني) ليس هناك كائن في الوجود يستطيع أن يفي مطالب عدالة الله وقداسته سوى الله ، لأن هذه المطالب لا حد لها ، ولا يستطيع أن يفي مطالب لا حد لها إلا من لا حد له ، وليس هناك من لا حد له الا الله .

(١) هذه الآية يمكن أن تفهم بمعنيين (الأول) أما أن يكون المسيح قد اعتبر على الصليب خطية (وطبعًا ليس من الناحية الأدبية بل الشرعية ، أى أنه لم يجعل خطية بل كخطية) . لأنه بقبوله على نفسه خطية العالم بأسره (١بطرس ٢ : ٢٤) ، أصبح كما لو كان ليس خاطئا فحسب، بل وأيضا كما لو كان هو الخطية بعينها . ويؤيد هذا التفسير أننا بكفارة المسيح لم نصبح أبرارا فقط ، بل أصبحنا الله ، أو البر بعينه ، كما يتضح من الشطر الثاني من هذه الآية بر (الثاني) وإما أن يكون المسيح قد اعتبر على الصليب " ذبيحة خطية ،، ويؤيد هذا التفسير أن كلمة " خطية " كانت تستعمل قديما للتعبير عن ذبيحة الخطية " فقد جاء في (خروج ٢٩ : ٧٦) " تقدم ثور خطية كل يوم " والمراد "ثورة ذبيحة خطية " وذبيحة الخطية كما نعلم كانت رمزا للمسيح من جهة كونه كفارة الله عن العالم ، ولذلك كانت تحرق بأكملها خارج المحلة ، اشارة الى حلول قصاص الخطية عليها عوضا عن الخطاة " (عبرانيين ١٣ : ١١ - ١٣) .

(٢) إن التفرقة التي كانت قبل المسيح بين اليهود وبين غيرهم الأمم ، كان أساسها الفصل بينهم وبين الوثنيين الذين لم تكن لهم علاقة بالله . لكن مذ جاء المسيح انتهت هذه التفرقة تمامًا ، لأنه أعلن أن اليهود والأمم معًا خطاة ، وأنهم

جميعا فى حاجة الى خلاص الله (رومية ١ ، ٢، ٣ : ٩ - ٢٠) ، ولذلك لم يعد هناك مجال أمام اليهود للتفاخر على غيرهم من الأمم على الإطلاق.

---

(١) إننا في أجسادنا الطبيعية لا نستطيع رؤية الله أو النظر الى مجده (عبرانيين ١٢ : ٢١ ، خروج ٣٣ : ١٨ - ٢٣) ، ولذلك كان من البديهي ، أن يغير الله أجسادنا هذه، عندما يأخذنا الى سمائه، حتى نستطيع أن نراه ونتمتع به.

٣

الإيمان والحياة الروحية الإلهية

ذكرنا فيما سلف أننا لا نحتاج فقط الى الخلاص من قصاص خطايانا ، بل نحتاج أيضا الى حياة روحية تسمو بنا فوق قصورنا الذاتي وتؤهلنا للتمتع بالله والتوافق معه فى صفاته العلوية السامية . وبالرجوع الى الكتاب المقدس نرى أن هذه الحياة يمنحها الله لنا أيضا مجانا بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح، وأنها تشمل : الولادة من الله، والحصول على الروح القدس ، وصيرورتنا أولاد الله وأعضاء في جسد المسيح الروحي . ومن أبرز نتائج الحياة المذكورة ، النصرة على الخطية والقدرة على السلوك بالقداسة التي يريدها الله فى العالم الحاضر ، كما يتضح مما يلى :

١ - الولادة من الله : هذه الولادة - ليست هي إصلاح الطبيعة البشرية العتيقة بالصوم والصلاة ، أوالوعظ والإرشاد (على فرض أنها تصلح بهذه الوسائل ، كما يقول بعض الناس) ، كما أنها ليست هي بدء صحيفة جديدة من الحياة بواسطة التوبة عن الخطية والابتعاد عنها ، أو الانضمام الى طائفة دينية وقبول المعمودية والتناول من العشاء الرباني ومزاولة بعض النشاط الدينى فيها ،

ودراسة الكتاب المقدس ومحاولة العمل بكل ما جاء فيه ، فضلًا عن ذلك ، ليس كل من يرنم لله بفرح وابتهاج أو يحصل منه مرة أو مرات على استجابة للصلاة ، أو يرى أحلامًا تبعث الى قلبه بالسلام والاطمئنان ، أو ينذر لله نذورًا ويفي بها ، أو يشعر بسرور عند قيامه بأى طقس من الطقوس الدينية ، هو مولود من الله - بل الولادة من الله ، هى الحصول منه بواسطة الإيمان الحقيقي على حياة روحية تؤهل المرء للتوافق مع الله في صفاته العلوية السامية كما ذكرنا . ومثل الحياة الروحية التي ينالها المؤمن من الله (إن جاز التشبيه) مثل الحياة التي تدب فى الأشجار الخريفية الميتة فتجعلها تزهر وتثمر، أو الحياة التي تدب في الميت فتجعله ينهض ويعمل. وإذا كان ذلك كذلك ، أدركنا أن الأعمال الصالحة ، التي يقوم بهـــا المجردون من هذه الحياة ، مثلها أمام الله ، مثل الزهور الصناعية التي لا حياة فيها ولا رائحة لها . أما الأعمال الصالحة التي يقوم بها الحاصلون على الحياة المذكورة ، فمثلها مثل الزهور الطبيعية التي تدب فيها الحياة ولها رائحتها الذكية ، أمام الله والعارفين بالله ولإيضاح أهمية الولادة من الله نقول : كما أننا بالولادة من آبائنا وأمهاتنا نحصل على صفاتهم وخصائصهم ، ونبدأ حياتنا على الأرض معهم ، ويكون لنا حق التمتع بهم وبكل ما لديهم من خير – هكذا الحال من جهة الولادة من الله ، فإن بها دون غيرها نبدأ علاقتنا الحقيقية مع الله ، ونحصل على حياته فينا بما في هذه الحياة من خصائص أدبية سامية . كما نصبح بهذه الولادة أبناء له يمكننا الدنو منه والتمتع به وبكل ما لديه من بركة ، ليس في هذا العالم فقط بل وفي الأبدية أيضا والولادة من الله هذه ليست وهما أو بعض وهم ، بل هي حقيقة واقعة لها الأدلة الكافية على وجودها . وقد اهتم كثير من علماء النفس بدراستها، لا سيما في الأشخاص الذين كانوا يرتكبون الجرائم و يدمنون المخدرات من قبل، فهالهم أمرها واعترفوا بأحقية وجودها (١) وأهميتها وهذه الولادة هي ما أشار الوحي إليها في الآيات الآتية " كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح ، فقد ولد من الله" ، (١ يوحنا ٥ : ١٠) . وان " الله ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات " (١ بطرس ١: ٣) . وأنه " شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه " (يعقوب ١: ١٨) وأن المؤمنين ولدوا " ثانية لا من زرع يفنى ، بل مما لا يفنى ، بكلمة الله الحية الباقية الى الأبد" (١ بطرس ١ : ٢٣) . وأنهم « ولدوا ليس من لحم (١) ، ولا من مشيئة جسد (٢) ، ولا من مشيئة رجل (٣) بل من الله (١) " (يوحنا١ : ١٣) . وأن الله وهبهم كل ما هو للحياة والتقوى لكي يصيروا شركاء الطبيعة الالهية

(الأدبية) (٢) هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة (٢ بطرس ٣ : ٤) - أى أن الله وحده هو الذي يلد نفوس المؤمنين الحقيقيين ولادة ثانية ، وبهذه الولادة يشتركون معه في طبيعته الأدبية ، كما يشترك الأبناء في طبائع والديهم.

والولادة من الله يعبر عنها أيضا بالخليقة الجديدة ، فقد قال الرسول " اذا ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة · الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديدا" (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) . كما قال عن نفسه وعن المؤمنين " لأننا نحن عمله (أي عمل الله) . مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (افسس ٢ : ١٠) - ونظرا لأننا نخلق الآن بواسطة الله خليقة جديدة ، أو نولد الآن منه ولادة ثانية بالإيمان بالمسيح ترد الأفعال الخاصة بذلك فى صيغة الماضي أو الحاضر .

- الحصول على الروح القدس في نفوسنا : فقد قال الرسول للمؤمنين " إذ آمنتم ، ختمتم بروح الموعد القدوس " (أفسس ١ : ١٣) و " أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم " (١ كورنثوس ٣ : ١٦) . و " أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذي لكم من الله (١ كورنثوس ٦ : ١٩) - ونظرًا لأن روح الله يحل في قلوبنا بالايمان بالمسيح ، لذلك ترد الأفعال الخاصة بحلوله فينا في صيغة الماضي أو الحاضر .

٣- البنوة الروحية لله : فقد قال الرسول للمؤمنين " بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا (أو هاتفًا) يا آبا الآب " (١) (غلاطية ٥ : ٦) . و" أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا اولادًا ، فإننا ورثة ايضًا ، ورثة الله (٢) و وارثون مع المسيح " (رومية : ١٥ و ١٦) . "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله (٣) (١ يوحنا ٣ : ٥) . "فلستم بعد غرباء ونزلاء ، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله " (أفسس ٢ : ١٩) - ونظرا لأننا نصبح الان أولادًا لله وأبناء له بالإيمان بالمسيح ، لذلك ترد الأفعال الخاصة بولادتنا من الله وبنوتنا له في صيغة الماضي أو الحاضر .

٤- الاتحاد الروحي بالمسيح ، وحلوله الروحي في نفوسنا : فقد قال الوحي عن المؤمنين أنهم أعضاء جسمه من لحمه وعظامه (١) (أفسس ٥ : ٣٠) . وعن المسيح أنه رأسهم (كولوسي ١ : ١٨) . وانه فيهم وهم فيه (يوحنا ١٧ : ٢٣ ، ١٠ : ٣) . وأنه حياتهم (كولوسي ٣ : ٤) . وأنه يحيا فيهم (غلاطية ٢ : ٢٠) - ونظرا لأن اتحادنا بالمسيح يتم الآن بالإيمان بشخصه ، لذلك ترد الأفعال الخاصة

بهذا الاتحاد في صيغة الماضي أو الحاضر .

٥ - الخلاص من سلطة الخطية والغلبة عليها . فقد قال الرسول للمؤمنين " فمن ثم يقدر (المسيح) أن يخلص أيضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله " (عبرانيين ٧ : ٢٥) . و" لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالاولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته " (رومية ٥ : ١٠) . و" هذه هي الغلبة التي (تغلب أهواء) العالم ايماننا " (١ يوحنا ٥ : ٤ و " من هو الذي يغلب العالم ، الا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله " (١ يوحنا ٥ : ٧) . و " يعظم انتصارنا بالذي أحبنا "

(رومية ٨ : ٣٧) . والرسول الذي اختبر هذه الحقيقة قال " أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني " (فيلبي ٤ : ١٣) - ونظرا لأننا نتمتع الان بهذا الخلاص بواسطة الايمان بالمسيح (١) لذلك ترد الأفعال الخاصة به في صيغة الحاضر .

من الفصول السالفة يتضح لنا أن المسيحية تتميز عن الأديان التي تؤمن مثلها بوحدانية الله بالاعلانات الآتية :

١- ان الله وان كان عظيما كل العظمة ، ومحاطًا بجلال ليس بعده جلال ، لكنه ليس الإله المتكبر الذي يترفع عن الاتصال بالناس ، أو الذي يبعث الرعب والخوف الى نفوسهم ، أو يتحكم في أعمالهم ومصائرهم، بل انه الاله الذى يفيض بالحب نحوهم والعطف عليهم ، ولذلك فهو بمثابة الأب الطيب الذى يسر بأبنائه ويدعوهم للاقتراب منه والتمتع به .

٢- إن العلاقة بالله ليست علاقة خارجية قائمة على ممارسة الفرائض والواجبات الدينية ، بل علاقة باطنية قائمة على قداسة النفس وطهارتها وتوافقها التام مع شخصه . ولذلك تعلن المسيحية أن بعض الذين يقولون انهم يحفظون وصايا الله ، هم بعيدون عنه بعدا عظيما (متى ١٩ : ٢٠) .

وأن بعض الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، يرتكبون جرائم النهب والقتل دفاعا عن الدين كما يظنون (أعمال ١٩) ، الأمر الذي يدل على أن التدين (أو بالحرى التدين البشري) شيء ، والتقوى ، أو بالحرى التوافق مع الله فى صفاته العلوية ، شيء آخر .

٣- إن الشيء الوحيد الذي يمنعنا من الاتصال بالله والتمتع به هو الخطية، والخطية ليست فقط هي فعل الشر ، بل إنها أيضا مجرد انحراف الفكر عن الله والانشغال بالعالم أكثر من الانشغال به تعالى أو بالحرى عدم محبة الله من كل

القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر ومن كل القدرة

٤ - ان كل الاعمال الصالحة التي يمكن أن يقوم بها الإنسان لا تستطيع أن تكفر عن خطية واحدة من خطاياه وذلك لثلاثة أسباب رئيسية (الأول) إن هذه الأعمال ليست فضلا منا تستحق عنه جزاء بل هي واجب اذا قصرنا فى أدائه نكون خطاة أمام الله (الثاني) إن الأعمال الصالحة كثيرا ما تكون ملطخة بنقائص وعيوب الطبيعة البشرية العتيقة ولذلك تكون هذه الأعمال نفسها فى حاجة إلى غفران الله. (الثالث) أن الأعمال الصالحة مهما كثرت ، فإن قيمتها محدودة ، وحق الله الذي أسيء إليه بسبب الخطية لا حد لقدره ، والأشياء المحدودة لا تستطيع أن تفى مطالب حق لا حد لقدره ، ولذلك فإن الغفران لا يكون إلا هبة مجانية من الله.

٥ - ان الله كما أنه رحيم كل الرحمة ، هو أيضا عادل كل العدالة، لذلك فالغفران لا يكون بالأمر السهل كما يتصور بعض الناس ، إذ أنه لا يمكن أن يتحقق إلا بعد إيفاء مطالب عدالة الله التي لا حد لها . وبما أنه لا يستطيع أن يفي هذه المطالب إلا الله وحده ، لذلك فإن الغفران يكون على أساس إيفاء الله لنفسه مطالب عدالته التي لا حد لها، أو بالحرى على أساس تحمله كل نتائج خطايانا فى نفسه عوضا عنا .

٦- إننا لا نحتاج الى غفران من الله فحسب، بل وأيضا الى حياة روحية منه ، لأننا أن حصلنا على الغفران دون أن تكون لنا هذه الحياة لا نستطيع التمتع بشخصه على الإطلاق وذلك لسببين رئيسيين (الأول) ان الله أسمى من نفوسنا بدرجة لا حد لها ، ومهما سعينا اليه بمجهودنا الذاتى لا نستطيع أن نصل الى شيء من مستواه الأدبي (الثاني) ان السماء ليست لذات ومتعا جسدية يمكن أن نلهو بها بعيدا عن الله ، بل هى عين التوافق مع الله فى صفاته العلوية السامية ، ولا سبيل إلى هذا التوافق إلا بواسطة الحصول منه على الحياة الروحية المذكورة.

٧- إن الحياة الروحية التى ننالها من الله لا تؤهلنا فقط للتمتع به ، بل تؤهلنا أيضا للتسامى فوق الخطية والقيام بالأعمال الصالحة التي تتوافق مع كماله تعالى . ولذلك فإن المسيحية لا تطلب فقط من اتباعها أن يحيوا حياة القداسة والصلاح ، بل إنها قبل كل شيء تبعث فيهم روح القداسة والصلاح.

٨- أخيرًا نقول أن المسيحية تجعل للحياة قيمة سامية كل السمو ، ان تجعل من المؤمنين الحقيقيين أبناء وأولادًا لله ، كما تضمن لهم امتياز التمتع بشخصه

المبارك الى الأبد ، لأنها لا تبنى هذا الامتيان على أعمالهم بل على عمل الله لأجلهم ، وعمله المتواصل في نفوسهم : ولذلك يحيون طوال وجودهم على الأرض فى سلام ليس بعده سلام وفى سرور ليس بعده سرور.

حقا ان هذه البركات أسمى من أن يحيط بها العقل أو يصل اليها الخيال انها عظيمة جدا ، لأن الهنا عظيم جدا وهي عجيبة جدا ، لأنه لا مثيل له على الإطلاق . ولذلك لا يسعنا ازاءها ألا نقف مشدوهين مبهوتين ولسان حالنا " ما أكرم أفكارك يا الله عندنا ، وما أكثر جملتها !! " (مزمور ١٣٩ : ١٧) ، فشكرا لك على عطيتك التي لا يعبر عنها " (٢ كورنثوس ٩ : ١٥) .

---

(١) فالأستاذ دارموند عندما رأى آثارها فى الأشخاص المذكورين أعلاه ، اقتنع بوجودها ووصفها وبسط نتائجها في كتابه " علم النفس في خدمة الدين " .
والعلامة ستوربوك عندما درس نتائج هذه الولادة في هؤلاء الأشخاص ، أسندها إلى حدوث تغيير كبير في نفوسهم ، وأصدر كتاب " علم النفس الديني " موضحا فيه أهميتها . والأستاذ برونتج وجد أن الولادة المذكورة لا تتم فى النفس بالتدريج بل دفعة واحدة ، لذلك شبه عملها السريع بالمحبة التي تربط بين قلبين وتجعلهما أحدا من أول مقابلة لهما وقال الأستاذ جويت أن الولادة الثانية لا تخضع لنواميس الإصلاح البشرية ، بل لناموس أسمى من هذه النواميس ، هو ناموس الله نفسه .
والاستاذ سافينا رولا أطلق على هذه الولادة اسم "للحياة الخلاقة " لأنه وجد أنها تخلق البشر خلقًا جديدًا.

- عن كتابي

psychology in the Service of Religion & The Changed Life, By Dr.Drummond)

وكتاب (التجديد للقس سويلم)

---

(١) العبارة " ولدوا ليس من دم " معناها ليس بواسطة الولادة البشرية الطبيعية لأن الدم هو الذي صنع الله منه البشر جميعا (أعمال ١٧ : ٢٦) وبناء على ذلك ليس من الضروري أن يكون الأبناء المولودون من المؤمنين الحقيقيين، أولادًا لله مثلهم . فقد يقيم الله من أبناء الأشرار أولادًا له، ان كانوا يؤمنون ايمانًا حقيقيًا ، ولذلك قال الوحي عن اليهود " ولا لأنهم من نسل ابراهيم هم جميعا أولاد " (رومية ٩: ٧) كما أن أولاد الله وإن كانوا من الناحية الجسدية قد صنعوا من هذا الدم مثل غيرهم من الناس، لكنهم لا يعتبرون من الناحية الروحية من عدادهم ، لأنهم بولادتهم مرة ثانية من الله ، يصبحون أولادا له ، ولذلك قال المسيح عنهم مرة أنهم " ليسوا من العالم" ، (يوحنا ١٧ : ١٤)

(٢) " الجسد " في العبارة " ولا من مشيئة جسد" ، لا يراد به الجسد المادي (لأن هذا الجسد من حيث هو مادة ، ليست له مشيئة ما بل يراد به الطبيعة البشرية عامة ، كما هي الحال في الآيات الواردة في (رومية ٨ : ١٣ ، ٢ كورنثوس ١٠ : ٢) وغيرهما من الآيات . ومن ثم كون المراد بهذه العبارة أن البشر لا يصبحون أولادًا لله بناء على مشيئتهم الخاصة (أو بالحرى بناء على الأعمال الصالحة والفرائض الدينية التي يعتمدون عليها) ، بل بناء على مشيئة الله (أو بالحرى بناء على الإيمان الحقيقي بالمسيح، الذي شاء الله أن يكون الخلاص به دون سواه) . لذلك قال الوحي عن الخلاص الأبدى أنه " ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، بل الله الذي يرحم (رومية ٩ : ١٦) ، أي أن هذا الخلاص ليس للذين يشاؤون ويسعون إليه بأعمالهم الذاتية ، بل للذين يعتمدون على رحمة الله ونعمته .

(٢) والعبارة، ولا من مشيئة رجل ، يراد بها أن البشر لا يكونون أولادًا الله بواسطة مشيئة رجل يقوم بالوعظ والإرشاد لهم ، لأن الوعظ والإرشاد وحدهما لا يستطيعان أن يجعلا إنسانًا ما من أولاد الله والدليل على ذلك أن بعض الذين يقومون بالوعظ والإرشاد ، هم أنفسهم بعيدون عن الله كل البعد - حقا يجب أن

نسمع الوعظ ونتلقى الإرشاد لكن ان لم نؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيا ، لا يمكن أن نكون أولادا لله على الاطلاق .

(١) وإذا كان ذلك كذلك ، فكل مؤمن حقيقى له أب أرضي وأب سماوي ، وله مسقط رأس أرضي ومسقط رأس سماوي ، وله وطن أرضي ووطن سماوي ، وله تاريخ ميلاد أرضي وتاريخ ميلاد سماوي ، وله حياة أرضية وحياة سماوية و .... و.....و.....

(٢) فالله لم يعطنا بالولادة الثانية الطبيعية البريئة التي كانت في آدم قبل السقوط فى الخطية ، أو طبيعة الملائكة الأطهار الذين في السماء ، بل أعطانا طبيعته ، أو بالحرى طبيعة المسيح نفسه بكل ما فيها من قداسة وكمال ، الأمر الذي يفتح المجال أمامنا للتوافق مع الله في صفاته العلوية كل التوافق.

---

(١) " آبا" كلمة سريانية معناها " أب" ، ونظرا لشيوع استعمالها في نشأة المسيحية ، سجلت كما هى فى الكتاب المقدس ، وسجل بعدها معناها باللغة المترجم إليها هذا الكتاب ، ولذلك فإن هذه الآية تقرأ فقط "صارخا أيها الأب".

(٢) الوحى يكلمنا بلغتنا البشرية ، لأن الله لا يموت حتى نرثه نحن ، بل اننا نتمتع بمجده وهو معنا الى أبد الآباد.

(٣) مما تجدر ملاحظته أن محبة الله ونعمته ، وإن كانتا قد ظهرتا بصورة واضحة في البركات السابق ذكرها، لكن ظهرتا بصورة أوضح في جعله ايانا أولادًا له . وهذا ما دعا الوحي إلى القول " انظروا اية محبة اعطانا الاب حتى ندعى أولاد الله" . فهو تعالى لم يتبنانا لنفسه كما يتبنى إنسان بعض الأطفال ، بل ولدنا (أو بالحرى ولد نفوسنا) معطيًا إيانا طبيعته الأدبية بذاتها . وهذا هو الإحسان الذي لا يستطيع انسان فى العالم أن يجود بمثله على الإطلاق . لأننا نرى أنه إذا أراد إنسان كريم أن يتبنى لنفسه غلاما مطبوعا على الشر والفساد (مثلا) فانه يرسله الى ارقى المدارس والمعاهد ، أو يقدم له أفخر الأطعمة والملابس ، أو يوفر له كل أسباب الراحة والهناء . لكن مهما أوتى هذا الإنسان من حكمة وكرم ، لا يستطيع أن يلد الغلام المذكور مرة ثانية (أو بالحرى لا يستطيع أن يولد فيه ذات النفسية النبيلة التي يتمتع هو بها) ، ولذلك فإن هذا الغلام وإن كان يتثقف ذهنيًا وظاهريًا ، غير أنه يظل كما هو بنفسيته الشريرة التي طبع عليها ، لأن الطبع يغلب التطبع - لكن مالا يستطيع البشر قاطبة أن

يعملوه ، قد عمله الله في نفوسنا بولادتها منه.

(١) تعبيرات مجازية للدلالة على اتحاد نفوسنا بالمسيح اتحادًا وثيقًا.

---

(١) فالمؤمنون يخلصون من دينونة الخطية بالإيمان ، ويخلصون من سلطة الخطية بالإيمان أيضا ، فهم يبدؤون علاقتهم مع الله بالإيمان ، ويسلكون طوال حياتهم على الأرض بالإيمان . وبذلك يختبرون في نفوسهم قول الوحى " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة " (فيلبى ٢ : ١٣) .

٤

ماهية الإيمان وأثره في نفوس المؤمنين

أولًا - ماهية الإيمان

أمام الآيات السابق ذكرها ، التي تدل على أنه بالإيمان نحصل على الخلاص من قصاص الخطية وسلطانها ، ونتمتع بالحياة الروحية مع الله الى الأبد ، يتساءل بعض الناس عن ماهية هذا الإيمان . ولهم الحق في ذلك، لأن كلمة الايمان لكثرة تداولها بيننا فقدت معناها الحقيقي عند الكثيرين منا ، وأصبحت تطلق على مجرد

الاعتراف بعقيدة ما . فكل من اعترف بوجود الله (مثلا) أصبح في نظر الناس مؤمنًا. لكن هذا ليس من الصواب فى شيء ، لأن من يؤمن بوجود الله يبغض الخطية ويأبى أن يعيش فيها . وبما أن كثيرين من الذين يعترفون بوجود الله ، يرتكبون الكثير من الآثام غير حاسبين له تعالى حسابًا ، إذًا فهم ليسوا بمؤمنين . وإن قالوا أنهم يؤمنون ، فإيمانهم هذا لا يكون حقيقيا بل يكون إيمانا اسميا فحسب . وإيمان مثل هذا (إن جاز أن يسمى إيمانًا) لا قيمة له في نظر الله ، حتى إن كان ذووه يصومون ويصلون ويتصدقون كثيرا . وإذا كان ذلك كذلك ، يجب علينا أن نعرف ما هو الإيمان الحقيقي الذي يؤهلنا للتمتع بخلاص الله ، ولذلك نقول :

ا - معنى الإيمان من الناحية اللغوية : (ا) الإيمان لغة هو الثقة واليقين ، أو بالحرى هو الثقة بحقائق غير منظورة بناء على شهادة الله عنها ، وليس فقط بناء على إدراك العقل لها . لأنه وإن كانت حقائق الله تتوافق مع العقل السليم ، غير أنه من الواجب أن يكون الباعث على الإيمان بها ، هو إعلان الله عنها ، وليس توافقها مع هذا العقل، لأن الله أولى بالتصديق من عقولنا ، وذلك بسبب قصورها وعدم إدراكها لكل الأمور . وقد استعمل الكتاب المقدس كلمة الايمان بهذا المعنى فقال " الإيمان هو الثقة بما يرجى ، والايقان بأمور لا ترى " (عبرانيين ١١ :١) - هذا هو المعنى العام للايمان . وإذا أردنا تطبيقه على الإيمان الذي نحصل به على الخلاص ، يكون هذا الإيمان هو العمل الروحي الذي به تتفتح النفس الله ، وتثق في خلاصه الذي عمله في المسيح ، ثقة تجعلها توقن كل اليقين انها امتلكت هذا الخلاص مع البركات المترتبة عليه الى أبد الآباد .

(ب) غير أن للإيمان في بعض اللغات الأجنبية معان اخرى (١) ففى اللغة السنسكريتية (التي هي أصل كثير من اللغات الأوروبية) يراد أيضا به الرابطة ، ومن ثم يكون الإيمان بالمسيح هو الرابطة التي تربطنا به وتربطه بنا (Happy Chrisian) (٢) وفي اللغة اليونانية يراد أيضا به "الأساس الذي يستقر عليه الشيء" ، و "الجوهر الذي يجعل لهذا الشيء كيانه ووجوده"، كما يراد به "العقد الذي يثبت الملكية" - ومن ثم يكون الإيمان بالمسيح هو الأساس الروحي الذي يستقر عليه خلاص المسيح فى النفس ، وهو الجوهر الذي يجعل

لهذا ، الخلاص كيانا خاصا فيها ، وهو الوثيقة التي تؤكد للمؤمنين ملكيتهم لهذا الخلاص وأحقيتهم فى التمتع به ، كما يتمتع المالك بملكه الخاص الذي وضع يده عليه شرعا وفعلا (تفسير العبرانيين الكانون جاردنر ص ١٢٣) . (٣) وفي اللغة العربية يراد بالإيمان أيضا " الأمن ، ، فقد جاء في (المعجم الوسيط) " آمن إيمانا أى أمن ، ، ومن ثم يكون المؤمن شخصا يعيش في سلام واطمئنان (٤) وفى اللغة الانجليزية يراد به أيضا " الأمين ، ، ومن ثم يكون المؤمن شخصا أمينًا مخلصًا - والمعنيان الأخيران يردان فى الكتاب المقدس ليس تعريفا للايمان ، بل نتيجة له . فقد قال الوحي " إن لم تؤمنوا ، فلا تأمنوا" ، (أشعياء ٧ : ٩) ، كما قال عن غير المؤمنين " أنهم أشخاص لا أمانة فيهم " (تثنية ٣٢ : ٤) .

٢ - معنى الإيمان من بعض النواحى العلمية والفلسفية (١) وإذا استعرضنا لغة علم النفس ، يكون إيمان الخلاص هو استجابة " العقل الباطن " (١) ، للإعلان الالهى أن الخلاص قد تم بواسطة المسيح ، ثم اطمئنانه لهذا الإعلان وامتلاكه للخلاص المذكور مع البركات المترتبة عليه - وهذه الأعمال الروحية الثلاثة (أي الاستجابة والاطمئنان والامتلاك) تكون طبعا بموافقة " العقل الواعي (١) " ، لأن الإيمان المسيحى ليس هو الثقة بأمور وهمية أو مجهولة ، بل بأمور حقيقية معروفة.

(ب) وإذا استعرنا لغة العلوم الطبيعية ، يكون إيمان الخلاص هو استقبال النفس لخلاص الله الذي عمله في المسيح ، ثم حصولها عليه مع البركات السابق ذكرها، كما يستقبل السالب قوة الموجب ويحصل عليها . أو يكون هذا الإيمان هو تفاعل النفس مع الخلاص المذكور وتشبعها به ، تشبعا يجعله مع البركات المترتبة عليه جزءا لا يتجزأ من كيان النفس.

(ج) وإذا استعرنا لغتى الصوفية والوجودية ، يكون ايمان الخلاص هو اختراق النفس للحجاب (٢) واتصالها بالله ، ثم حصولها منه على الخلاص المذكور مع البركات المترتبة عليه ، بدرجة تجعلها تختبر هذه البركات وتتمتع عمليا بها . وقد أشار الى هذه الحقيقة كثير من المتصوفين والفلاسفة ، فقال القديس يوحنا المتصوف الإسباني ، " إن الإيمان هو اتصال النفس بالله واتحادها به " ، وقال كيركجارد فيلسوف الوجودية " إن الإيمان هو امانة النفس العتيقة ، أو " انا " المادية المتمردة ، ثم بعث هذه النفس في " أنا " روحية جديدة ، تكون مقترنة

بالله اقترانًا تامًا ..

وقال برجسون الفيلسوف المشهور " الإيمان هو عمل النفس الفاعلة بذاتها ، وتفاعلت مع الله فى حالة الانسجام الكلي معه . وهو وثبة ترقى بالنفس الى مجال فسيح الأرجاء ، وانجذاب نحو عالم أفضل يجعلها لا ترى إلا عظائم الأمور، وقال غيره " إن أول الايمان لقاء مع الله وآخره لقاء مع الله "

- معنى الإيمان من الناحية الدينية : والإيمان بلغة الكتاب المقدس هو (أ) عودة الإنسان إلى حالة الطفولة التي تتجلى فيها النفس ببراءتها وبساطتها ، ثم تصديقه وهو في هذه الحالة " ما قام به المسيح من خلاص وما يعطيه من بركات ، تصديق الأطفال الذي لا يشوبه شك أو ريب . ولذلك قال المسيح لنا " الحق الحق أقول لكم،

ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد ، فلن تدخلوا ملكوت السموات (متى ١٨ : ٣) . وقال الرسول " لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح (منها إلى الأرض) ، أو من يهبط الى الهاوية ، أي ليصعد المسيح من الأموات . لكن ماذا يقول الكتاب ، الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك (١) ، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها . لأنك إن اعترفت وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رومية ١٠ : ٦ - ١٠) أي يجب ألا يشك المرء في ما قاله الله عن بفمك بالرب يسوع ، خلاص المسيح لنا ، بل أن يصدقه كل التصديق ، كما يصدق الأطفال كل ما يقوله لهم أبوهم الطيب القلب.

(ب) وعدا المعنى السابق ، يعبر عن إيمان الخلاص في الكتاب المقدس بـ " قبول المسيح ". فقد قال " وأما الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه " (يوحنا ١ : ١٢) .

وقبول المسيح لا يراد به فقط قبول عقيدة الخلاص الذي عمله على الصليب (كما يظن بعض الناس) ، بل وأيضا قبول شخصه في النفس قبولا روحيًا كاملًا . ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك ، لأن مجرد قبول العقيدة لا يخلص ، إذ أن العقيدة فى حد ذاتها ليست إلا تعبيرا عن موضوع خاص ، والتعبير ليست له قوة فى ذاته ، أما المسيح فله في ذاته قوة الخلاص والأحياء معا (متى ١ : ٣١ ، يوحنا ١٠ : ١٠) ، ولذلك فإن بقبول النفس له تخلص من الخطية وتتمتع بالحياة

الأبدية.

ولتوضيح المعنى المراد بقبول المسيح إلى حد ما ، نقول : لنفرض أن رجلًا ثريًا فاضلا أراد أن يتبنى لنفسه غلامًا يتيمًا مسكينًا . فهذا الغلام له أن يرفض أبوة الرجل المذكور ، أو يقبلها مرغمًا ، أو يقبلها برضى وسرور. فإن قال فى نفسه (مثلا) أنى أخشى أن يعاملني هذا الرجل بقسوة ، أو يحرمني من الحرية التي أتمتع بها في حياتي ، أو يمنعني من الطعام الذي تشتهيه نفسي ، أو... أو ... ، فإنه لا يقبل أبوة هذا الرجل ، ومن ثم يظل في فقره وجهله وإن قبل أبوته مرغمًا ، يعيش حياته منغصًا ومن ثم ربما يترك الرجل المذكور يوما من الأيام ، لا يفيد منه بفائدة تستحق الذكر . لكن إذا ضرب بظنونه عرض الحائط وسلم أمره برضى وسرور لمن أراد أن يتبناه ، واثقا أنه سيرعاه ويعتنى به ، وأنه لو عامله يوما بشدة أو قسوة ، فإن هذه المعاملة ستكون لخيره وفائدته ، ومن ثم يقبل أبوة هذا الرجل دون قيد أو شرط ، فإنه سيتمتع بثروته كل التمتع ، كما سيفيد من تهذيبه وتعليمه كل الفائدة .

وعلى هذا القياس مع الفارق الذى لا بد منه، نقول : ان من يقبل المسيح بمحبة وسرور ، لكي يكون مخلصًا لنفسه وحياة لها ، فإنه يخلص من قصاص خطاياه ويصبح مبررًا أمام الله ، وفى الوقت نفسه يتمتع بحياة المسيح السامية فى نفسه . أما من يرفض المسيح أو قبله قبولا اسميا أو عقليا فحسب ، فانه يحرم نفسه من الخلاص والتبرير كما يحرمها من حياة المسيح فيها - وهذا هو الشقاء الأبدي بعينه.

(ج) والإيمان بالمسيح يمكن أن يعبر عنه أيضا في الكتاب المقدس بالاتكال على المسيح والاعتماد عليه ، أو بالحري براحة القلب والعقل على شخصه الكريم . فقد قال النبي لله " يا مخلص جميع المتكلين عليك " (مزمور ١٧ : ٧) . كما قال له " ويفرح جميع المتكلين عليك إلى الأبد " (مزمور ٥ : ١١) . وقال أيضا " الرب فادي نفوس عبيده ، وكل من اتكل عليه لا يعاقب " (مزمور ٣٤ : ٢٢) . لأن المرء عندما يتكل على المسيح لا يتخلى عنه المسيح بل يمتعه للتو بخلاصه ، ومن ثم يستريح هذا المرء كل الراحة ويطمئن كل الاطمئنان .

فالإيمان إذا يختلف عن الرجاء كل الاختلاف ، لأن الرجاء هو توقع الحصول على البركة في المستقبل، أما الإيمان فهو تملك البركة المنشودة والحصول عليها في الوقت الحاضر .

٤- الإيمان الحقيقي الإيمان الشكلي : مما تقدم يتضح لنا أن الإيمان أو بالحرى الإيمان الحقيقى ، ليس هو مجرد تصديق رسالة المسيح كحقيقة أعلنها الوحي وأيدها اختبار الرسل والقديسين ، لأنه إن وقف ايمان إنسان عند هذا الحد ، يكون إيمانا شكليا فحسب . والإيمان الشكلي وان كان ينشىء فى النفس اقتناعا بحقيقة الخلاص، لكنه لا يهيء لها سبيل الافادة منه . فمثل الإيمان الشكلى والحالة هذه ، مثل اقتناع الأعمى بجمال الطبيعة ، فإنه وإن كان يعطيه صورة ذهنية عنه ، لكنه لا يهيء له السبيل للتمتع العملي به وقد أعلن الوحي عدم فائدة هذا النوع من الإيمان فقال عن الشياطين أنهم يؤمنون ويقشعرون (يعقوب ٣ : ١١)، ومع ذلك لا خلاص لهم على الإطلاق .

والإيمان الحقيقي ليس هو أيضا اعتناق المسيحية لسمو مبادئها أو عظمة معجزاتها، فإن سيمون الساحر اعتنق المسيحية لسبب من هذين السببين ، ومع ذلك لم يكن قلبه مستقيما امام الله ، وكان في مرارة المر ورباط الظلم (أعمال ٨ : ٩ - ٢٣) .

كما أن القيام بالأعمال الصالحة أو الترنيم والصلاة ، أو الوعظ والإرشاد ، ليس دليلا على وجود الإيمان الحقيقى بأي حال من الأحوال، إذ من الجائز أن يقوم إنسان بكل هذه الأعمال بدافع من الشفقة الطبيعية أو الغريزة الدينية أو الغيرة الطائفية فحسب ، وتكون ديانته ديانة ذاتية بعيدة عن الله كل البعد (١) . وقول المسيح لبعض الذين كانوا يتنبأون باسمه ويخرجون الشياطين باسمه " أني لم أعرفكم قط " (متى ٧ : ٢٣) (١) خير شاهد على هذه الحقيقية .

لكن الإيمان الحقيقي هو عمل باطني يشغل قوى الإنسان الروحية كلها ، فالعقل الواعي يصدق المسيح ، والشعور يتأثر به والارادة تقبله ، والعقل الباطن يستريح له ويفيد منه . وبذلك تولد النفس (ذلك الجوهر السري الكامن في أعماق الإنسان) ولادة روحية تحصل بها على حياة جديدة تؤهلها لمعرفة الله والتوافق معه والسلوك حسب مشيئته - ولذلك فإن الإيمان الحقيقي عمل شخصي لا يستطيع إنسان قام به أن يعطيه لغيره على الاطلاق . فهو يشبه من هذه الناحية تناول الطعام واستنشاق الهواء ، فإن هذين العملين لا يفيدان إلا من يقوم بهما بنفسه.

وقد أشار الأستاذ ك .سامبسون بجامعة كامبردج (٢) الى الحقيقة السابقة فقال " إن الإيمان لا يتم بواسطة العقل فقط ، بل بواسطة النفس بأسرها، ومن ثم فانه يشبع كل احتياجاتها " . كما قال " أن الوجدان السليم يشترك مع العقل في إيمان.

فالآباء البررة (مثلا) يحبون أبناءهم، ليس لأن العقل فقط يتطلب ذلك ، بل لأنه يوجد ميل خفى فى نفوسهم يدعوهم الى محبة أبنائهم " - وقد يكون هذا الوجدان هو الحاسة السادسة في الإنسان ، التي ترى وتسمع وتدرك ما لا تراه أو تسمعه أو تدركه العيون والآذان والعقول الجسدية . فقد قال الرسول للمؤمنين القدماء عن المسيح

" الذي وإن لم تروه تحبونه ، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن ، لكن تؤمنون به، فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد " (١بطرس ١ : ٨)

٥ ـ اشتراك المؤمنين الحقيقيين في الإيمان على السواء : نظرًا لأن الخلاص من قصاص الخطية وسلطانها هو بواسطة المسيح دون سواه ، ونظرا لأن كل الناس خطاة ولا خلاص لهم إلا بشخصه ، لذلك فإن أعظم الرسل وأصغر المؤمنين يتساوون جميعا في الإيمان الذي ينالون به هذا الخلاص . ولذلك قال بطرس الرسول مرة للمؤمنين الذين نادي لهم الى الذين نالوا معنا ايمانًا ثمينًا مساويًا لنا ببر إلهنا بالإنجيل والمخلص يسوع المسيح " (٢ بطرس ١:١) . وقال بولس الرسول عن هذا الايمان انه " إيمان واحد ، أى واحد لكل الناس (أفسس ٤:٥). كما قال لتلميذه تيطس عنه أنه " الإيمان المشترك " أي الذي يشترك فيه جميع المؤمنين الحقيقيين على السواء - أما ما يتفاوت فيه المؤمنون الحقيقيون فليس هو ايمان الخلاص، بل هو ثمر هذا الايمان أو عمله . وثمر الإيمان أو عمله ليس هو السبيل الى الخلاص ، بل انه السبيل الى تقدمنا في الحياة الروحية ، وما يترتب على ذلك من الحصول على جزاء خاص من الله ، كما ذكرنا في الفصل السابق.

ثانيًا - تأثير الإيمان الحقيقي في النفس

١ - التغيير الروحي : ان للايمان الحقيقي تأثيرا عظيما في النفس ، فالمرء بمجرد أن يؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًا ، أو بالحرى يقبله في أعماق نفسه ربًا وفاديًا ، تتولد فيه حياة روحية لا عهد له بها من قبل فيتجه إلى الله ويهواه ، ويتوق للاتصال به والسير معه . كما يتولد فيه عالم روحي جديد مملوء بالثقة واليقين ، والسلام والاطمئنان ، والحكمة والفهم ، والفرح والابتهاج ، والإقدام والشجاعة ، والطهارة والقداسة والتواضع والوداعة ، والبذل والتضحية ، وغير ذلك من القوى الروحية التي تنير كيانه الداخلي بنور سماوى ، الأمر الذي لا تستطيع أن تفعله المساعي الشخصية ، أو النظريات الاخلاقية والدينية جميعا.

٢ - التمتع ببركات السماء من الآن : فضلا عن ذلك فان المؤمن الحقيقي يستطيع

التمتع الى حد كبير ببركات السماء وهو لا يزال على الأرض، لأنه وإن كان لم يدخل السماء بعد ، لكنه بالايمان يستطيع أن يراها في قلبه ، إذ أن الإيمان يلاشى الزمن ويمحو المسافة ويجعل الأمور المستقبلة حاضرة أمامنا وفي قبضة أيدينا . حقا قال الوحي عن المجد السماوى أنه " ما لم تر عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على بال انسان " (١ كورنثوس ٢ : ٩) . لكن هذا المجد ليس مخفيا عنا ، بل معلن بالروح لنا ، فقد قال الوحى بعد هذه العبارة مباشرة إن الله أعلنه لنا بروحه، إذ أن روح الله يرفع الستار عن هذا المجد ، ومن ثم نستطيع التمتع به فى قلوبنا ونحن لا نزال على الأرض . وما الحياة التي نحياها الآن مع الله بالروح (رومية ٨ : ١) الا فاتحة الحياة الأبدية في السماء . (١ تسالونيكي ٤ : ١٧) ، وما السلام الذي نشعر به الآن على أساس الفداء الكريم (رومية ٥ : ١) إلا بشير السلام الأبدي الكامل الذي سنتمتع به هناك (رؤيا ٢١ : ٤ - ٥) ، وما الأفراح الروحية التي تجيش في نفوسنا الآن بواسطة عمل الروح القدس فيها (فيلبي ٤ : ٤) إلا باكورة الأفراح الأبدية التي تنتظرنا هناك (يوحنا ١٦ : ٢٢) ، وما التسابيح التي تنطلق من قلوبنا الان الا طلائع التهليل بالقيثارات الذهبية فى السماء (رؤيا ٥ : ٨ - ١٠) ، وما عناقيد العنب التي نراها ونأكل روحيا منها الآن (عدد ١٣:٢٢) الا عينة للمتع الروحية التى لنا هناك (نشيد ١ : ٤)

٣- مثال لتأثير الإيمان في النفس وعمله فيها قرأت عن نابليون أنه كان يقوم مرة باستعراض جيش له ، فأفلت لجام الحصان من يده ولذلك أسرع الحصان في الركض ، وكاد الامبراطور يسقط على الأرض فاخترق أحد جنوده الصفوف بسرعة البرق واعترض طريق الحصان ، وأعاد اللجام الى نابليون · فسر نابليون بهذا الجندي ، وقال له " أشكرك أيها القائد ، فرد عليه الجندي قائلا " فى أى فرقة ياسيدى" ؟ فازداد سرور نابليون بهذا الجندى لأنه آمن بكلمته ، وقال له " في فرقة الحرس الإمبراطوري ".

وحينئذ ترك هذا الجندي رفقائه ، ووقف فى مقدمة الحرس المذكور . ولما انتهره بعض ضباطه بالقول " لماذا تقف أيها الجندي أمام ضباط الحرس الامبراطوري ؟" أجابهم بكل ثبات " أنا قائد هذا الحرس" فسخروا منه وقالوا له " من أقامك قائدا له؟" فأشار الجندي إلى الامبراطور وقال لهم " هذا هو الرجل الذي

أقامني"

فالجندى المذكور آمن بكلمة الامبراطور وصدقها ، ومن ثم تبوأ في الحال مركز القائد وتصرف التصرف الذي يليق به ، غير مبال بالثياب العادية التي كانت عليه ، أو بعدم صدور القانون الذي يعلن ترقيته الى الرتبة التي أعطيت له ، أو بتجاهل الضباط له وسخريتهم منه ، اذ كان يكفيه اقتناعا بأحقيته في مركزه الجديد ، أن نابليون نفسه هو الذي قال له انه قائد الحرس المذكور . وبعد ذلك بقليل أعطى نابليون هذا الجندي ملابس القائد وشارته وامتيازاته في حفل عظيم.

وفي ضوء هذه الحادثة نقول : إذا كان هذا الجندي ، بناء على كلمة من نابليون ، آمن أنه أصبح قائدا لأعظم حرس في بلاده ، وشغل في الحال هذا المركز ، فكم يجب أن يكون موقفنا نحن إزاء أقوال الله المدونة لنا بكثرة فى كتابه العزيز، والتي تعلن لنا أن المسيح كفر عن خطايانا ، و أعطانا حياة أبدية ، وأننا أصبحنا من الان أولادا لله يسكن فينا روحه القدوس ! أما يليق بنا أن نؤمن كل الإيمان بحصولنا على هذه الامتيازات ، وأن نتمتع بها منذ الآن الى أقصى حد تصل اليه مداركنا . وأن تتصرف في حياتنا التصرف الذي يليق بمركزنا الجديد.

أخيرًا نقول أن كل ما ذكرناه في هذا الفصل ، ما هو إلا محاولة لشرح معنى الإيمان وتأثيره في النفس ، أما شرحه شرحا وافيا فلا يكون بلغة الكلام بل بلغة الاختبار . فهو يشبه من هذه الناحية الصحة التي تسرى في أجساد الأصحاء ، والسعادة التي تسري في نفوس السعداء، فإننا مهما تحدثنا عنهما للضعفاء والبؤساء لا يمكن أن يدركهما واحد منهم على الإطلاق ، إذ أن الذي يدركهما، هو فقط الذي يتمتع فعلا بهما .. ولذلك اذا اتجه القراء بكل نفوسهم الى المسيح الآن وقبلوه مخلصا وحياة لهم ، يمكنهم أن يدركوا ما هو الإيمان، وما هي البركات العظيمة التي تترتب عليه إدراكًا حقيقيًا.

---

(١) العقل البشري (كما يرى العلماء) يتكون (أولا) من العقل الواعي وهو العقل الذي نفكر به ونريد عندما نكون في حالة اليقظة (ثانيا) العقل السلبي ، وهو

مستودع الغرائز والميول المكبوتة . وهذا العقل " ينفس" ، عما فيه من موضوعات عندما نكون في حالة النوم ، أو عندما يكون العقل الواعي مقهورا أو فى غفلة (ثالثًا) العقل الباطن هو ما يسمى فى الكتاب المقدس "الإنسان الباطن" ، ، وهو موطن قوى النفس ومواهبها ، ويظهر فى النبوغ والتسامي والاختراع عند بعض الأشخاص ولعل العقل السلبي هو ما يسمى فى الكتاب المقدس " الإنسان العتيق" الذي يتصف بشهوات الغرور (أفسس ٤ : ٢٢) ، والعقل الباطن هو ما يسمى " الانسان الباطن " الذي فيه يؤيدنا الله بالقوة بواسطة الروح القدس (أفسس ٣ : ١٦ - ١٩) .

أما الطبيعة الجديدة التي تتكون في الإنسان الباطن ، فهي " الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (كولوسي ٣ : ١٠)

(١) وقد أشار الوحى الى أهمية العقل الواعي من الناحية الروسية فسجل عن المسيح أنه فتح أذهان تلاميذه لكي يفهموا الكتب المقدسة (لوقا ٢٤ : ٤٥) وسجل عن الرسول بولس أنه كان يصلي لكي تستنير عيون أذهان المؤمنين حتى يعلموا ما هو رجاء دعوة الله (أفسس ١ : ١٨) ، والفهم والعلم هما أهم أعمال العقل الواعي.

(٢) " الحجاب " هو ما يحجب النفس عن الله ، وما يحجب النفس عن الله هو الطبيعة البشرية العتيقة ، التي لا تتوافق معه في شيء من صفاته العلوية السامية. فاختراق الحجاب اذا هو الانصراف عن الجسد بما فيه من شر أو خير (ان كان فيه ثمة خير) ، لكي تكون النفس تحت تأثير الله دون سواه.

---

(١) أى أن كلمة الخلاص مقدمة لكل انسان باللغة التي يفهمها ، ويشعر في أعماق قلبه بحاجته إليها.

---

(١) لأن الشفقة الطبيعية قد توجد في الحيوان ، والغريزة الدينية والغيرة الطائفية

قد توجدان عند عبدة الأوثان، (١) ولا غرابة في ذلك ، فيهوذا الاسخريوطي كان يعمل معجزات مثل باقي التلاميذ ، ويوجد بين رجال الدين أشخاص أشرار يعظون عظات رنانة يتأثر بها كثير من الناس ، فيتوبون إلى الله ويرحمهم بينما يهلك الى الأبد الأشخاص الذين وعظوهم - وبهذه المناسبة نقول أن بعض السحرة يستخدمون فى أعمالهم المزامير والصلاة الربانية فيظن بعض البسطاء أن هؤلاء السحرة يقومون بأعمالهم بقوة الله والحال أنهم يقومون بها بقوة الشيطان الذى يعمل في الخفاء وفق أنظمة وخطط يعلنها لأتباعه بطرق خاصة حتى يحولوا الناس عن الاتكال على الله والسير بالإيمان معه.

The Faot of christ, p 80 - 82

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

أهمية الإيمان وعلاقته بالعقل

أولا - أهمية الإيمان

١ - المسيح وأهمية الإيمان : إذا رجعنا الى حياة المسيح على الأرض ، نجد أن الإيمان كان يشغل جانبا كبيرا من تعليمه . . فكان يقول لسامعيه " كل ما تطلبونه حينما تصلون ، فآمنوا أن تنالوه (١) فيكون لكم " (مرقس ١١ : ٢٤) . و " كل شيء مستطاع للمؤمن ، (مرقس ٩ : ٢٣) و" ليكن لكم إيمان بالله " (مرقس ١١ : ٢٢). و " لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك ، فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم " (متى ١٧ : ٢٠). ولذلك كان للايمان كل الأهمية لديه ، ليس في عمل المعجزات فحسب، بل وأيضا في منح الغفران للخطاة النادمين على خطاياهم . فالمرأة الخاطئة التى ندمت على خطاياها ، قال لها المسيح " إيمانك قد خلصك . اذهبي بسلام " (لوقا ٧ : ٥) . والمفلوج الذي أتى به حاملوه الى المسيح غفر له خطاياه وشفاه من أجل إيمانهم (لوقا ١٧ : ١٩) . كما أنه مع قدرة المسيح التي لا حد لها ، لم يستطع أن يعمل معجزة واحدة للذين كانوا لا يؤمنون بقدرته على عملها (مرقس ٦ : ٦، متى ١٧ : ٢٠) (١) ، ولذلك كان (بسبب رغبته الحارة في الإحسان الى الناس) يحرضهم على الإيمان به، حتى ينالوا ما يحتاجون إليه من ولما وجد أنها فارقت الحياة من عطاياه . فمرة استدعوه لشفاء فتاة قال لوالدها " لا تخف ، آمن فقط فهي تشفى " . ولما آمن شفيت (لوقا : ٥) . وعندما أتاه رجل يشكو من مرض فى ابنه قائلا له " ان كنت تستطيع شيئا ، فتحنن علينا "، . فأجابه المسيح على الفور " ان كنت تستطيع أن تؤمن كل شيء مستطاع للمؤمن " فلما وجد الرجل أن العيب صرخ في الحال بدموع قائلا : " أؤمن يا سيد ، فأعن عدم فيه وحده ، ايمانى ". وفى الحال شفي ابنه من مرضه (مرقس ٩ : ٣ ، ٢٣ - ٢٨) ونظرا لأهمية الإيمان وبخ المسيح تلاميذه مرة لعدم اعتمادهم على الله فيما يحتاجون إليه من طعام ، فقال لهم " لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلى الايمان ، انكم تأخذون خبزا " (متى ١٦ : ٦) ومرة أخرى لخوفهم من الغرق وهو معهم قال لهم " ما بالكم خائفين يا قليلي الايمان؟"

(متى ٨ : ٢٦) . ومرة غيرها لعدم قدرتهم على إخراج شيطان من غلام ، قال لهم " لعدم إيمانهم لم تستطيعوا " (متى ١٧ : ٢٠)

٢ - رسل العهد الجديد وأهمية الإيمان : وقد عرف الرسل من المسيح أهمية

الإيمان ، فقال بولس الرسول " ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله ، لأنه يجب أن الذى يأتى الى الله يؤمن بأنه موجود ، وأنه يجازي الذين يطلبونه " (عبرانيين ١١ : ٦) كما أعلن أن الايمان هو العامل في التعزية أو بالحرى فى الراحة النفسية، فقال للمؤمنين لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعا ، إيمانكم وإيماني " (رومية ١ : ١١) . وهو العامل أيضا فى ثباتهم أمام الضيقات والتجارب ، فقال لهم " لأنكم بالإيمان تثبتون " (٢ كورنثوس ١ : ٢٤) . ولذلك قال عن الايمان انه ترس (أفسس ٦ : ١٦) وانه درع (١ تسالونيكي ٥ : ٨)

وقال بطرس الرسول أن الإيمان ثمين (٢ بطرس ١ : ١) ، وأنه الباعث على القيام بكل الفضائل (٢ بطرس ١:٥) . وقال يعقوب الرسول " صلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه . وإن كان قد فعل خطية تغفر له " (يعقوب ٥ : ١٥) . وقال أيضا " وانما ان كان أحدكم تعوزه حكمة ، فليطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من عند الرب " (يعقوب ١ : ٥ - ٧) . وقال يهوذا الرسول ان ايماننا هو الإيمان الأقدس ، وأنه الأساس الذي نبنى عليه نفوسنا وندعمها (يهوذا ٢٠) . وقال يوحنا الرسول : إن الاعتراف (بالمسيح أو بالحري الإيمان به) هو السبيل إلى الثبات فى الله فينا (١ يوحنا ٤: ١٥) ، كما أنه أيضا هو السبيل إلى الغلبة على العالم وكل ما فيه من أهواء (١يوحنا ٥ : ٤)

٣ - رجال العهد القديم وأهمية الإيمان : وإذا رجعنا الى العهد القديم ، نجد أن الإيمان كان له أيضا كل الأهمية في النجاة من الضيقات والحصول على معونة الله وتعضيده . فقال داود النبي " لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء (تقضى على الأشرار) " (مزمور ٢٨ : ١٣) . وقال إشعياء النبي لبني إسرائيل

" إن لم تؤمنوا ، فلا تأمنوا" (إشعياء ٧ : ٩). وقال يهوشافاط لهم " آمنوا بالرب الهكم فتأمنوا . آمنوا بأنبيائه فتفلحوا " (٢ أيام ٢٠ : ٢٠) .

وقال حبقوق " البـــار بايمانه يحيا " (حبقوق ٢ : ٤) كما أن بنى اسرائيل عامة لم يدخلوا الراحة التي وعدهم الله بها قديمًا الا لعدم الايمان (عبرانيين ٣ : ١٨)، اذ ان كلمة الله لم تنفعهم لأنها لم تكن ممزوجة بالايمان في الذين سمعوا (عبرانيين ٤:٢)

٤- الإيمان والاختبارات اليومية : ان الاختبارات اليومية سواء في الأمور المادية أم الروحية، تثبت لنا أهمية الإيمان . ففى الأمور المادية نرى أنه لو كنا نقيم في منزل لا نثق فى متانته، لا يمكن أن يهدأ لنا بال للوجود فيه لحظة . ولو كنا لا نثق أن السيارة التي نركبها ستصل بنا الى غايتنا بسلام، لا يمكن أن نستخدمها . ولو كنا لا نثق في قدرتنا الجسدية ، لا يمكن أن نقوم بعمل يتطلب مجهودا . ولو كنا لا نثق في أصدقائنا ، لا يمكن أن نأمن جانبهم أو نفيد من واحد منهم . ولو كنا لا نثق أننا سنحصل على أجر لعملنا ، لا يمكن أن نعمل ، ولو كنا لا نثق أننا سننتصر على اعدائنا ، لا يمكن أن نحارب . لكن ثقتنا في منزلنا وسيارتنا وفى قدرتنا الجسدية وأصدقائنا ، وفي الحصول على الأجر الذي نستحقه والنصر الذي نريده ، هي التي تبعث الطمأنينة الى نفوسنا وتفسح أمامنا المجال للعمل في هذه الدنيا - فضلا عن ذلك فقد أثبت علم النفس الحديث بأدلة لا شك فيها ، أن للإيمان قوة عظيمة في

شفاء بعض الأمراض الجسدية وإصلاح الكثير من العيوب النفسية وفي الأمور الروحية نرى أن الإيمان هو الذي يسمو بنفوسنا فوق الأهواء والشهوات ، فننتصر عليها ونتمتع بالطهارة والقداسة . وهو الذي يفتح المجال أمامنا للاتكال على الله في أي ضيقة نجتاز فيها ، فتهدأ أفكارنا وقلوبنا ونرى سبيل الخلاص من هذه الضيقة واضحا جليا . وهو الذي يعد نفوسنا للشركة الروحية مع الله ، فنلتقى به ونتمتع بشخصه ونعيش تحت تأثيره . وهو الذي يمدنا بالقوة في الإنسان الباطن ، فننمو فى الحياة الروحية ونكون أهلا لخدمة الله وإكرامه في العالم الحاضر ، وهو الذي يحول قلوبنا عن المطامع المادية ويوجهها الاكتفاء بالله وحده ، فنكف عن الحبو على الأرض ونتهيأ للوجود في السماء التي لا مجال فيها للأمور المادية على الاطلاق - ولذلك فالإيمان يعطي الحياة معنى أدبيا ساميا ، ويعدها بثروة روحية طائلة ، ويملؤها عذوبة ليس لها نظير في العالم المادي .

٥ - السبب في أهمية الإيمان : إن السبب في أهمية الإيمان يرجع الى عاملين رئيسيين (الأول) إن الإيمان كما مر بنا هو فتح أبواب النفس لله وتهيئتها لقبول عطاياه ، أو بتعبير آخر هو الجو الروحي الذي يتناسب مع طبيعة الله وكيفية تداخله في مساعدة الناس ، ولذلك فإن في هذا الجو وفيه وحده ، تجرى عطاياه إليهم (الثاني) إن الإيمان كما مر بنا هو التصديق. ولذلك فمن يؤمن بأقوال الله ، فإنه يصدق الله ، ومن لا يؤمن بها ، فإنه (بكل أسف) يكذب الله .

فقد قال الوحي " ومن لا يصدق الله فقد جعله كاذبا " (١ يوحنا ٥ : ١٠) ومن يكذب الله لا يمكن أن يجد خيرًا من الله. لذلك وضع الوحي غير المؤمنين مع الأشرار جنبا الى جنب ، فقال : " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثانى " (رؤيا ٢١ : ٨) - ولذلك لا عجب اذا كان الله لا يهب الخلاص - إلا للذين يؤمنون إيمانًا حقيقيًا.

ثانيًا - الإيمان وعلاقته بالعقل

١- سهولة الإيمان وسموه : إن الإيمان كما اتضح لنا مما سلف سهل لدى بعض الناس وصعب لدى البعض الآخر ، فبينما يراه البعض قريبًا ، يراه البعض الآخر بعيدًا . وبينما يستطيع البعض أن يتمتعوا به في لحظة ، يستغرق البعض الآخر فى بلوغه زمنًا طويلًا . ومن ثم فأبسط الناس يمكنهم أن يؤمنوا بالمسيح ، وذوو العقول الكبيرة لا يجدون أمامهم أسمى من الإيمان ، ومع ذلك فانهم اذا تواضعوا وعرفوا أنهم خطاة مثل غيرهم من الناس ، وأنهم فى حاجة الى خلاص الله مثلهم ، يمكنهم أن يؤمنوا أيضا بالمسيح ويفيدوا من الخلاص المذكور . وقد رأى المسيح هذه الحقيقة قبل أن نراها ، فقال مرة " أحمدك أيها الاب ، رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه (أي معرفته (١) والايمان به) عن الحكماء والفهماء ، وأعلنتها للأطفال" (متى ١١ : ٢٥) ، قاصدًا الحكماء والفهماء ، ليس ذات الحكماء والفهماء ، بل الذين يظنون في أنفسهم أنهم حكماء وفهماء (١) ، وقاصدا بالأطفال ليس الأطفال في السن أو الادراك ، بل تلاميذه الأفاضل الذين كانوا يشبهون الأطفال في براءة نفوسهم وصفائها.

وإن نسيت فلا أنسى شابًا مثقفا قال لي مرة على أثر حديث لي عن الإيمان : أنه يستطيع أن يعطي الفقراء شطرًا كبيرًا من المال ، ويستطيع أن يصلي فى اليوم الواحد عدة مرات ، ويستطيع أن يصوم بضع أيام دون طعام أو شراب ، ويستطيع أن يصد الكثير من الأهواء والشهوات ، ويستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب الكثير من الآيات ، ويستطيع أن يبرهن للناس أن المسيح هو المخلص الوحيد من الخطية ونتائجها . ولكن مع ذلك يرى الإيمان بعيدا عن نفسه بعدًا عظيمًا (٢) - والحق لقد قال الصدق الذي لا يعرفه كثير من الناس ، لأنه ما أبعد الإيمان عن الذين يعتمدون على عقولهم وحدها ، كما ما أبعده عن الذين ينظرون إلى الدين نظرة سطحية فحسب ، إذ أن الايمان (أو بالحرى الإيمان الحقيقي) لا

يمكن بلوغه إلا بعمل قوى النفس جميعا ، وفى مقدمتها العقل الباطن (أو الإنسان الباطن) كما ذكرنا . فضلا عن ذلك يجب أن يعلم هذا الشخص وأمثاله أنه بدون الحياة الروحية التى يعطيها الله للناس على أساس الإيمان الحقيقي به، لا يستطيع واحد منهم أن يتوافق مع الله على الإطلاق ، ومن ثم لا يستطيع أن يصلى الصلاة المقبولة لديه ، أو يعمل شيئا من الصلاح الذي يتوافق مع كماله . لذلك يجب على المرء أن يحصل ولا على هذه الحياة ، قبل أن يتيسر له القيام بأى عمل من الأعمال المذكورة بالحالة المرضية أمام الله .

٢- عدم تعارض خلاص المسيح مع العقل : يأخذ بعض الناس على المسيحيين أنهم سريعوا التصديق، وأنهم يؤمنون بعقائدهم دون بحث أو تفكير . ولكن هذا اتهام لا أساس له ، فقد اتضح لنا في الفصل الأول أنه لو كان هناك خلاص من قصاص الخطية وسلطانها (ومن المؤكد أن يكون هناك خلاص منهما للأسباب التي ذكرناها) فإنه لا يمكن أن يتأتى عن طريقنا ، بل عن طريق الله. وذلك بالفداء الذي عمله لأجلنا في المسيح ، وبالحياة التي يحياها فينا بروحه القدوس وأنه لا سبيل للتمتع بهذه الحياة أو ذلك الفداء إلا بالإيمان الحقيقي.

اننا لا ننكر أن هذا الخلاص يسمو فوق العقل ، لكنه لا يتعارض معه على الإطلاق. ولا غرابة في ذلك ، فهناك فرق هائل بين الأمور التي تتعارض مع العقل وبين التي تسمو فوق إدراكه فالأولى لا تتفق في مبادئها مع العقل ، أما الثانية فتتفق في مبادئها معه، لكنها تظهر في أعمال تسمو فوق إدراكه . فلو قلنا (مثلًا) إن الله يبغض الناس، لكان هذا القول متعارضا مع العقل ، لأن المفروض هو أن يحب الله الناس الذين خلقهم على صورته كشبهه . أما لو قلنا إن الله أحب الناس حتى احتمل في ذاته نتائج خطاياهم، فإن هذا القول لا يكون متعارضا مع العقل بل يكون أسمى من إدراكه . لأن المفروض هو أن يحب الله الناس أكثر مما يحب الأباء أبناءهم، وتبعا لذلك يمكن أن يتحمل اساءة الناس أكثر مما يتحمل الاباء اساءة أبنائهم ، لأن الاباء مهما سمت محبتهم فهى محدودة ، أما محبة الله فغير محدودة .

ومع كل فانه وان كان الخلاص الذي عمله المسيح لنا يسمو فوق العقل الواعي ، لأن محبة المسيح لنا (كما قال الوحي) تفوق المعرفة (أفسس ٣:١٩). ولكن العقل الباطن يستطيع أن يدرك هذا الخلاص كل الإدراك ويطمئن له كل الاطمئنان ، بل يستطيع أن يجابه اعتراض العقل الواعى من جهته أن كان له اعتراض ، ويقهر حجته ان كانت له حجة . إذ أن الحقائق الروحية التى يختبرها

العقل الباطن بناء على أقوال الله ، هي أثبت وارسخ من حجج العقل الواعي جميعا ، لأن هذا العقل مع ما وصل إليه من نضوج ورقى ، لا يزال يجهل الكثير حتى من أمور الدنيا التي تقع تحت إدراكه واحساسه.

وقد اختبر الحقائق السابقة كثير من العلماء والمفكرين . فقال شلر " إننا حينما نلجأ إلى الايمان ، لا نلجأ الى أمر يسلب العقل معه بل نلجأ الى ما يجعل العقل أكثر فاعلية وأقوى تأثيرا " ، كما قال : أن البرهنة على صدق شيء تختلف كل الإختلاف عن الإيمان به .

ولكي نحيا حياة مستقيمة ينبغى ألا نسلم فقط بأن العقيدة الفلانية قد قامت عليها أدلة صادقة كثيرة ، بل أن نصدق أيضا هذه الحقيقة ونؤمن بها والإيمان ليس عملا عقليا عاديا ، بل يتطلب مقدارا كبيرا من الارادة والاختبار . وما الغرض من الفلسفة النظرية إلا أن تجعل الثورة الفكرية ، التي تحدث في عقل الانسان ، ايمانًا راسخًا . إذ أن المعرفة وحدها لا تجدى ، ان كانت مجردة من الإيمان " (١) . وقال همرشولد (٢) " كنت في أول الأمر لا أفهم حقائق الإيمان المسيحي ، ولذلك كنت أقاومها في نفسي من وقت الى آخر . لكن عندما أدركتها ، أصبحت أعتز بها أكثر من كل شيء في الوجود ، كما أصبح فى وسعى البرهنة على صدقها دون أن أتجاوز مطالب الأمانة الفكرية " - ولولا أننا نعتمد في أيماننا على شهادة الله ، وليس على شهادة الناس ، لكنا قد ذكرنا في هذا المقام الشيء الكثير من أقوال الفلاسفة والعلماء التي تدل على اختبارهم لصدق الإيمان المسيحى وأهميته.

أخيرا يسأل بعض الناس : لماذا يطلب الله منا أن نؤمن بامور نعجز عن إدراكها بعقولنا وحدها ؟ وللإجابة عن ذلك نقول : إن العقل البشري محدود ، والمحدود لا يستطيع أن يدرك كل شيء عن غير المحدود . ولذلك اذا حاولنا أن ندرك كل شيء عن الله ، فإننا نعجز كل العجز ، كما ندخل في صراع عنيف بيننا وبين أنفسنا لا يعود علينا بخير أو فائدة . ومع كل نقول ان العالم الذى نعيش فيه يعلن لنا أيضا أن الايمان بأمور سامية تفوق العقل والادراك له أهميته وفائدته : لأننا نرى أن الزعماء والمكتشفين ، والعلماء والفنانين ، والأدباء والمصلحين ، الذين حازوا أسمى الألقاب والدرجات ، هم أشخاص أمنوا عن طريق الهام أو خاطر في نفوسهم بمبادئ لم تكن معروفة في أيامهم ، أو بقوى طبيعية لم تكن تقع تحت إدراك حواسهم ، أو .... أو ....ثم ناضلوا بكل قواهم في سبيل التمسك بما آمنوا به ، حتى حققوه للملأ علنا .

واذا كان ذلك كذلك ، أدركنا أن الله يتطلب من الأشخاص الراغبين في التوافق معه أن يؤمنوا بوحيه الذي يسمو فوق ادراكهم لأنه يريد الا يكون هؤلاء الأشخاص أطفالا قصيري البصر لا يؤمنون إلا بما يقع بين أيديهم من أمور ، بل أن يكونوا أبطالا فى عالم الروح يمكنهم أن يسموا بمداركهم فوق كل منظور ، حتى يتقابلوا مع شخصه غير المنظور. وبذلك يرون ما لا يستطيع غيرهم أن يروه، وأن يسمعوا ما لا يستطيع غيرهم أن يسمعوه ، وأن يعملوا ما لا يستطيع غيرهم أن يعملوه - هؤلاء الأشخاص وهؤلاء الأشخاص وحدهم ، هم رجال الايمان الذين يمكن أن يعاملوا مع الله وأن يتعامل الله معهم ولذلك طوب المسيح المؤمنين الذين يؤمنون دون أن يروا فقال " طوبى للذين آمنوا ولم يروا " (يوحنا ٢٠ : ٢٩) ، لأنهم بالإيمان يستطيعون أن يروا مجد الله الذى لا يستطيع غيرهم أن يروه (يوحنا ١١ : ٤٠) .

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025

٦

نماذج من العهد القديم عن الإيمان

ذكرنا فيما سلف شيئا عن الإيمان وأثره في النفس ، وللفائدة نأتي فيما يلي ببعض النماذج التي وردت في الكتاب المقدس عنه ، لكي تكون منوالا ننسج عليه ، فمكتوب " انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم " (عبرانيين ١٣ : ٧) .

١ ـ تقديم هابيل ذبيحة عن نفسه لله : فقد قال الوحي عنه "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين ، فيه (أي بالإيمان) شهد له أنه بار ، إذ شهد الله لقرابينه " (عبرانيين ١١ : ٤) - أن دليل على أنه كان يؤمن بالله ، وأنه كانت له تقديم هابيل ذبيحة لله ، معه علاقة خاصة مع أنه لم يره بعينيه وسمعه بأذنيه . ومن هذه العلاقة، عرف أن الله وإن كان شفوقًا رحومًا غير أنه قدوس وعادل أيضًا . ومن ثم أدرك هابيل بالايمان أنه لا يمكن أن ينجو من قصاص إلا إذا قدم ذبيحة عن نفسه لله . وهذه الحقيقة لم يكن لهابيل خطاياه أن يدركها بعقله وحده ، أو يتلقاها من أبيه وحده فأخوه قايين كان ، ويعتقد أن النجاة من هذا القصاص تكون بالجد يستهجنها ويحتقرها والاجتهاد ، الأمر الذي ظهر فى تقديمه قربانا لله من ثمار الأرض التي كان يفلحها بعرق جبينه (تكوين ٤ : ٣). ولكن ارتقاء هابيل فوق الفكر البشرى وايمانه بالله ايمانا حقيقيا ، هو الذى كشف له الحقيقة المذكورة . ولذلك قدم عوضا عن نفسه ذبيحة بريئة عنوانا للفداء رسمه له إيمانه . وبهذا الإيمان شهد الله لهابيل أنه بار ، ومن ثم كان أول من أخذ هذا اللقب الكريم بين البشر ، مثالا للعتيدين أن ينالوا التبرير اسطة الايمان الحقيقى بذبيحة المسيح ، التى كانت ذبيحة هابيل من الله بو رمزا لها من بعض الوجوه (١)

٢- سير أخنوخ مع الله : فقد قال الوحي عنه " بالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله اذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله " (عبرانيين ١١ : ٥) - ان العصر الذي عاش فيه أخنوخ كان يتميز بالجنوح عن الله والركض وراء الأهواء النجسة (كما يتضح من رسالة يهوذا)، لكن اخنوخ رأى ببصيرته الروحية أن الله لا يمكن أن يرضى عن هذه الأعمال ، ولذلك انصرف

عنها ، كما انصرف عن معاصريه جميعا ، غير مبال بالروابط الاجتماعية والعائلية التي تربطه بهم . ومع أنه لم ير الله بعينيه أو سمعه بأذنيه ، لكنه ارتقى اليه وأحبه ، ثم سار بالروح معه سيرا كاد يرقى بجسده أيضا إليه . ولما رأى الله أن اخنوخ يهفو اليه بهذه الدرجة التي لا نظير لها ، عز عليه أن يتركه مع البشر لقضاء الموت ، بل نقله وهو حى الى السماء ليواصل علاقته معه بحالة أفضل وأكمل ، فكان بذلك مثالا للقديسين الذين سينقلهم الله من هذا العالم دون أن يذوقوا الموت (١كورنثوس ١٥: ٥١ - ٥٢ ، ١ تسالونيكي ٤ : ١)

٣ - بناء نوح للفلك : فقد قال الوحي " بالايمان نوح ، لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد ، خاف فبنى فلكا لخلاص بيته ، فبه دان العالم وصار وارثا للبر الذي حسب الايمان " (عبرانيين ١١ : ٧) - كان نوح يعيش أيضا في عصر مثل الذي عاش فيه اخنوخ ، ولذلك انصرف عنه (كما فعل اخنوخ من قبل) و أطاع الله واتقاه . فأحبه الله وقربه إليه وأعلن له أنه سيرسل طوفانا على الأشرار حتى يفنيهم ، إذ أن سر الله لخائفيه وعهده لتعليمهم (مزمور ٢٥ : ١٤) . ومع أن نوحًا لم يكن قد سمع بعد عن طوفان يغطى الأرض كما قال له الله ، أو رأى أية بادرة تدل على جواز حدوثه ، إلا أنه آمن باعلان الله وخاف (وكلمة خاف لنا ، كما يقول علماء اللغات ، ترد في الأصل ليس بمعنى ارتعب من ذكر الطوفان ، بل بمعنى خشع أمام الله وتأثر بإعلانه) ، ولذلك شرع في بناء الفلك الذى أمره الله ببنائه . ومن المحتمل جدا أن معاصريه كانوا يسخرون منه ، لأنهم رأوه يبنى فلكا لم يشهدوا مثله في الضخامة من قبل ، ويبنيه داخل المدينة بعيدا عن شواطئ الأنهار والبحار بعدًا عظيمًا . ولكن نوحا لم يعبأ بسخريتهم وظل يعمل في فلكه حوالي مائة عام دون ملل أو كلل ، ودون أن يعتريه في أقوال الله شك أو ريب ، ذلك لأنه كان يؤمن بالله ايمانا حقيقيا ويصدق اعلانه على الرغم من غرابته بالنسبة إلى العقل . وفي الوقت المعين ، حقق الله قوله لنوح وغير نوح ، فأغرق الأشرار بالطوفان وأنقذ نوحا وأولاده منه بواسطة الفلك ، فصار بذلك وارثا للبر الذي حسب الإيمان ، ومثالا للمؤمنين العتيدين أن ينجوا بواسطة المسيح من الدينونة التي ستنصب على الأشرار في الأيام الأخيرة (٢ تسالونيكي ٢ : ٦ - ٨).

٤- (أ) انفصال إبراهيم عن عشيرته : فقد قال الوحي عنه " بالايمان ابراهيم لما دعي ، أطاع أن يخرج الى المكان الذي كان عتيدا ان ياخذه ميراثا . فخرج وهو لا يعلم الى أين يأتي " (عبرانيين ١١:٨) - كان إبراهيم يعيش بين أهله وعشيرته

في حاران . وبمجرد أن تلقى دعوة من الله بالخروج من هذه البلدة الى بلدة أخرى لم يعينها تعالى له، أطاع (وكلمة أطاع هنا ، كما يقول علماء اللغات ، ترد في الأصل بمعنى الطاعة السريعة التي لا تعرف ترددا أو تريثا) . وهنا يتجلى ايمان ابراهيم بصورة رائعة ، فقد آمن بدعوة الله وصدقها ضاربا عرض الحائط بكل احتجاجات العقل و سخرية قومه واستفهاماتهم المتعددة ، إذ كان يعلم علم اليقين أن الله لا بد أن يتمم ما وعد به . ولذلك لم يسأل الله : أين سيسير به ؟ أو متى سيأتى به الى المكان الذي قال له عنه؟ أو كيف يعلن له أن هذا هو المكان الذي يقصده تعالى (١)؟ أو.... ؟ أو ....؟ بل سار مع الله ، بالروح ، وهو لا يعلم الى أين يقوده تعالى ، أو متى يأمره بحط الرحال أو .... أو وكان لهذا التصرف ولا شك قدر عظيم في نظر الله ، فأحب ابراهيم وأكرمه.

(ب) تغرب إبراهيم فى أرض الموعد : فقد قال الوحي عنه " بالايمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ، ساكنا في خيام " - عندما دعا الله إبراهيم للخروج من حاران (وحاران كانت وقتئذ إحدى بلاد بابل المتحضرة) ، كان يتوقع حسب تفكيره أن الله سيقوده الى بلدة أفضل ، ولكنه وجد نفسه في صحراء قاحلة لا مجال فيها للراحة أو الاستقرار ، فأخذ يجوب فى مرتفعاتها ومنخفضاتها متنقلا بخيامه بين هذه وتلك ، حتى الجيل الثالث من أولاده (عبرانيين ١١ : ٩) ، دون أن يتذمر أو يفكر في العودة الى وطنه الذى خرج منه ، ذلك لأنه كان يرى الله أمامه ، وكفاه بالله رفيقًا ونصيبًا - وهكذا انتصر إيمانه مرة ثانية على أشواق الطبيعة البشرية وميولها ، وأيقن أن الله لا بد أن ينفذ وعده ويعطيه هو وأولاده في وقت ما ، الأرض الطيبة التي وعده بها فرأى فضلا عن ذلك فقد انفتحت بصيرته الروحية وهو في الصحراء السماء مدينة الله العلى ، وأدرك أن الله سيعطيها أيضا له موطنًا ، وأنه لمواصل إليها بعد حين . فرحب بها وعاش فيها بقلبه (عبرانيين ١١ : ١) ولذلك استهان بالغربة ومتاعبها . الأمر الذي لم يكن لغير الإيمان أن يفعله.

(ح) الثقة بأن الله سيعطيه ابنًا وهو في دور الشيخوخة : فقد قال الوحي عن إبراهيم " وإن لم يكن ضعيفا في الإيمان ، لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا (إذ كان ابن مائة سنة) ، ولا مماتية مستودع سارة (امرأته) ، ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله " (رومية ٤ : ١٩) - كان الله قد وعد إبراهيم من قبل بابن ، وأخذ ابراهيم ينتظر هذا الابن بكل صبر طوال سنى القوة ، لكن مضت هذه السنون دون أن يرزق به . ثم دخل هو وزوجته في دور

العقم الذي يستحيل معه على الطبيعة البشرية إنجاب البنين . وهنا كان من الجائز أن يشك إبراهيم في وعد الله ، غير أنه ارتفع فوق ناموس الطبيعة وصدق الله ، مؤمنا أنه لا يعسر عليه أمر ، فحقق الله وعده له وأعطاه اسحق الذي أدخل السرور إلى قلبه كثيرا.

(د) تقديم ابنه ذبيحة مع الثقة بأنه سيعود الى الحياة بعد ذبحه:

فقد قال الوحي " بالايمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب · قدم الذي قبل المواعيد وحيده ، الذي قيل له انه باسحق يدعى لك نسل . اذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا " (عبرانيين ١١ : ١٧ - ١٩) كان الله قد وعد إبراهيم بأنه باسحق سيكون له نسل ، وأن في هذا النسل (١) ستتبارك كل أمم الأرض (تكوين ٢٦ : ٤) . فعلق ابراهيم كل آماله على اسحق منذ ولادته، وعاش على هذا الأمل طوال حياته ولذلك عندما طلب الله من ابراهيم أن يقدم اسحق ذبيحة ، دخل ابراهيم في مأزق حرج . وهنا كان لإبراهيم أن يتساءل ، لماذا يطلب الله منى أن أقدم له اسحق : هل الله يسر بالذبائح البشرية كآلهة الوثنيين؟ ولماذا يطلب منى اسحق بالذات ، وهو يعلم أنه أغلى لدى من كل شيء في الوجود ؟ أو لماذا يطلب منى أن أذبح اسحق بيدى، وهو يعلم أنه أهون على أن أذبح نفسي من أن أذبحه ؟ ثم إن ذبحت اسحق وهو لا يزال فتى صغيرا ، فكيف يتمم الله وعده بالبركة للعالم كما قال ؟ وأخيرا ان كان الله يريد أن أقدم له اسحق ذبيحة ، أما كان من الأفضل ألا يعطيني إياه من أول الأمر ؟ لكن ايمان ابراهيم انتصر على احتجاجات العقل ، وتخطى الموت وما وراء الموت ، ووثق أن الله قادر أن يقيم اسحق بعد ذبحه ولذلك تغاضى ابراهيم عن عواطفه الأبوية والانسانية ، كما تغاضى عن عقائده وحججه المنطقية ، ووضع ابنه على المذبح وأمسك بالسكين ليذبحه طاعة لأمر الله . وهنا لمع ايمان ابراهيم لمعانا باهرا (ان جاز التعبير) أخذ بقلب الله نفسه ، فبارك ابراهيم بركة لم يعطها لأحد من قبل (تكوين ٢٢ : ١٧) .

ه ـ ترفع موسى مع فقره عن أن يكون ابن ابنة فرعون :

فقد قال الوحي بالإيمان موسى لما كبر ، أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية حاسبًا

عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر ، لأنه كان ينظر الى المجازاة " (عبرانيين ١١ : ٢٦ - ٢٨) - كانت ابنة فرعون قد تبنت موسى وهذبته بكل حكمة قدماء المصريين لكي يكون أهلا لعرش مصر يوما من الأيام . لكن هذا العرش لم يكن ليستهوى موسى أو يحوله عن السير في ركاب الله ، الذى كان قد آمن به منذ صباه، لذلك هجر قصر فرعون وعاش بين اخوته كفقراء الأذلاء . ومع أنه لم تكن هناك خطية بالمعنى المعروف لدينا فى بقاء موسى فى هذا القصر وقتئذ ، لكنه رأى أن تمتعه بالعز والرفاهية مع وجود اخوته فى حالة التعاسة والشقاء ، هو خطية وخطية شنيعة ، لذلك ترك القصر غير آسف ولا نادم ، وترك فرعون غير هياب ولا وجل.

والآن لنتساءل : هل ترك موسى فرعون وقصره وارتضى العيش بين اخوته في حالة الفقر والذل ، بدافع من العقل أو العاطفة ؟ الجواب : طبعا كلا . لأن هذين كانا يوحيان الى موسى بالبقاء في القصر ليمدهم بما يحتاجون إليه من طعام وكساء أو حماية ورعاية ، إنما الإيمان والإيمان وحده هو الذي قاده إلى هذا التصرف . إذ بالإيمان أشرق أمامه وعد الله لإبراهيم ، وأيقن أن الله لا بد أن يحققه بحذافيره .. لذلك اختار طريق الاتضاع والآلام طاعة لارادة الله ، هذا الطريق الذي يعبر عن في الكتاب المقدس بـ "عار المسيح " (عبرانيين ١١ : ٢٧) . وكيف عرف موسى عار المسيح أو صلبه ، وقد عاش على الأرض قبل مجيء المسيح إليها بآلاف السنين ؟ طبعا عرف ذلك بروح النبوة والإيمان ، إذ سبق ورأى ببصيرته الروحية ما سيتحمله المسيح من آلام في سبيل تنفيذ مشيئة الله ، ومن ثم ارتضى موسى عن طيب خاطر أن يسلك هذا السبيل بعينه ، وكانت النتيجة المباشرة لذلك أن الله أكرم موسى إكرامًا عظيمًا.

٦- سير بنى اسرائيل على أقدامهم فى البحر الأحمر :

فقد قال الوحي عنهم بالإيمان اجتازوا في البحر الأحمر كما في اليابسة، ، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا " (عبرانيين ١١ : ٢٩) - رأى بنو اسرائيل مرة أن العدو وراءهم والبحر أمامهم ، وكان الأول يريد القضاء عليهم وكان الثانى يحول بينهم وبين الأرض التي دعاهم الله اليها وفي مأزق مثل هذا اذ بالله يدعوهم الى عبور البحر بأقدامهم . ولا شك أنها كانت دعوة يصعب على العقل تلبيتها ، ولكن الإيمان بأن الله هو الذي أمرهم بعبور هذا البحر ، وأنه بنفسه يسير معهم ، جعله يضعون أرجلهم على الماء طاعة لأمر الله . وما أعجب ما حدث عنده أطاعوه! فقد انفلق الماء أمامهم الى اليمين والى اليسار ، وكون على

جانبيهم سورين كأنهما من صلب ليحولا بينهم وبين الغرق ، ولذلك عبره على قاع البحر حتى وصلوا إلى الشاطئ الآخر بسلام وأمان . واذ رأوا هذا الإحسان العظيم أخذ كل منهم يرنم قائلا " الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي . هذا إلهي فأمجده إله آبائي فارفعه يمينك يا رب معتزة بالقدرة ، يمينك يارب تحطم العدو . من مثلك بين الآلهة يارب من مثلك معتزا بالقداسة " (خروج ١٥) .

٧- طريقة شفاء بنى إسرائيل من لدغة الحيات المحرقة : عندما تذمر بنو اسرائيل مرة فى البرية على الله وعلى عبده موسى ، أهاج عليهم تعالى ، الحيات المحرقة ، فأخذت تلدغهم حتى مات منهم قوم كثيرون فلما رأى الباقون أنهم سيموتون حتما مثل غيرهم، هرعوا الى موسى وقالوا له : قد أخطأنا ، فصل إلى الله ليرفع عنا الحيات .فصلى موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى : اصنع لك حية من نحاس وضعها على راية (أو بالحرى على سارية) ، فكل من لدغ ونظر إليها ، يحيا. فصنع موسى الحية ووضعها على السارية فكان متى لدغت الحيات المحرقة انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا (عدد ٢١ : ٤ - ٩) - وأمام هذه الحادثة يسأل العقل : لماذا لم يكن الشفاء من لدغة الحيات المحرقة بواسطة الصوم أو الصلاة أو التوبة أو الصدقة ؟ وللإجابة على عن هذا السؤال نقول : ان هذه الاعمال وان كانت لها قيمتها وفائدتها في ظروف كثيرة ، غير أنها لم تكن تجدي فى الشفاء من لدغة هذه الحيات على الإطلاق وذلك لسبب واحد ، وهو أن الله أعلن لموسى أن شفاء بنى اسرائيل من اللدغة المذكورة يكون بالنظر إلى الحية النحاسية .

ومن ثم كان الإيمان باعلان الله هذا ، هو الوسيلة الوحيدة للشفاء. نعم ان هذه الوسيلة لا تتفق حسب الظاهر مع العقل ، لكن هذا ليس بأمر ذي بال أمام الأيمان ، إذ يكفي الإيمان أن يعرف أن الله هو الذي أمر بالوسيلة المذكورة ، وأنه لا يأمر بشيء جزافًا أو اعتباطًا ، بل لأسباب خاصة لديه : (١) ولذلك كان كل من يصدق الله وينظر إلى الحيّة النحاسية يشفي من لدغة الحيات المحرقة . وكل من يتحول عن هذه الحية ويكتفى بالصوم والصلاة والتوبة والصدقة أو الاستشفاع بموسى وهارون (مثلا) كان يموت أشرّ ميتة.

٨ - سقوط أسوار أريحا : فقد قال الوحي " بالايمان سقطت أسوار أريحا بعدما طيف حولها سبعة أيام " (عبرانيين ١١ : ٣٩) - كان الله قد أعلن ليشوع أنه دفع مدينة أريحا الى يده ، وأنه لن يفتحها برمح أو سيف ، بل بعد أن يطوف حولها هو ورجاله سبعة أيام . ولا شك أن الطريقة التي أمر الله يشوع باتباعها يسخر منها العقل ويهزأ بها العدو . ولكن ايمان يشوع بالله هو الذى جعله يصدق أن الله أعطاه أريحا كما قال، وأنه بالطواف حولها تتساقط أسوارها أمامه . ولذلك لم يتردد فى تنفيذ أمر الله ، على الرغم من غرابته واستهزاء الأعداء به . فطاف هو ورجاله حول هذه المدينة يوما بعد آخر ، وهم يتفرسون في أسوارها عسى أن يلاحظوا حدوث أى تشقق فيها ، ينبيء عن احتمال سقوطها ، ولكن هذه الأسوار ظلت كما هى فى متانتها وصلابتها . وعلى الرغم من ذلك فإن قلوبهم العامرة بالايمان بالله لم يتسرب إليها اليأس على الاطلاق ، من ثم طافوا حول أريحا الى اليوم السابع كما أمرهم الله ، فحقق الله لهم أقواله ، وسقطت أسوار أريحا امامهم ، فدخلوها و امتلكوها فى يسر وسهولة.

٩ - طريقة شفاء نعمان من برصه : كان نعمان (رئيس جيش أرام) مصابًا بالبرص ، ولما لم يجد دواء لعلته عند العرافين والأطباء ذهب الى اليشع النبي . فقال له هذا بإرشاد من الله " اذهب واغتسل سبع مرات فى نهر الأردن ، فيرجع لحمك اليك وتطهر " (٢ ملوك ٥ : ١ ١٠) - وأمام هذه الحادثة قد يسأل العقل : لماذا لم يخرج النبي الى نعمان لكى يصلى لأجله ، أو يضع يده فوق الأجزاء المصابة في جسمه ، كما كان يحدث كثيرا فى حالة الشفاء الإلهي ؟ أو لماذا لم يأمر نعمان بالصوم والصلاة والصدقة والتوبة (مثلا) لكي يشفى من مرضه ؟ أو ماذا لم يطلب منه أن يغتسل في إحدى انهار بلدته آرام، وهي بصفة عامة أفضل من نهر الأردن كثيرًا ؟ وإذا كان لا مفر من الاغتسال في نهر الأردن ، فلماذا أمره أن يغتسل فيه سبع مرات لا أكثر ولا أقل ؟

(الجواب) نظرا لأن الله هو الذى أعلن لأليشع النبي أن شفاء نعمان السريانى يكون بالاغتسال فى نهر الأردن سبع مرات ، لذلك كان الإيمان باعلان الله هذا ، هو الوسيلة الوحيدة لشفائه نعم إن هذه الوسيلة لا تتفق حسب الظاهر مع العقل ، لكن هذا ليس بأمر ذي بال أمام الايمان . إذ يكفي الإيمان أن يعرف أن الله هو الذي أمر بالوسيلة المذكورة ، وأنه (كما مر بنا) لا يأمر بشيء جزافا أو اعتباطا بل لأسباب خاصة لديه (١) . ولذلك عندما أطاع نعمان أمر الله ونزل الى الأردن ليس مرة واحدة أو مرتين بل سبع مرات متتالية ، شفى من مرضه تماما. ولو لم

يفعل ذلك ، لما كان قد شفى بأي حال من الأحوال.

٧

نماذج من العهد الجديد عن الإيمان

١ - سلوك المسيح بالإيمان : عندما نتحدث عن سلوك المسيح بالإيمان ، لا نقصد المسيح من ناحية كونه " ابن الله" (١) ، لأنه من هذه الناحية لا يحتاج الى السلوك بالإيمان بالمعنى الذي نفهمه ، فكان شيء مكشوف وعريان أمامه (عبرانيين ٤ : ١٢) ، بل نتحدث عن سلوك المسيح بالإيمان من ناحية كونه ابن الإنسان ، لأنه من هذه الناحية كان ينتصر على الجوع والعطش والتعب والألم وغير ذلك (عبرانيين ٤:١٥) هذا السلوك الذي عندما تطلع إليه الرسول ، قال عن المسيح أنه رئيس الإيمان ومكمله (عبرانيين ١٢ : ٣) ، أي الذي شق طريق الإيمان الحقيقي وأكمله إلى التمام فى حياته ، ويكمله الى الان في حياة المؤمنين به . ولا يتسع المجال أمامنا للكتابة بالتفصيل عن حياة الإيمان التي عاشها المسيح على الأرض، لأن كل خطوة من خطواته كانت بالإيمان ولذلك نكتفي بما يأتي على سبيل المثال :

(ا) علاقته الفريدة بالله : فبالايمان كان يرى الله أمامه في كل حين (أعمال ٢ : ٢٥)، ولذلك كان يحيا باستمرار معه . كما كان يقضى الليل كله فى الصلاة إليه (لوقا ٦ : ١٢) ، الأمر الذي لم يستطع أحد من رجال الإيمان أن يشاركه فيه . وقد شهد له المجد عن علاقته الفريدة بالله فقال انه يعرف الآب (يوحنا ٧ : ٢٩) وان الآب معه (يوحنا ٨ : ٢٩) ، وأنه فى الآب والآب فيه وأن الآب الحال فيه هو الذي يعمل الأعمال (يوحنا ١٤ : ١٠) وانه والآب واحد (يوحنا ١٠ :٣٠)

ولذلك أعلن عندما كان على الأرض أنه كان في الوقت نفسه في السماء (يوحنا ٧ : ١٣) ، بل وفى ذات حضن الآب في السماء (يوحنا ١ : ١٨) ، هذا المكان السرى الذى لا يعرف شيئا عنه شخص سواه .

(ب) عدم اعتماده على البشر وقيامه بعمل المعجزات الباهرة : أن لسان حال المسيح عندما كان على الأرض (كما أعلن النبي بالوحي) ، كان " وأنا أكون متوكلًا عليه " (عبرانيين ٢ : ١٣) ٠ لذلك كان المسيح يعيش دائما أبدا عالي الرأس ، فلم يتودد مرة واحدة الى أحد و يستميل أحدًا الى جانبه ، بل كان يوبخ رجال الدين والساسة كبيرهم وصغيرهم على السواء، من أجل شرورهم و آثامهم (متى ٢٣ : ١٣ - ٣٦) . ولما أراد أن يتخذ لنفسه جماعة تنشر رسالته لم يعمد الى الفلاسفة والعلماء أو الأغنياء وذوي الشأن (الذين يمكن أن يكون لهم نفوذ أو تأثير على غيرهم من الناس ، أو يكونوا عونا له فى الشدائد والضيقات) ، بل عمد إلى صيادي السمك الذين يحتقرهم الناس ويزدروهم . المسيح على شيء من موارد الدنيا ، كان يتعرض أحيانا للجوع ، ومع ذلك لم يطلب مرة من أحد طعامًا ، أو استخدم قوته الذاتية في تحويل الحجر الي خبز لكي يأكل ، لأنه كان يعلم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (متى ٤ : ٤) . وفضلًا عن ذلك كان يثق كل الثقة أن الله يسمع له فى كل حين (يوحنا ١١ : ٤٢)، ولذلك كان يقول للأعمى أبصر فيبصر و للمفلوج قم فيقوم ، وللميت قم فيقوم ، والبحر الهائج اهدأ فيهدأ ، ومن ثم كان ذا سلطان لم تشهد العين مثله على الإطلاق. (لوقا ١٨ : ٤٢ ومرقس ٤ : ٣٩ و ٢ : ١٢) .

(ح) حياة التغرب في العالم : وبسبب حياة الإيمان السامية التي عاشها المسيح ، فاق إبراهيم أبا المؤمنين في التغرب عن العالم بدرجة لا حد لها . فابراهيم سكن في خيام، أما المسيح فلم يكن له أين يسند رأسه (متى ٨ : ٢٠) ٠ كما أنه لم يتخذ زوجة ولا ولدا ، أو شيئا من الأثاث أو المتاع . فضلا عن ذلك لم يقتن فى جيبه فضة أو ذهبًا (متى ١٧:٢٧) أو يحتفظ لنفسه بأكثر من الثوب الذى كان يرتديه ، مع أن غناه لا يستقصى (أفسس ٣ : ٨ (وملكه لا نهاية له) مزمور ٢ : ٨) - حقًا عاش فى العالم مثلنا ، ولكنه لم يكن من العالم على الاطلاق (يوحنا ١٧: ١٤)

(د) قبول الصليب لأجل مجد الله : كانت الآلام المعدة للمسيح على الصليب أقسى الآلام في الوجود ، لأنها لم تكن مقصورة على الآلام الجسدية التى كان عتيدا أن يتحملها من اليهود والرومان ، بل كانت تشمل أيضًا آلامًا نفسية لا

يعرف قدرها سوى الله وإياه ، لأنها كانت الآلام التي نستحقها نحن في جهنم الى الأبد بسبب خطايانا ومع ذلك تقدم المسيح الى الصليب بخطوات راسخة لا تعرف وهنا أو ترددا (لوقا ٩ : ٥١) ، ذلك لأنه استطاع بعين الإيمان أن يخترق آلام الصليب ويرى من ورائها الخلاص الكامل الذي سيتحقق بموته للبشرية، ويرى أيضا السرور العظيم الذى سيملأ السماء لأجل خلاصهم . كما أيقن بالايمان أن نفسه لن تظل فى الهاوية وأن جسده لن يرى فسادا مثل الذين يموتون (أعمال ٢ : ٢٧) ، بل أنه سيقوم في اليوم الثالث من الأموات ، وفعلا قام ، وبقيامته انتصر على قوات الشر المنظور منها وغير المنظور . لذلك كافأ الله المسيح (من جهة كونه ابن الانسان) بأجمل مكافأة مكتوب " لذلك رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم ، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب " (فيليبى ٢ : ٩ - ١١) (١) - حقا كان المسيح (بوصفه ابن الإنسان) يؤمن بالله ايمانا لا نظير له ، بل كان فى ذاته مثالا كاملا للايمان . إن جميع القديسين الذين عاشوا بالإيمان تحولوا مرة ومرات عن الحياة التي يتطلبها الايمان (٢) لكنه لم يتحول مرة على الإطلاق بل اجتاز دوائر الإيمان كلها وصعد درجاته من أولها الى آخرها، حتى أن بولس الرسول أخذ بهذا الإيمان تماما فأراد أن يقتدى به وينسج على منواله ، ولذلك صاح مرة قائلا " فما أحياه الآن في الجسد ، فإنما أحياه في الإيمان ، إيمان ابن الله ، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي " (غلاطية ٢ : ٢٠) - ونظرا لأن إيمان المسيح يتضاءل أمامه كل إيمان في الوجود، لم يكن هناك داع للتحدث عن إيمان غيره . لكن لأننا نميل بطبيعتنا للتأمل في إيمان البشر المولودين بالخطية نظيرنا ، نتحدث فيما يلى عن إيمان بعض الذين ذكر الوحي شيئا عنهم في العهد الجديد.

٢ - قبول العذراء الحبل بالمسيح : فقالت اليصابات لها بالروح القدس " فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب " (لوقا ١ : ٤) - كانت مريم فتاة لم تعرف رجلًا ، ولم يسمع في التاريخ أن فتاة مثلها تحبل وتلد على الاطلاق . لذلك كان لمريم أن تشك في قول الملاك لها انها ستلد المسيح دون أن تقترن برجل (لوقا ١ : ٣٤ و ٣٥) . لكن هذه الفتاة الطاهرة النقية وجد الإيمان إلى قلبها طريقًا رحبًا فارتفعت فوق نواميس الطبيعة جميعًا ، واعتقدت أن الله الذي كان يقول للشيء كن فيكون ، ويدعو الأشياء الغير الموجودة كأنها موجودة ، حتى أنه لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر أو موجود (رومية ٤ : ١٧) ، لا يمكن أن يعسر

عليه أمر من الأمور. كما آمنت أن المسيح الذي أخبرها الملاك أنه سيولد منها هو رب الحياة ، ورب الحياة لا يحتاج في اتخاذه جسدا إلى بذرة حياة من رجل ما . لذلك استراح قلبها لوعد الله على الرغم من غرابته ، وآمنت به كل الايمان ، فحققه الله بحذافيره وولد المسيح منها ، وبذلك فإن كل الأجيال تطوبها (لوقا ١ : ٤٨) .

٣- قبول بولس الرسول للآلام في سبيل المسيح : نظرا لأن هذا الرسول كان قد آمن بالمسيح وأخلص له ، استطاع أن يدرك محبته ومجده بدرجة لم يشاركه فيها معظم الناس ، لذلك طرح عنه كل امتيازاته اليهودية والرومانية الثمينة (فيلبي ٣ : ٤ - ٨) ، وأخذ ينادى باسم المسيح فى كل مكان متحملا في سبيل عمله هذا الكثير من الآلام والاضطهاد.

فمرة قبل أربعين جلدة إلا واحدة ، وثلاث مرات ضُرب بالعصي، مرة رُجم ، وثلاث مرات انكسرت به السفينة، قضى ليلا ونهارًا في العمق، وكثيرا ما لاقى الأخطار من بنى جنسه ، ومن الوثنيين على السواء (٢ كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٢٧) ومع ذلك ظل مجاهدا في سبيل إتمام رسالته بفرح وسرور (أعمال ٢٠ : ٢٤) .

التف حوله المؤمنون مرة ليمنعوه من السفر الى أورشليم خشة أن يصيبه أذى أو ضرر فصاح بهم قائلا " ماذا تفعلون ؟ انكم تبكون وتكسرون قلبي ، لأني مستعد ليس أن أربط فقط ، بل أن أموت في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع " (أعمال ٢١ : ١٣) . ولذلك انفلت من أيديهم لكى يتمم رسالته مستهينا بكل ما يصادفه من آلام ، إذ كان شعاره لأعرفه (أي لأعرف المسيح) وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته" (فيلبى ٣ : ١٠) ، فضرب بذلك مثلا رائعًا في التضحية والوفاء وإنكار الذات.

والآن لنتساءل : ما القوة التي كانت تساعد بولس الرسول على مواجهة الاضطهادات دون تردد أو وجل ؟ (الجواب) كلمة واحدة ، هي " الإيمان " - هذا الإيمان الذي لم يدركه كثير من معاصريه ، ولذلك قالوا عن بولس أنه " مختل " ، وما كان بمختل أو مجنون ، بل كان في غاية الصحو والتعقل (أعمال ٢٦ : ٢٥) لأن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد (رومية ٨ : ١٨) ، وان كان

الانسان الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما حسب صورة خالقه (٢ كورنثوس ٤ : ١٦)، وسوف ترينا الأبدية الأكاليل الثمينة التي يستحقها رجل الإيمان هذا وغيره من رجال الإيمان الأفاضل . - شفاء الرجال المرضى بالبرص : كان البرص رمزا للخطية في نجاستها وتأثيرها القتال على النفس ولذلك كان الأبرص يطرد من وسط شعب الله ، ويترك ليعيش مع أمثاله فى جهات مقفرة (العدد ٥:٢) . ولكن لما سمع الرجال المذكورون عن المسيح ، تراءوا له عن بعد في ملابسهم المشقوقة ، وشواربهم المستورة (١) (لاويين ١٣ : ٤٤ - ٤٦)

و استغاثوا به قائلين " يا معلم ارحمنا . فنظر وقال لهم : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة. وفيما هم منطلقون طهروا " (لوقا ١٢ : ١١ - ١٥) - اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . فهؤلاء الرجال عندما قال لهم المسيح " لكي يحكموا بطهارتكم (لاويين ١٤: ١- ٢) ، لم يلحظوا تغييرًا في أجسادهم يدل على أنهم طهروا من برصهم . ومع ذلك آمنوا أنهم لا يد أن يتطهروا منه ، طالما أن المسيح أمرهم بالذهاب الى الكهنة .. ولذلك انطلقوا إليهم والبرص لا يزال فى أجسادهم، لكن بينما هم يسيرون في طريقهم التفتوا الى أنفسهم فوجدوا أنهم قد طهروا . وهكذا حقق المسيح أمنيتهم وأكرم إيمانهم.

٥ - صيد السمك : لما فرغ المسيح مرة من حديث له مع الناس قال لسمعان ورفاقه أن يبعدوا إلى العمق ويلقوا شباكهم للصيد . فأجاب سمعان وقال له : يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا . ولكن على كلمتك ألقي الشبكة . ولما فعلوا ذلك، امسكوا سمكا كثيرا جدا " (لوقا ٥ : ١ - ٦) - كان سمعان ورفقاؤه صيادين مهرة ، إذ كانوا يمارسون مهنة الصيد منذ صغرهم مع آبائهم وأجدادهم، ولذلك كانوا يعرفون كل المعرفة في أى مكان يوجد السمك ، وفى أى وقت يوجد ، ومع ذلك قضوا ليلة بأسرها يجوبون أنحاء البحر دون أن يمسكوا شيئا . ولكن لما أمرهم المسيح أن يبعدوا إلى العمق ويلقوا شباكهم، لم يعترضوا عليه أو يحاولوا اقناعه بعدم وجود أى سمك فى العمق ، بل تخلوا عن خبرتهم الطويلة ومعرفتهم الدقيقة، وكأطفال صغار أطاعوا المسيح دون جدال أو مناقشة إذ آمنوا إنه ما دام المسيح هو الذى قال لهم ان السمك في العمق ، فلا بد أن يكون هناك . ولذلك ألقوا شباكهم كما قال لهم ، فوجدوا سمكا كثيرا لم يدر بخلدهم أن يعثروا على شيء منه ، وهكذا كافأ المسيح إيمانهم حسب غنى نعمته .

٦ - شفاء الأعميين : " وفيما يسوع مجتاز ، تبعه أعميان يصرخان قائلين :

ارحمنا يا ابن داود . ولما جاء الى البيت تقدم إليه الأعميان فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ، قالا له نعم يا سيد حينئذ لمس أعينهما قائلا بحسب ايمانكما ليكن لكما ، فانفتحت أعينهما" (متى ٩ : ٢٧ - ٣٠) - ظل هذان الأعميان يصرخان وراء المسيح ومع أنه لم يلتفت اليهما ، غير أن اليأس لم يجد له مكانا في نفسيهما ، بل ظلا يصرخان طالبين الأبصار من المسيح ، لأنهما عرفا أنه وحده هوالذي يستطيع أن يهبهما إياه . ولما دخل المسيح بيتا تبعاه إليه دون أن يعبأوا بحرمة البيوت، أن كانت حاجتهم إلى البصر تفوق كل اعتبار وفي البيت أراد المسيح أن يختبر ايمانهما ، فقال لهما " أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا ؟ - وهذا السؤال كما نرى يتطلب اجابة دقيقة حاسمة ، إذ عليها كان يتوقف مصيرهما . لكن الأعميان دون تردد أو تلعثم قالا له " نعم يا سيد " ، وحينئذ لمس المسيح أعينهما فانفتحت في الحال وهكذا حقق أمنيتهما وأكرم ما فيهما من ثقة وإيمان.

٧ - شفاء غلام قائد المئة : التجأ هذا الرجل الى المسيح لكي يشفى غلامه من المرض الذي أصيب به ، فوعده المسيح بأنه سيذهب معه ويشفيه . غير أن الرجل المذكور أجابه على الفور " يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي ، لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي . لأني أنا أيضا إنسان تحت سلطان ، لي جند تحت يدي ، أقول لهذا : اذهب فيذهب ولآخر ائت فيأتي ، ولعبدي افعل هذا فيفعل " فلما سمع يسوع قال للذين يتبعونه " الحق أقول لكم لم أجد ولا فى اسرائيل ايمانا بمقدار هذا ، ثم قال لقائد المائة " اذهب وكما آمنت ليكن لك " ، فبرأ غلامه في تلك الساعة"

(متى ٨ : ٥ - ١٠) - فهذا الرجل وثق في المسيح ثقة لم يبلغها أحد من معاصريه، لأنه لم يطلب منه أن يأتى الى المريض ويضع يده عليه ، كما كانوا يطلبون عند رغبتهم فى شفاء مرضاهم ، بل ذهب في إيمانه أبعد مما ذهبوا جميعا ، ان ببصيرته الروحية وجد أن من يشفى بكلمة عن قرب ، يستطيع أن يشفى بها أيضا عن بعد ، الأمر الذي يدل على أن هذا الرجل مع كونه أمميًا ، لم يعرف شيئا عن نبوات التوراة التي قيلت عن شخص المسيح ، قد فاق معظم اليهود في الإدراك الروحي ، إذ آمن قبلهم أن المسيح لم يكن فقط ابن الإنسان ، بل وكان أيضا ابن الله . لذلك كان لهذا الرجل ما أراد ، بل وكان له أيضا من المسيح المدح والثناء .

٨- شفاء نازفة الدم : كانت هذه المرأة تنزف دما زهاء اثنتى عشرة سنة ، وقد أنفقت كل معيشتها على الأطباء ، ولكن لم يستطع واحد منهم أن يشفيها . ولذلك جاءت من وراء المسيح ولمست هدب ثوبه ، ففي الحال وقف نزف دمها . فقال المسيح : " من الذي لمسني ؟ " .. فلما رأت المرأة أنها لم تختف جاءت مرتعدة ، وسجدت له وأخبرته قدام جميع الشعب لأي سبب لمسته ، وكيف برئت في الحال . فقال لها : ثقي يا ابنة ايمانك قد شفاك ، اذهبي بسلام (متى ٨ : ٤٣ - ٤٨) - عرفت هذه المرأة أنه لا شفاء لها إلا عند المسيح ، ولكن منعها حياؤها من أن تعرض عليه أمرها جهرًا . فهداها تفكيرها الى وسيلة تتناسب مع ظروفها وقامت في الحال بتنفيذها ، مؤمنة بكل قلبها أن المسيح لا يمكن أن يخيب رجاءها ، و موقنة أيضا أن قوته لا يمكن أن تنحصر في كلمة يقولها أو لمسة يقوم بها ، بل انها ان أمسكت حتى هدب ثوبه لا بد أن تشفى ، فحقق المسيح ثقتها فيه وشفاها . ولكن إذا أراد أن يعلن لها شيئا عن ذاته كعلّام الغيب وفاحص القلب ، وأن يمنحها أيضا شيئا أفضل من الشفاء الذي كانت تسعى إليه ، استدرجها للاعتراف بحالتها ، فاعترفت أمامه بكل شيء ، ولذلك منحها سلامه الذي يفوق كل عقل.

٩- شفاء ابنة الكنعانية : خرجت هذه الكنعانية من تخومها تهرول نحو المسيح قائلة له " ارحمنى يا سيد ، يا ابن داود، ابنتي مجنونة جدا . فلم يجبها بكلمة . فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعني . فأجابها بالقول : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت نعم يا سيد ، والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم ايمانك . ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها في تلك الساعة " (متى ١٥ : ٢١ - ٢٨) - لقد جاءت هذه المرأة الى المسيح ليس بوصفه ابن الله الذي أتى إلى العالم قاطبة ، والذى لها تبعا لذلك نصيب فى عطاياه ، باعتبارها أحدى سكان العالم ، بل جاءت إليه بوصفه ابن داود الذي لم يكن قد أتى في أول وبوصف المسيح ابن داود فحسب ، فلم يكن من الجائز أن يمنح هذه المرأة شيئا من عطاياه وقتئذ ، لأنها كانت الأمر إلا لليهود فحسب (١) تعتبر في نظر اليهود مثل " الكلاب " (٢) بسبب انقيادها وراء الأوثان، ولذلك لم يجبها المسيح الى طلبها . غير أن عدم إجابته هذه كانت نارًا أحرقت ما في إيمانها من زغل، فلمع وتوهج إذ آمنت على الرغم من الموانع التي وضعها المسيح أمامها ، أن لها على أى حال نصيبًا في نعمته لذلك كان لها ما أرادت ، وكان لها أيضا المدح والثناء من فمه.

هذه نماذج متنوعة من عمل الإيمان في أشخاص وثقوا كل الثقة في الله واعتمدوا

كل الاعتماد عليه ، نضعها أمام نفوسنا حتى يتأملها غير المؤمنين والمؤمنون على السواء . فطريق الإيمان ليس طريقا مبهمًا غامضًا حتى يتردد أحد من جهة السير فيه ، بل هو طريق واضح معبد ارتاده كثيرون من قبلنا في ظروف متعددة متنوعة . ولذلك على راغبي الخلاص الذين نتحدث معهم الان ، أن يضعوا نصب أعينهم أنه مهما كانت خطاياهم كثيرة وشنيعة، ومهما كان الخلاص من الخطية يبدو أمامهم بعيدا ، لكن عندما يثقون فى المسيح ثقة الأطفال البريئة ، يتمتعون للتو بهذا الخلاص تمتعًا كاملًا ، كما تمتع غيرهم من قبل .

---

(١) الفعل " تنالوه" يرد في الأصل اليوناني في صيغة الماضي وفي العربية " نلتموه " وإذ كان ذلك كذلك ، فإن المسيح يطلب منا أن نؤمن أن ما نصلى لأجله قد أعطاه الله لنا فعلا . فقد قال تعالى على لسان نبيه اشعياء " ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد ، أنا أسمع " (أشعياء ٦٥ : ٢٤) . وإذا كان ذلك كذلك، فعندما نرفع الصلاة لله ، علينا أن نؤمن أنه أعطانا ما صلينا لأجله فيكون لنا . وقد ضرب المسيح فى صلاته عند قبر لعازر مثلا لذلك ، فهو لم يقل : أشكرك أيها الآب لأنك ستسمع لي ، بل قال " اشكرك أيها الآب لأنك سمعت لي "

(يوحنا ١١ : ٤١) ، مع أن لعازر لم يكن قد قام من القبر قبل هذه الصلاة أو أثناءها.

---

(١) إن عدم استطاعة المسيح أن يعمل معجزة للأشخاص الذين لم يؤمنوا به، لا يرجع الى عجز فيه بل الى عدم استعدادهم القلبي لقبول فعدم الاستطاعة هنا ،

معناها عدم استطاعته أن يخالف معجزاته ناموس الله من جهة توقف شفائه للناس على إيمانهم به ، ولذلك فإن الاستطاعة هذه تشبه كل الشبه عدم استطاعة الله أن يأتي بالخطاة الذين يصرون على التمسك بخطاياهم الى حضرته ، إذ أن عدم الاستطاعة هنا لا تدل على عجز فى الله ، بل على تصرفه بالكمال الذي يليق بمبادئه السامية - وبهذه المناسبة نقول أن عدم الاستطاعة التي تسند أحيانا الى الله ، كانت موضع بحث بين علماء الدين . فقال فريق ان الله لا يستطيع أن يخطىء ، وقال فريق آخر أنه يستطيع ألا يخطئ ، لأنه لا يليق أن نسند الى الله عدم الاستطاعة فى أمر من الأمور .

ولكن فات الفريق الأخير أن عدم الاستطاعة هنا معناها التنزه عن الخطأ ، لأننا إذا قلنا " ان الله يستطيع ألا يخطئ " نكون قد افترضنا أنه معرض للخطية مثلنا (لأننا نستطيع في بعض الأحيان ألا نخطئ) ولكن إذا قلنا " انه لا يستطيع أن يخطئ " ، نكون قد أسندنا إليه العصمة المطلقة التي لا تعرف للخطأ سبيلًا.

---

(١) هناك فرق هائل بين معرفة المسيح وبين المعرفة عن المسيح .

فالمعرفة الثانية لا تجدى علينا خيرًا مهما كانت كثيرة ، بينما المعرفة الأولى هي أساس كل خير لنفوسنا ، ولا عجب في ذلك فإننا نعلم أن مجرد معرفتنا عن شخص عظيم لا تفيدنا بشيء ، إنما الذي يفيدنا هو معرفة معرفة شخصية .

ولذلك كان لسان حال بولس الرسول " لأعرفه (أي المسيح) وقوة قيامته وشركة الامه متشبها بموته "، (فيلبي ٣ : ١٠) ، وكان الرسول بطرس يحرض المؤمنين على النمو في معرفة المسيح ، فقال لهم " انموا في النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح " (٢ بطرس ٣ : ١٨) .

---

(١) لأن الذي يظن فى نفسه أنه حكيم لا يكون في الواقع إلا جاهلا لأن شيمة الحكيم هى الشعور بالنقص والحاجة الى الكمال . وحتى إذا نال هذا الإنسان قسطًا وافرًا من الحكمة ، يشعر أنه لا يزال في حاجة الى المزيد منها ، إذ أن مجال الحكمة لا حد له . ولذلك قال الوحي " إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئا . فإنه لا يعرف شيئا بعد كما ينبغي أن يعرف " (١ كورنثوس ٨: ٢) . وقال "

إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر ، فليصر جاهلا لكي يكون حكيما " (١ كورنثوس : ١٨) ، أى عليه أن يتواضع لكى يصير أهلا للحكمة ، لأن التواضع والوداعة يؤهلان المرء لها بعكس الكبرياء والاعتداد بالذات ، فإنهما يبعدان المرء عنها.

(٢) ولا غرابة في ذلك فكثيرون يتحدثون عن الله ، وقلوبهم بعيدة عنه ، وكثيرون يتحدثون عن مضار الخمر وهم أسراها وعبيدها وهلم جرا.

---

(١) عن مقالة للدكتور ر.سبير وردت في كتاب :

Faitr in The Gospej

(٢) عن مقالة بقلم همرشولد السكرتير السابق لهيئة الأمم المتحدة بمجلة

(British Weekly, 1963)

---

(١) إن تبرير الله لهابيل وقتئذ ، لم يكن راجعا طبعا الى ذبيحته في حد ذاتها (لأن هذه أقل قدرا منه ، ومن ثم لا تستطيع أن تكفر عنه) ، بل إلى ذبيحة المسيح التى كان فى قصد الله منذ الأزل أن يقدمها كفارة عن البشر عامة، إذ أن هذه الذبيحة هي وحدها التي تكفر حقا عنهم للأسباب التي ذكرناها في الفصل الأول . وما الذبائح التى كانت تقدم في العهد القديم طاعة لأمر الله ، الا رمز واشارة إلى ذبيحة المسيح هذه (عبرانيين ٩ : ٧- ١٤)

---

(١) وحقا ما أصدق ما قاله لوثر في هذه المناسبة " ان كنت تؤمن يجب ألا يخطر ببالك أن تقول كيف يفعل الله هذا الأمر ، أو متى يفعله"، لأنه ليس هناك مجال للإيمان إذا كان العقل يقول " انه من الممكن أن يفعل الله الأمر بهذه الطريقة أو تلك، وفى هذا الوقت أو ذاك ".

---

(١) يراد بهذا النسل " المسيح نفسه " ، فقد قال الرسول " وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله ، ولا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد ، وفي نسلك الذي هو المسيح " (غلاطية ٣ : ١٦)

---

(١) فالحيّة النحاسية ، كما يتضح من الكتاب المقدس ، كانت رمزا للمسيح الذي به وحده يكون الخلاص . فقد قال المسيح " وكما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣ : ١٥) . أما أوجه الشبه بين الحية النحاسية وبين المسيح فهى : (أ) الحية النحاسية لم يكن بها سم مثل الحيات المحرقة التي لدغت اليهود ، والمسيح لم تكن به خطية (يوحنا ٨ : ٤٦) مثل آدم الذي جلب الموت الى الناس جميعا (ب) الحية النحاسية لم تكن حية فى ذاتها بل كانت شبه حية ، والمسيح لم يكن في حقيقة أمره انسانًا عاديًا مثلنا في كل شيء ، لأنه ولد من عذراء وكان في حقيقة ذاته هو الرب من السماء (١ كورنثوس ١٥ : ٤٧) (ح) الحية النحاسية علقت على سارية لكي يشفى كل من ينظر إليها والمسيح علق على الصليب لكي يخلص كل من يؤمن به إيمانًا حقيقيًا (يوحنا ٣ : ١٥) .

---

(١) إن النزول فى نهر الأردن (كما يتضح من الكتاب المقدس) رمز لتطبيق موت المسيح على طبيعتنا العتيقة (كولوسي ٣ : ٥) لكي تخلص من سلطة الخطية ومتاعبها (رومية ٦ : ١٤) . والعدد سبعة ومضاعفاته رمز للكمال (متى ١٨ : ٢١) . ولذلك فالاغتسال سبع مرات في نهر الأردن ، رمز لتطبيق موت المسيح على الطبيعة المذكورة ، للخلاص من سلطة الخطية التي كان يرمز لها بالبرص قديمًا (لاويين ١٣ : ٤٤)

---

(١) تحدثنا عن شخصية المسيح بشيء من التفصيل في كتاب " الله وطرق إعلانه عن ذاته " ، فليرجع إليه القارئ إذا أراد.

---

(١) مما تجدر ملاحظته فى هذه المناسبة أن المسيح بوصفه ابن له . أما بوصفه ابن الانسان الله مجدا ذاتيا يلازمه من الأزل الذي لا بدء له ، الى الأبد الذي لا نهاية ، فقد اكتسب مجدا آخر بسبب الكمال المطلق الذي بدا منه على الأرض ، سواء أكان فى حياته أم في موته - ونظرا لأن هذا الكمال لا يقل عن الكمال الذى كان يعيش فيه منذ الأزل كان مجده المكتسب لا يقل عن مجده الذاتي ، ولذلك قال مرة للآب والآن مجدني أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لي عندك قبل كون

العالم (يوحنا ١٧ : ٥) ، ولا عجب في ذلك فإن المسيح هو " ابن الله " وفي الوقت نفسه هو " ابن الانسان ، ايضًا".

(٢) فنوح سكر مرة (تكوين ٩ : ٢١) ، وإبراهيم كذب وخاف (تكوين ٢٠ : ١ - ١١) ، وموسى طلب معونة من ذي قربي ، كما شك مرة في وعد من وعود الله (عدد ١٠ : ٢٩ - ٣١ و ٢٠ : ٦ - ١٢) ، وداود عندما جاع طلب طعامًا من أحد الناس ، ولما رفض هذا أن يعطيه عن على قتله (١ صموئيل ٢٥ : ١ - ١٤) ، فضلا عن ذلك فقد أهمل في العلاقة الروحية مع الله، فسقط في خطيته المعروفة لدينا (٢ صموئيل ٢٥: ١- ١٤).

---

(١) كانت هذه الحالة رمزا للعار الذى كان المصابون بالبرص يعيشون فيه ، وذلك بوصف البرص رمزا الخطية التي تجلب العار على فاعليها.

---

(١) إن المسيح قبل أن يأتي الى العالم، كان يعلم كل العلم أن اليهود سيرفضونه ولذلك فإنه أتى ليس لليهود فقط بل وللامم أيضا . ولكنه شاء أن يظهر لليهود فى أول الأمر لسببين (الاول) لكى يتمم لهم مواعيد الله السابقة لآبائهم (الثاني) لكى لا يكون لهم عذرا اذا رفضهم واتجه الى الأمم الذين كانوا يعبدون الأوثان - وفي العهد القديم كثير من الآيات التي تنبىء عن أن المسيح سيأتي ليس لليهود فقط ، بل وللأمم كذلك (اقرأ مثلا : زكريا ٣ : ١١ تثنية ٢٢ : ٤٢ ، مزمور ١٨ : ٤٩ ، ٦٧ : ١٤ ومتى ١٢ : ٢١) (٢) مما تجدر ملاحظته فى هذه المناسبة أن اليهود الذين رفضوا المسيح وعادوا الى الفرائض والطقوس القديمة ، يعتبرون في نظر الوحي كلابًا أيضًا (فيلبي ٢ : ٢) وكلمة " الكلاب " تستعمل في الكتاب المقدس مجازًا للتعبير عن الذين يرفضون نعمة الله ، فقد قال الوحي إن الذين سيطرحون في جهنم هم " الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان ، وكل من يحب ويصنع كذبًا " (رؤيا ٢٢ : ١٥)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

٨

السبيل الى ايمان الخلاص ، ودلائل هذا الايمان

أولا - السبيل إلى إيمان الخلاص

ذكرنا فيما سلف ، أن الإيمان الحقيقي هو السبيل الوحيد الى الخلاص ، وأن هذا الإيمان قد يتم فى لحظة وقد يستغرق وقتًا طويلًا ، لكن على أي حال يجب أن تتوافر الشروط الآتية فى كل من يريد أن يكون مؤمنا حقيقيا .

١ - الرغبة الصادقة في الحصول على الخلاص : وهذه الرغبة ،تتطلب من المرء أن يكون كارها للخطية وشاعرا بشناعتها وخطورتها وموقنًا باستحقاقه للقصاص الأبدي بسببها . لذلك ليس كل من يقول بفمه " ارحمني اللهم أنا الخاطئ " يتمتع بالخلاص ، لأن العبرة ليست بالكلام بل بالحالة التى تكون عليها النفس . فالمرأة الخاطئة لم تخلص الا بعد أن أحست بثقل خطاياها والتجأت إلى

المسيح بكل قلبها

(لوقا ٧ : ٥). وزكا لم يخلص إلا بعد أن أحس بحاجته الماسة إلى المسيح أكثر من المال (لوقا ١٩ : ١ - ١٧) . واللص لم يدخل الفردوس إلا بعد أن أدرك في نفسه أنه لا يستحق سوى الهلاك ، وأنه لا خلاص له إلا بالمسيح ربًا وفاديًا (لوقا ٢٣ : ٤٢) . والذين آمنوا من اليهود في العصر الرسولي لم يتيسر لهم ذلك إلا بعد أن نخسوا في قلوبهم ، وشعروا شعورًا عميقًا بشناعة جريمتهم التي اقترفوها ضد المسيح ، وآمنوا بعد ذلك من كل قلوبهم بشخصه (اعمال ٢ : ٣٧) .

كما أن الشعور بشناعة الخطية يجب أن يكون مقرونا بالتوبة عنها (أو على الأقل بالرغبة الصادقة فى هذه التوبة) ، وإلا فلا فائدة من هذا الشعور على الاطلاق . ولا يراد بالتوبة الندم على ارتكاب الخطية فحسب، بل والتحول عنها والرجوع الى الله أيضا (١) . فقد قال الوحي إن الله يأمر الجميع في كل مكان أن يتوبوا وأن يرجعوا إليه عاملين أعمالا تليق بالتوبة

(أعمال ١٧ : ٣٠ ، ٢٦ : ٢٠) . وإذا تعذر على إنسان أمر التوبة ، فليعلم أن الله على استعداد لمساعدته على بلوغها إذا كان راغبا في التحول عن الخطية من كل قلبه ، فمكتوب أنه تعالى " يعطي التوبة " (أعمال ٥ : ٣١ ، ١١ : ١٨) . ولذلك قال أحدهم لله ، " توبني فأتوب " (ارميا ٣١ : ٨) ، فأعطاه التوبة.

٢ - الاتجاه إلى المسيح وتخصيصه للنفس : إن الندم على ارتكاب الخطية والاقلاع عنها أو بعضها أمران هامان ، لكنهما لا يخلصان من دينونة الخطية أو سلطانها على النفس ، لأن الذى يخلص من هذين معا هو المسيح دون سواه، كما ذكرنا في الفصل الأول . لذلك على المرء ألا يقف عند الندم على الخطية والإقلاع عنها أو بعضها (ان استطاع الى ذلك سبيلا) ، بل أن يتجه الى المسيح ويتخذه مخلصا خاصا له ، فيفيد منه مثلما أفاد بطرس وبولس ، أو على الأقل (ان جازت المقارنة) مثلما أفادت المرأة الخاطئة والعشار واللص الذى صلب بسبب جرائمه الكثيرة ، لأن خلاص المسيح ليس لفئة خاصة من الناس بل لكل الناس دون استثناء. فقد قال الوحي عن المسيح أنه " ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد منا " (عبرانيين ٢ : ٩) ، وأنه كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل و (لخطايا) كل العالم أيضا" (١ يوحنا ٢ : ٢) .

واننا ننبّر على الاتجاه الى المسيح وتخصيصه للنفس السببين : (الأول) إن بعض الناس يركضون وراء الوعاظ ليسمعوا منهم أقوال الله (١) . ولكنهم لا يتقدمون بقلوبهم الى الله نفسه ، مع أنه أقرب اليهم من الوعاظ وغير الوعاظ ، وأنه وحده هو الذى يستطيع أن يخلصهم ويعطيهم حياة أبدية (الثاني) ان البعض الآخر من الناس ينظرون الى محبة الله كأنها عامة وليست خاصة بهم لأننا إذا سألنا واحدا منهم هل يحب الله العالم ؟ ، فإنه يجيبنا على الفور " نعم " . وإن قلنا له بعد ذلك " أنت واحد من العالم ، فهل الله يحبك انت شخصيا " ، فإنه يتوقف عن الإجابة ، وهاتان العلتان (أي الركض وراء الوعاظ فحسب واعتبار محبة الله محبة عامة وليست خاصة) هما اللتان تحولان بين معظم الناس وبين التمتع بخلاص الله . لكن لو اتجه كل انسان الى الله وأمن أنه يحبه بصفة شخصية كما يقول الوحي ، لا نفتح المجال أمامه للتمتع بالخلاص من قصاص الخطية وسلطانها . وحقا لقد صدق لوثر في قوله " أن الشيطان يستطيع أن يقول : إن المسيح مخلص ، ولكن المؤمن الحقيقى وحده هو الذى يستطيع أن يقول : " المسيح مخلصي".

ولإيضاح أهمية هذه الخطوة نقول : إذا أرسل ثري " شيكًا " إلى فقير (مثلا) ، فإن الفقير لا يحصل على قيمته الا اذا صدق أولا أن هذا الشيك له شخصيًا، لكن إذا قال في نفسه انه لا يستحق هذا الشيك أو أن هذا الشيك ليس له شخصيًا ، فإنه لن ينتفع منه بشيء على الإطلاق . وهكذا الحال من جهة من يشعر بثقل خطاياه ، فإنه إذا لم يؤمن أن الخلاص مقدم له شخصيًا ، مثل غيره من الناس ، فلن يفيد منه أيضا.

٣- قبول المسيح فى النفس : أما وقد توافر لدى طالب الخلاص أن الله يحبه بصفة شخصية ، وأن المسيح مات نيابة عنه مكفرا عن كل خطاياه مثل غيره من الناس ، فعليه ألا يكتفى بالاعتزاز بهذه الحقيقة والتحدث عنها ، بل أن يتجاوب مع المسيح ويقبله مخلصا لنفسه وحياة لها ، فيصبح الخلاص للتو ملكا له . ومن ثم يحق له أن يفرح ما شاء له لفرح ، وأن يطمئن ما شاء له الاطمئنان ، فقد أصبح من هذه اللحظة أحدًا من أولاد الله المحبوبين الذين لهم السلام الكامل معه والذين لا يمكن أن يأتوا الى دينونة ، بل قد انتقلوا من الموت الى الحياة.

ولايضاح أهمية هذه الخطوة إلى حد ما، نقول : إذا ذهب مريض (مثلا) إلى أفضل الأطباء ، وحصل منه على أنجع دواء . لكن عوضًا عن أن يتناول هذا الدواء ، أخذ يتطلع إليه ويعجب به ويمتدح الطبيب الذي أعطاه له ، فإنه لا يمكن

أن يشفى من مرضه ؟ . وهكذا الحال مع الذين يضعون أمامهم حقيقة موت المسيح كفارة عنهم ، ويكتفون بالاعجاب بالمسيح والترنّم له والاشادة بفضله ، فانهم لا يفيدون من خلاصه على الإطلاق ، لأن الافادة تتوقف أولًا وأخيرًا على قبول شخصه في النفس كما ذكرنا.

ثانيًا - دلائل إيمان الخلاص

طبعا ليس كل من يقول أنه مؤمن حقيقي ، هو كذلك . لأنه كما يخدع الإنسان غيره، فقد يخدع نفسه أيضا . لذلك لم يتركنا الوحى في ريب أو شك من جهة هذا الموضوع : بل سجل لنا دلائل الإيمان الحقيقي بكل وضوح وجلاء ، وأهم هذه الدلائل ما يأتي :

١- المحبة لله والتعبد له : هذه هى أولى العلامات التي تدل على الإيمان حقيقي ، فقد قال يوحنا الرسول " نحن نحبه (أي نحب الله) لأنه هو أحبنا أولا " (١ يوحنا ٤ : ١٩) . وقال بولس الرسول ، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا " (رومية ٥ : ٥) ، وقال أيضا " لأن محبة المسيح تحصرنا " (٢) (كورنثوس ٥ : ١٤) وهذه المحبة تقود المؤمن الحقيقي للايمان الى الله من وقت الى آخر ، لكي يسكب قلبه أمامه تعبدا وسجودا ، ويصوغ له بتأثير الروح القدس في نفسه حمدا وشكرا كثيرا . وان كان أميا لا يستطيع التعبير عن آرائه في كثير من المسائل العامة ، لكن عندما يضع قلبه تحت تأثير الروح القدس ، تنبعث منه معان سامية يعجز عن صياغة مثلها كاتب ماهر.

وبجانب العبادة والسجود ، فإن المؤمن الحقيقي رجل صلاة (١) وهو يصلى ليس لإله مجهول ، أو لاله في عالم الفكر ، أو لاله في مكان قصى لا يمكن الاتصال به ، كما هو الحال عند كثير من الناس ، بل يصلي لإله حقيقى يعرفه حق المعرفة، ويمكنه الاتصال به . بالروح اتصالًا فعليًا كما أن الصلاة لديه ليست عادة يقوم بها بطريقة آلية ، أو مجرد فرض يقوم به كما يقوم العبد بواجب نحو سيده ، بل انها مهمة حيوية لا يستطيع أن يستغنى عنها ، فهى كالهواء بالنسبة الى رئتيه ، والطعام بالنسبة إلى جوفه . فضلا عن ذلك فإنه يجد في الصلاة لذة روحية فائقة ، ان فيها يناجي الله ويستمع الى صوته الكريم، ومن ثم فإنه يصرف الأوقات الطويلة فيها . وان استلزم الأمر ، فإنه يضحي عن طيب خاطر ببعض أعماله وأوقات راحته واستجمامه في سبيل إطالة فرص الصلاة وذلك لأجل نفسه ونفوس الآخرين، وقبل كل شيء لأجل مجد الله وإكرامه (١ تيموتاوس ٢ : ١

وافسس ٦ : ١٨) .

٢- التأمل في أقوال الله والتمتع بالإدراك الروحى : والمؤمن الحقيقي يدرس كلمة الله ، ليس مجرد واجب من الواجبات ، أو لكي يعرفها ويلم بها كموضوع من الموضوعات ، بل قبل كل شيء لأنه يرى فيها طعاما شهيا لنفسه ، ولذلك يدرسها بشغف وفهم ، ويسعى للهج فيها كثيرا . فهو من هذه الناحية صديق مخلص لكتاب الله ، له معه علاقة حية وصلة قوية ، يفهمه ويعرفه ، ويدأب على الرجوع إليه وتنفيذ أحكامه في كل ظرف من الظروف (مزمور ١١٩) .

ولتأثره بالله وتشبعه بكلمته، يكون له إدراك روحى أو ذوق ولذلك فانه ينبذ كل تعليم لا يتفق مع كلمة الله ، كما يميز بسهولة بين الحق والباطل ، حتى أن بدا الباطل في صورة الحق (١) ، وقد أشار المسيح إلى هذه الحقيقة فقال إن رعيته تتبعه لأنها تعرف صوته . وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء (يوحنا ١٠ : ٤ - ١٤) . فضلا عن ذلك فإن المؤمن الحقيقي في غنى عن أن يتعلم من العلماء أو الفلاسفة شيئا عن الله (٢) ، لأنه يستطيع بالروح القدس أن يتعلم كل شيء عن الله وعن أفكاره ومقاصده ، فقد قال الوحي للمؤمنين " وأما أنتم فالمسحة (أو بالحرى الروح القدس) (١) التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ، ولا حاجة بكم أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء " (١ يوحنا ٢ : ٢٧) . كما قال لهم " وأما المؤمن الروحي فيحكم في كل شيء ، وهو لا يحكم فيه من أحد ؟ لأن من عرف فكر الرب فيعلمه ، وأما نحن فلنا فكر المسيح" (١ كورنثوس ٢ : ١٥- ١٦)

٤ - السلوك بالتدقيق ، والمحبة لجميع الناس ، والمؤمن الحقيقي لتأثره بالله وتشبعه بكلمته ، يكون من دأبه أن ينظر ليس الى ما يرى بل الى ما لا يرى، ومن ثم يحفظ نفسه في حالة التوافق مع الله والتكريس له ، كما يسعى دائما أبدا الى تنفيذ إرادته دون ارادة الجسد ، ولذلك لا يطلب الخطية ولا يسعى وراءها ، وأن سقط فيها مرة لسبب من الأسباب ، لا يمكن أن يظل فيها طويلا ، لأنها تتعارض مع الطبيعة الروحية الجديدة التي نالها من الله . كما أنه لا ينطق بعبارة نابية أو يلجأ الى الهزل والمزاح ، أو يتصرف في شيء بنزق وطياشة ، بل تكون كل أقواله بنعمة وحكمة ، وكل أعماله بتعقل واتزان (افسس ٥ : ٤ ، ١٥ وتيطس ٢ : ٧)

و لتأثره بالله وتشبعه بكلمته يتصف أيضا بالكثير من صفات الله ، وفي مقدمتها

المحبة ، ومن ثم فإنه يحب جميع الناس حتى الذين يسيئون إليه (متى ٥ : ٤٣) ، كما يحب من قلب طاهر بشدة كل المؤمنين الحقيقيين (١ بطرس ١ : ٢٢) مهما اختلفت طوائفهم أو مراكزهم الاجتماعية ، لأنه يعرف أن له واياهم أبًا واحدًا هو الله (١ يوحنا ٥ : ٣) ومخلصا واحدًا هو المسيح (أعمال ٤ : ١٢) ، كما سكن فيه وفيهم روح واحد ، هو الروح القدس (١ كورنثوس ٣ : ١٦) (٢) . ولذلك قال الرسول " نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة لاننا نحب الاخوة " (١ يوحنا ٣ : ١٤) ، كما قال " من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا " (١ يوحنا ٥ : ١) .

٥ ـ اعلان نعمة الله ، وعمل الخير لأجل جميع الناس : والمؤمن الحقيقي يشعر بأنه مدين بحياته بأسرها لله ، ولذلك يبذل كل ما لديه من جهد في إعلان نعمة الله للخطاة ، حتى يفيد منها من يريد الفائدة ، كما أنه يمد يده الى كل معوز ومحتاج (١)، وهو لا يرجو من وراء عمله هذا وذاك جزاء أو ثوابًا ، اذ يرى ان الفخر وكل الفخر في أن يعمل عملا يمجد الله ، الذي أحبه وخلصه من خطاياه.

ولذلك إذا رجعنا الى الكتاب المقدس نجد أن المسيحيين الأوائل عندها تشتتوا بسبب الضيق ، جالوا في كل مكان يبشرون بكلمة الله وإن الذين آمنوا من أهل كورنثوس ممن كانوا (أعمال ٨ : ٤) يستعملون السحر ، احرقوا كتبهم وكان ثمنها خمسين ألفا من الفضة (أعمال ١٩ : ١٩) . كما أنه بمجرد الإيمان أعطى زكا نصف أمواله للفقراء (لوقا ١٩ : ٨) ، وغسل السجان جراحات الرسولين وقدم مائدة لهما في منتصف الليل (أعمال ١٦ : ٣٠ ـ ٣٤) وأضافت ليدية الرسول ومن معه في بيتها (أعمال ١٦ : ١٤ ، ١٥) ، والذين آمنوا يوم في الخمسين باعوا ممتلكاتهم ووزعوا ثمنها بين الجميع ، كما يكون لكل واحد احتياج (أعمال ٢ : ٤٥) . وهكذا فعل الذين آمنوا في مكدونية معرضين أنفسهم للفاقة في سبيل إسعاد الآخرين (٢ كورنثوس ٨: ١- ٥)

٦- الثقة الكاملة في الحصول على الخلاص : أخيرا نقول إن المؤمن الحقيقى يثق كل الثقة فى كفاية كفارة المسيح ، فيوقن أنها رفعت عن كاهله كل قصاص خطاياه (١) ، وجعلته مقبولا كل القبول أمام الله ولذلك يستطيع أن يقول " انى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله (لنا) التي في المسيح يسوع ربنا (رومية ٨ : ٣٨ ، ٣٩) ، أو " اني عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي (أي نفسي المستودعة بين يديه) إلى

ذلك اليوم " (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) . أو " لأننا نعلم انه ان نقض بيت خيمتنا الأرض (أي أجسادنا المادية) ، فلنا فى السماء بناء من الله غير مصنوع بيد أبدى " (٢ كورنثوس ٥ : ١ ، ٢) ، أو " الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا ظهر (المسيح) نكون مثله ، لأننا سنراه كما هو " (١ يوحنا ٣ : ١ - ٣) .

والحق أننا مهما جلنا بأفكارنا فى عالم العقائد الدينية والنظريات الأخلاقية والفلسفية، لا يمكن أن تجد فيها ما يبعث إلينا يقينًا مثل اليقين الذي يسديه المسيح إلينا ، ليس بناء على نظريات أو وعود مجردة ، بل بناء على كفارته الكاملة التي قدمها على الصليب نيابة عنا، ولذلك فاننا عن بقين صادق نستطيع من الآن أن نستحضر المستقبل المجيد أمامنا ، وندخل الله بقلوبنا ، ونستريح في أرجائه كل الراحة.

٩

المشكلات العقلية والدينية التي تعترض الخلاص

وموقفنا ازاءها

١ - التفكير في كيفية الإيمان : ليست هناك صعوبة البتة في الإيمان الذي نحصل به على الخلاص من الخطية ونتائجها ، فهذا الايمان (كما ذكرنا فيما سلف) لا يزيد عن كونه تصديق شهادة الله عن أن الخلاص هو بالمسيح ، وما أسهل هذا التصديق أمام كل إنسان راغب فى الخلاص المذكور . لكن الصعوبة التي تعترض البعض من جهة هذا الموضوع ، هي " التفكير في كيفية الإيمان " :

وهذه الصعوبة تلازمنا في الواقع عند التفكير في كيفية القيام بأى عمل من الأعمال ، مهما كان سهلا وبسيطا . فالمشي (مثلا) سهل وبسيط، لكن التفكير في كيفية القيام به ، يجعله صعبًا أمامنا . لأن هذا التفكير يؤدي بنا الى أن نسأل أنفسنا : هل نبدأ بالقدم اليسرى أم اليمنى ؟ وهل نستمر على هذا المنوال أم نغيره بعد حين ؟ وهل ترتكز أثناء المشى على كعب القدم ام على أصابعها ، أم على الكعب والأصابع معا ؟ ثم أي المفاصل نحركها أثناء المشي وأى المفاصل لا نحركها ؟ وماذا يحدث أن حركنا المفاصل التي لا يجب تحريكها ولم نحرك التى يجب تحريكها ؟ و ..... و ..... لكن كما نمشي دون أن نفكر في كيفية القيام بالمشي ، هكذا يجب أن نؤمن دون أن نتعب أنفسنا فى التفكير فى كيفية الايمان ، لان الايمان (وليس الكيفية التي يتم بها الإيمان)، هو الطريق إلى الخلاص.

ومع كل نقول ، نظرا لأن الأيمان عمل ، وكل عمل يسبقه باعث داخلي ، يجب على من يرى أمامه صعوبة في الإيمان بالمسيح ، أن يدرك أولا فى نفسه أنه خاطىء ، وأنه فى مسيس الحاجة الى الخلاص من قصاص الخطية وسلطانها . ثم يقرأ أو يسمع كثيرا عن محبة المسيح للبشر وموته كفارة عنهم ، وعن مقدار ما يستطيع أن يقدمه لهم من عطايا إذا آمنوا به. وأن يأخذ بعد ذلك فى ترديد ما قرأه أو سمعه بينه وبين ذاته، حتى يتذوق معناه ويتشبع به، وحينئذ يجد نفسه مشتاقا للتمتع بالمسيح وخلاصه الثمين، ويتولد فيه تبعا لذلك الايمان الحقيقي بشخصه الكريم.

٢- عدم الثقة بأن الخلاص هو بالإيمان : فضلا عن الآيات المتعددة التي تثبت أن الخلاص هو بالايمان ، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك أو الريب فى هذه الحقيقة على الإطلاق ، نقول ان معظم الذين يجدون صعوبة في الاعتقاد بها ، هم المترددون الذين يؤمنون بشطر من الكتاب المقدس ولا يستطيعون أن يؤمنوا بالشطر الآخر ، لأننا أن وضعنا أمامهم مثلا الآية : من يؤمن بالابن ، فله حياة أبدية و سألناهم : هل تؤمنون بالابن ؟ فإنهم يجيبون على الفور : نعم . وان قلنا لهم بعد ذلك : إن الله يعلن أن من يؤمن بالابن ، فله حياة أبدية ، فهل لكم أنتم حياة أبدية ؟ فإنهم يصمتون أو يؤولون معنى الآية بما يتفق مع أفكارهم من جهة السبيل الى الخلاص ، والحق ما أحوج هؤلاء الناس الى الاخلاص و الصراحة .

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

أن بدونهما لا يمكن أن ينعموا بالخلاص الذي ينشدونه ، بل يتعبون أنفسهم فى اللف والدوران حوله من وقت الى آخر ، دون أن يتقدموا خطوة واحدة نحوه . ولذلك فإن ما قاله المسيح سابقا لبطرس " يا قليل الايمان لماذا شككت ؟ " (متى ١٤ : ٣١) ، هو ما يقوله الآن لكل واحد منهم ، فليتهم يصفون الى صوت المسيح، ولا يشكون فيه على الاطلاق ، لأنه صادق وأمين (رؤيا ٣ : ١٤) ، والصادق الأمين يجب ألا يشك أحد في أقواله . كما يجب عليهم ألا ينتظروا حلما يؤكد لهم أنهم نالوا الخلاص (كما يقول الذين يذهبون وراء الرؤى والأحلام) ، لأن الكتاب المقدس لا يبنى خلاصنا على هذه أو تلك ، بل على الايمان الحقيقي دون سواه.

أما باقى الذين يجدون صعوبة فى الاعتقاد بأن الخلاص هو بالايمان فهم العقليون وحجتهم أنهم لا يصدقون ان هناك خلاصًا مثل هذا حتى يؤمنوا بالمسيح . وإلى هؤلاء نقول : أن الإيمان معناه تصديق الله قبل أن نختبر تأثيره فى نفوسنا ، لأن الإصرار على اختبار تأثير الله قبل الايمان به ، معناه الشك في أقواله والشك هو عدم الإيمان ، وبدون الإيمان لا يمكن ارضاء الله (عبرانيين ١١ : ٦) . فضلا عن ذلك فإن هؤلاء الأشخاص يجب أن يعلموا أن الإيمان والعقل يسيران جنبا الى جنب، وفى كثير من الأحيان يعتمد العقل على الإيمان وليس العكس فنحن نؤمن (مثلا) أن تناول كمية كبيرة من الأسبرين تحدث تسممًا في الجسم ، ليس لاننا إختبرنا هذه الحقيقة في نفوسنا، بل لأننا آمنا بما قراناه عنها، ومن ثم أصبحنا في غير حاجة الى اختبارها بأنفسنا كما أن الكثير من الاختبارات التي تصادفها في الحياة ، ترينا ضرورة الإيمان قبل الاختبار . فنحن نرى مثلا أن من يثق أن الماء يستطيع أن يحمل جسمه ، يمكنه أن يتعلم السباحة . ومن يثق أن الدراجة تستطيع أن تحمله وتسير به ، يمكنه أن يتعلم ركوبها . ولكن من يشك في هاتين الحقيقتين ، أو يحاول اختبارهما قبل الإيمان بهما ، قلما يستطيع الافادة منهما طوال حياته على الأرض . ولذلك على الأشخاص المذكورين أن يعتمدوا على الله وليس على اختبارهم ، وأن يثقوا فيه قبل أن يختبروا صدق أقواله . وعندما يفعلون ذلك ، ويقبلون المسيح باخلاص في نفوسهم، يمكنهم أن يختبروا حياته فيهم وخلاصه لهم ، مثل غيرهم تماما.

أخيرًا نقول : ان الله ينتظر منا أن نعامله كمـــا يجب اي بإيمان لا يخامره شك على الاطلاق ، واذا كان الواحد منا يؤلمه أن ينظر اليه انسان بعين الشك والريب، فمن المؤكد أن الله القدوس الكامل لا يطيق أن يعامله البشر كما لو كان

غير صادق في أقواله ، أو غير قادر ذلك اننا نثق فى بعض الناس ونعتمد عليهم ، ومع على تنفيذ وعوده كثيرا ما يخيبون أملنا فيهم . ولكن ثقتنا في الله لا تخيب أبدا، لأنه مادام قد تكلم ، فلا بد أن يعمل إن السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامه لا يزول (متى ٥ : ١٨) .

٣- ضعف الإيمان : يرتاب بعض الناس في امكانية تمتعهم بالخلاص لأن إيمانهم (كما يقولون) ضعف . لكن بالرجوع الى الكتاب المقدس ، يتضح لنا أن إيمان الخلاص لا يكون ضعيفًا أو قويًا ، إذ يكفى أن يكون حقيقيًا . فإشعياء النبي بمجرد أن أحس بخطورة خطيته وصرخ "ويل لي إني هلكت " ، أرسل الله إليه ملاكًا يعلن له أنه تعالى كفر عن خطيته (إشعياء ٦ : ٧) ، وزكا بمجرد أن بدت منه رغبة صادقة لرؤية المسيح ، قال له المسيح " أسرع وأنزل ، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك " ، كما قال له " اليوم حصل خلاص لهذا البيت " (لوقا ١٩ : ٥ - ٢٨) والابن الضال بمجرد أن رجع الى نفسه وأخذ فى العودة إلى أبيه ، ركض أبوه إليه ووقع على عنقه وقبله " (لوقا ١٥ : ٢٠) . والعشار بمجرد أن شعر بثقل شره وصرخ من أعماق قلبه " اللهم ارحمني أنا الخاطئ" ، نال العفو والغفران (لوقا ١٨ : ١٣) . اللص بمجرد أن حكم على نفسه بأنه يستحق العذاب، وصرخ للمسيح " اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك " ، أجابه المسيح فى الحال " اليوم تكون معي في الفردوس " (لوقا ٢٣ : ٤٣) .

فضلا عن ذلك فقد قال الوحي عن المسيح أنه " قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء " (متى ١٢ : ٢٠) ، لأنه يشفق على الضعفاء والمترددين ، ويمنحهم كل ما يحتاجون إليه من عون و إرشاد، إن كان فيهم ذرة من الإيمان (١)، وبذلك يتحول ضعفهم إلى قوة ، و يأسهم إلى رجاء . ومن ثم فأصغر المؤمنين وأبسطهم إدراكًا لهم الخلاص والغفران مثل أعظم المؤمنين وأفضلهم ، طالما يتوافر فيهم الإخلاص في الإيمان .

وإذا استمرت الشكوى من أحد من جهة ضعف الإيمان ، فعليه أن يضع في ذهنه أن هذا الضعف ليس علة لا دواء لها ، إذ أنه ليس أكثر من بطء النفس فى تفهم خلاص الله والتمسك به . لذلك عليه أن يتحول عن ذاته بكل ما فيها من شر أو خير (ان كان فيها ثمة شيء من الخير)، وأن يتأمل فى كفاية كفارة الله فى المسيح حتى يتشبع بها كل التشبع وحينئذ تتغير لغته تغييرا كليا . فلا يقول بعد انى ارتاب في أمر خلاصي أو أظن أنى سأخلص بنعمة المسيح ، بل يقول : أعلم علم اليقين أني خلصت بنعمته الى التمام (١ يوحنا ٥ : ١٣) - فمحبة الله لنا لا

حد لها على الإطلاق ، ولذلك فإن الإيمان البسيط لا يبطل وعد الله بالخلاص كما أن الإيمان القوي لا يكون عاملا فى اتمام هذا الوعد . لأن الله يهب الخلاص لكل الذين يريدونه له ، لا لسبب سوى أنه هو الذي وعد به لهم وهو كما تعلم لا يمكن أن يخلف وعده بأي حال من الأحوال . وإذا كان الأمر كذلك ، علمنا أنه أن كان لدينا أسباب تشككنا في استحقاقنا الذاتي للخلاص ، يجب ألا تشككنا في أمانة الله ، فضعفنا نحن شيء ، وأمانة الله شيء آخر . وفي قول المسيح لبولس الرسول " تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل " (٢ كورنثوس ١٢ : ٩) علاج لكل ضعف نشعر به في هذه الحياة.

٤- الصلاة للحصول على الخلاص : إن الصلاة هي الوسيلة الوحيدة التي ننال بها عطايا الله ، لكن الذين يصلون يومًا بعد يوم طالبين من الله أن يعطيهم (حسب اعتقادهم) الخلاص من عقوبة الخطية وسلطانها . هم فى الواقع يكررون الكلام باطلًا ، لأنهم يطلبون من الله احسانًا سبق وقدمه لهم ، عندما جعل المسيح نفسه كفارة من أجلهم ومن أجل غيرهم من الناس. لذلك فإن الرسول لا يقول لطالب الخلاص (اطلب الخلاص من الرب يسوع المسيح ، فتخلص) ، بل يقول له "آمن بالرب يسوع المسيح ، فتخلص " . ولذلك فما يجب علينا الآن أن نعمله ، ليس أن نطلب الخلاص من الله ، بل أن نؤمن في قلوبنا انه خلصنا ، فنتمتع في الحال بالخلاص ، وتفيض نفوسنا بالحمد والشكر لله . ولإيضاح هذه الحقيقة نأتي بالآيتين الآتيتين على سبيل المثال :

(أ) قال المسيح " ها أنذا واقف على الباب (أي باب القلب) وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، ادخل اليه واتعشى معه وهو معي (أي أفرح معه وهو معي " (رؤيا ٣ : ٢٠) - ففتح باب القلب كما يتضح من هذه الآية هو من عمل الإنسان ، ولذلك إذا أوصد انسان قلبه وظل يصلى ليلا ونهارا لكي يفتح الله قلبه للمسيح (أو بالحرى يجعله يؤمن به)، فلن يجيبه الله الى هذه الصلاة . لماذا ؟ لأن الله أعلن أن فتح القلب هو من عمل الإنسان ، وليس من عمله تعالى ولماذا جعل الله فتح القلب من عمل الإنسان ؟ طبعًا لكي يثبت الإنسان أنه يريد الخلاص بمحض اختياره ورضاه، لأنه ليست هناك فائدة في هبة تعطى للإنسان رغما عن إرادته.

(ب) وقال المسيح مرة أخرى " من يعطش فليأت . ومن يرد فليأخذ ماء حياة (أو بالحرى الخلاص الذى يهب الحياة مجانًا) (رؤيا ٢٢ : ١٧) - فتناول ماء الحياة (كما يتضح من هذه الآية) هو من عمل الإنسان ، ولذلك إن لم يتناوله إنسان

وظل يصلى ليلا ونهارا لكي يعطيه الله إياه ، فلن يجيبه الله إلى هذه الصلاة . لماذا ؟ طبعا لأن الله أعد لنا هذا الخلاص، وطلب منا أن نتناوله لكي نرتوي ونحيا . ولذلك يجب على كل من يشعر بالعطش الروحي أن يتناوله بنفسه ، لأن الله لا يعمل لنا عملا فى امكاننا ومن واجبنا أن نقوم به، للسبب السابق ذكره . وهذا هو عين ما نفعله في شؤوننا العادية ، فإننا كما يقول المثل " نقود الحصان إلى النهر ، ولكننا لا نجبره على الشرب " .. مع أنه حيوان أعجم لا عقل له ولا إدراك مثل الإنسان.

ه - السعي إلى الخلاص بالتدريج : يظن بعض الناس أن الخلاص لا يمكن بلوغه دفعة واحدة بل بالتدريج ، ولذلك يحاولون من وقت الى آخر(حسب زعمهم) أن يحصلوا عليه. وكان لهؤلاء عذر في تصرفهم هذا، لو أن الإيمان عمل بعيد المنال أو أن الذى ينادي لهم بالخلاص بمجرد الايمان ، إنسان يشك في أقواله . ولكن الإيمان (كما اتضح لنا مما سلف) عمل بسيط لدى كل الراغبين بإخلاص فيه ، كما أن الذي ينادي لهم بالخلاص بمجرد الإيمان ، هو الله نفسه - والله لا يغالي في أقواله أو يكذب فيها على الاطلاق (رومية ٣ : ٤) .

ولكي يتضح لنا مقدار الخطأ الذي يرتكبه هؤلاء الأشخاص ، لنفرض أن أبًا طيبًا كريمًا عفا عن زلة ارتكبها ابنه . ولكن هذا الابن لم يستطع أن يصدق أن أباه قد عفا عنه ، ولذلك أخذ يقول له من وقت إلى آخر " اني أحاول يا أبى أن أصدق أنك عفوت عنى كما وعدت " . فترى أى جرح يسببه هذا الابن لقلب أبيه ! ؟ لكن هذا الجرح بدرجة أشد ايلامًا ما يسببه لقلب المسيح كل من يقول له " إني أحاول أن أؤمن أنك غفرت خطاياي وطهرتني بدمك الكريم ! " وإذا كان الأمر كذلك ، يجب على الأشخاص المذكورين أن يضعوا في أذهانهم أن عملية الايمان لا تحتاج من الشخص المخلص وقتا طويلا . فالمرأة الخاطئة (لوقا ٧ : ٣٦ - ٨) وزكا (لوقا ١٩ : ١ - ١٠) وليدية (أعمال ١٦ : ١١ - ١٥) والسجان (أعمال ١٦ : ٢٥ : ٣٤) والعشار (لوقا ١٨ : ١٤) واللص (لوقا ٢٣: ٤٣) وغيرهم ، خلصوا جميعًا فى ثوان معدودة . فالإيمان يشبه من هذه الناحية فتح النافذة ، فإننا بمجرد أن نفتحها يدخل النور الى المنزل ويبدد ما فيه من ظلام ، لذلك فإن آمن هؤلاء الأشخاص في الوقت الحاضر تمتعوا بالخلاص في الوقت الحاضر أيضًا.

٦ - تحسين الحياة الروحية قبل الإتيان إلى المسيح : أما الذين لا يريدون أن يأتوا إلى المسيح إلا إذا تحسنت أولا حياتهم الروحية ، ولذلك يصرفون أوقاتًا طويلة

فى الصوم والجهاد ، حتى ينتصروا (حسب زعمهم) على الخطية ويصبحوا أهلًا لخلاص المسيح ، فإنهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم، لأنهم إن كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون بقدرتهم الذاتية أن ينتصروا على الخطية ويخلصوا أنفسهم منها ومن قصاصها، فترى لماذا يطلبون المسيح ويسعون اليه ؟!

لكن الحقيقة التي يجب أن يضعوها أمامهم ، ونضعها أيضا نحن المؤمنين أمامنا ، أن الانسان مهما حاول وجاهد ، لا يستطيع أن يرتقى بقوته الذاتية درجة واحدة فوق ناموس الخطية الكامن في طبيعته . والدليل على ذلك أننا جميعا نتعرض للخطأ ، ان لم يكن بالفعل ، فبالفكر والقول ، حتى في أثناء الصلاة والصوم . لذلك فليكف هؤلاء الأشخاص عن كل محاولة لإصلاح طبيعتهم العتيقة ، و ليأتوا الى المسيح كما هم بضعفهم ونقصهم ، ويقبلوه بالإيمان في نفوسهم ربًا وفاديًا . وعندما يفعلون ذلك ، يتمتعون للتو بالخلاص من قصاص خطاياهم كما يتمتعون بسكنى المسيح فيهم ، وبذلك يرتقون فوق ناموس الخطية ارتقاء تم يخطر لهم ببال . فقد قال الوحي " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة " (فيلبي ٢ : ١٣) . كما قال عن الله . يفعل فوق كل شيء ، أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر ، (أفسس ٣ : ٢٠)

٧- الاعتماد على الشعور : إن الشعور ليس أساسًا للحكم في أمر من الأمور . فالمريض الذى يقول انه يشعر أنه لا يمكن أن يشفى ، والتلميذ الذي يقول انه يشعر أنه لا يمكن أن يفلح ، يبنيان اعتقادهما على أساس أوهى من نسيج العنكبوت . وعلى هذا النسق فإن الإنسان الذي يقول: انه يشعر أنه لا يمكن أن يخلص ، أو يشعر بأن خطيته لا يمكن أن تغفر أن يشعر أن الله لا يمكن أن يقبله - يبعد نفسه عن طريق الصواب بعدًا عظيمًا، لأنه يبحث عن الخلاص فى شعوره وخياله وليس في المسيح وهذا هو عين الخطأ ، إذ أن الثقة يجب ألا تكون في الشعور (لأن الشعور معرض للتغير من وقت الى آخر ، حسب الظروف والأحوال أو حتى في الإيمان (لأن الإيمان معرض للزيادة والنقصان ، تبعا للحالة أن تكون أولًا الروحية التى يكون عليها الانسان) ، بل إن الثقة يجب أن تكون أولًا وأخيرا في المسيح دون سواه . لأن المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد (عبرانيين ١٣ : ٨) ، ووعوده لا بد أن تتم بحذافيرها . ولكي لا يبقى هناك مجال للشك من جهة الخلاص أمام الذين يعتمدون على شعورهم وليس على المسيح ، ندعوهم الى التأمل في الدم الذي أمر الله شعبه قديما أن يضعوه على منازلهم حتى لا يهلكهم المهلك. فقد قال تعالى لهم " فأرى الدم وأعبر عنكم "

(خروج ١٢ : ١٣) - ومن هذا يتضح لنا أن النجاة من الهلاك كانت متوقفة أولا وأخيرًا على رؤية الله وحده للدم . ولذلك لو كان البعض يتطلعون الى هذا الدم أو لا يتطلعون ، أو يشعرون داخل منازلهم بالاطمئنان أو لا يشعرون ، فإن كل ذلك لم يكن يؤثر في قليل أو كثير على نجاتهم من الهلاك .

أما المؤمنون الذين عندما يفقدون الشعور بالفرح الروحي يومًا .. يرتابون في أمر خلاصهم ويتسرب إليهم الحزن واليأس تبعا لذلك ، فنقول . لهم بناء على كلمة الله : ان لم تشعروا يوما يميل الى الفرح ، اجتهدوا أن تفرحوا بأي حال . ففى محبة الله ورحمته مجال واسع للفرح ، والفرح في كل حين . فقد قال الرسول " افرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضا افرحوا " (فيلبى ٤ : ٤) ، لأن الخلاص مضمون الى الأبد بالمسيح ، بناء على كفارته الكاملة التي عملها على الصليب.

٨ - الاسترسال في الحزن على الخطية : يظن بعض الناس أنه من دواعي قبول الله لهم ، أن يحزنوا كثيرا على خطاياهم . لذلك يسترسلون في الحزن والبكاء عليها ظنًّا منهم أنهم بذلك يجعلون أنفسهم أهلا للقبول أمام الله . لكن فات هؤلاء أن الإنسان في أسمى حالاته في ذاته أهلا للقبول أمام الله ، لأن تأهيلنا لهذا القبول يتوقف أولًا وأخيرًا على كفارة المسيح كما ذكرنا مرارًا وتكرارًا . كما فاتهم أن الاسترسال في الحزن فضلًا عن أنه يزيدهم حزنًا فوق حزن ، فإنه يحول بينهم وبين الاستعداد الروحى لقبول خلاص الله ، فيكون مثلهم مثل المريض الذي يحصر تفكيره في مرضه دون سواه ، فإنه يضيف الى مرضه مرضًا آخر .

لذلك على هؤلاء الأشخاص ألا يضعوا أمامهم خطاياهم من وقت الى آخر وينوحوا لسقوطهم فيها ، بل عليهم أن يتطلعوا إلى المسيح الذي كفر عنها ، وبتكفيره أزالها من أمام الله إلى الأبد عن كل من يؤمن إيمانًا حقيقيًا وحينئذ يستريحون كل الراحة و يطمئنون كل الاطمئنان.

وإذا كان الأمر كذلك ، يجب ألا يفخر انسان ان كان قد حزن على خطاياه كثيرًا ، ولا يدب اليأس فى آخر إن كان لم يحزن مثل هذا الحزن . لأن استحقاق التمتع بخلاص الله لا يتوقف على مقدار ما يبدو منا من حزن، بل على كمال كفارة المسيح من أجلنا.

٩- عدم الاستحقاق : أما الذين يعتقدون أن بركات الخلاص ليست مقدمة لهم ولأمثالهم من الأشرار ، بدعوى أنهم لا يستحقون شيئا منها ، وهكذا يتسربلون

(حسب اعتقادهم) بثوب التواضع ، عليهم أن يعلموا أن الله لا يعاملنا على مبدأ الاستحقاق بل على مبدأ النعمة . ومعنى النعمة ليس هو الإحسان للذين يستحقون الاحسان ، بل الاحسان للذين لا يستحقون احسانا. ولذلك يجب على هؤلاء الناس ألا ينظروا الى نفوسهم وما بها من نقائص ، بل أن ينظروا الى الله في محبته ورحمته اللتين لا حد لهما ، فتبتهج نفوسهم وتتمتع بخلاصه.

ولكي لا ندع مجالا أمام إنسان ما لليأس من خلاص الله ، نقول : ترى إذا كان الابن الضال بعد أن رجع إلى بيت أبيه (لوقا ١٥ : ١١ - ٢٤) ، رفض أن يعانقه أبوه ، أو يضع الخاتم فى يده ، أو الحذاء في رجليه ، أو الحلة الأولى على جسده . كما رفض أن يدخل الى البيت يأكل من الطعام الفاخر الذى أعده له أبوه ، واكتفى بأن يجلس خارج البيت في أثماله البالية ، وأن يأكل من فضلات الطعام مع الخدم ، شعورًا بعدم استحقاقه لأي بركة من بركات أبيه ، فهل يكون تصرفه هذا دليلا على التواضع أم الغباوة ، وإذا كنا نؤمن جميعا أنه دليل على الغباوة يجب على الأشخاص المذكورين أن يثقوا تماما أن لهم بركات الفداء التي أعلنها الوحى ، مثل أفضل الناس سواء بسواء ، فيحصلون عليها ويتمتعون بها مثلهم.

والحق ما أحوجنا نحن المؤمنين أيضا الى المزيد من الثقة في الهنا ، لأن عدم توافرها فينا هو الذي يحرمنا من التمتع العملي بكل بركات الفداء في الوقت الحاضر ، ولذلك يجب ألا نحد من ايماننا على الاطلاق ، لأننا مهما غالينا فيه لا يمكن أن نخرج به عن الحد الذي ينتظره الله منا ، فهو يريد أن يعطينا ليس كل ما نطلبه فقط ، بل وأيضا أكثر مما نطلبه بدرجة لا تستطيع أن ترقى إليها أفكارنا (أفسس ٣ : ٢٠) .

١٠- البر الذاتي ، وعدة الاحساس بخطايا خاصة : إن التباهي بالبر الذاتي يمنع أصحابه من معرفة حقيقة أمرهم ، ولذلك يظنون أنهم ابرار أو على الأقل أنهم أفضل من غيرهم من الناس ، وأنهم تبعا لذلك لبسوا في مثل حاجتهم الى الخلاص ، ومن ثم فإنهم يبعدون أنفسهم عن رحمة الله كما فعل الفريسيون من قبل (لوقا ١٥ : ٤) . كما أننا اذا درسنا آراء الذين يعتمدون على برهم الذاتي،

نجد أنهم لا يعرفون المعنى الذي نقصده من وجوب الإيمان بالمسيح للحصول على الخلاص ، لأنهم يعتقدون أن جميع المنتمين الى المسيح هم مسيحيون أو مؤمنون بالمسيح (١) ، وأن خلاصهم يتوقف على قيامهم بالفرائض والواجبات الدينية ، الأمر الذى لا يوجد له أساس في الكتاب المقدس على الإطلاق ومن ثم على هؤلاء الأشخاص أن يضعوا نصب عيونهم أنهم مهما عملوا من بر، فهم عبيد بطالون ، لأنهم لم يفعلوا إلا ما أمرهم الله به (لوقا ١٧ : ١٠) ، وأنهم إن حفظوا كل الناموس وإنما عثروا في واحدة من وصاياه ، فقد صاروا مجرمين فى الكل (يعقوب ٢ : ١٠) ، وأنهم لذلك ليسوا أبرارا أمام الله كما يظنون (رومية ٣ : ١٢) .

وإذا كان الأمر كذلك فإنهم (بشهادة الله) خطاة مثل أشر الناس ، وشهادة الله عنهم أصدق من شهادة الناس وأصدق أيضا من من شهادتهم عن أنفسهم، لأنه وحده هو الفاحص القلوب والعالم بكل ما فيها . وإن لم يسلموا بشهادة الله هذه ، فانهم يضلون أنفسهم ويبعدونها عن الله كثيرا (١ يوحنا ١ : ٨) - هذه هي الحقيقة المرة التي يجب أن يواجهوها الان، وأن يقنعوا أنفسهم بها حتى يدركوا أنهم في حاجة الى خلاص الله مثل أشر الخطاة . وإذا ما بلغوا هذه الدرجة من الإدراك، فليقبلوا المسيح ربًا وفاديًا ، وحينئذ يعرفون ما هو خلاص الله ، وما هي البركات التي تترتب عليه.

أما عن عدم احساس بعضهم بخطايا خاصة في نفوسهم ، فهو دليل ليس على طهارتهم أو قداستهم، بل على اعتقادهم بأن الخطية هي فقط الجريمة المنكرة . ولكن الحقيقة غير ذلك ، لأن الخطية هي أقل انحراف بالفكر عن كمال الله

وصفاته العلوية السامية كما ذكرنا في الفصل الأول ولذلك عليهم أن يأتوا بقلوبهم الى الله ، ويقول كل منهم كما قال داود مرة له " اختبرني يا الله واعرف قلبي ، امتحني واعرف أفكاري . وانظر ان كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقا أبديًا " (مزمور ١٣٩ : ٢٣)، وحينئذ سوف يصرخ كل منهم قائلا عن نفسه:" نجس نجس". (لاويين ١٣ : ٤٥) ، أو" ويل لي إني هلكت " (إشعياء ٦ : ٥) ، أو " اللهم ارحمني أنا الخاطئ " (لوقا ١٨ : ١٣) فيترأف الله عليهم ويقودهم إلى الخلاص من الخطية وعواقبها الوخيمة .

١١ - الاختيار : أخيرًا يظن بعض الناس أن الخلاص ليس للجميع بل لأشخاص اختارهم الله ، ومن ثم لا يتوبون عن خطاياهم ولا يقبلون المسيح مخلصًا لهم ، بدعوى انهم ان كانوا من المختارين فان الله سوف يأتي بهم إليه رغمًا عنهم . وإن كانوا من غير المختارين فانهم لا يمكن أن يخلصوا مهما فعلوا - وللرد على هؤلاء نقول : حقا ان الوحى أعلن أن الله اختارنا (نحن المؤمنين) فى المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة (افسس ١ : ٤ - ٦) ، لكن من الناحية الأخرى أعلن لنا أن الله لا يسر بموت الشرير، بل أن يرجع من طريقه ويحيا (حزقيال ٣٣ : ١١) ، وأن الله يريد جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تيموتاوس ٢ : ٤) ، وأن الله أحب العالم (بأسره) لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٦) .

من هذا يتضح لنا أن الله وإن كان قد اختار بعض الناس للحياة الأبدية، غير أنه لا يأتي بهم اليه رغما عنهم بل بإرادتهم ، الأمر الذي يدل على أن هناك علاقة مباشرة بين اختيار الله الأزلي للمؤمنين ، وبين إيمان هؤلاء المؤمنين وطاعتهم لله في الزمن الحاضر . ولذلك فإن كنا لا نعرف كل شيء عن الاختيار الأزلي لسمو أفكار الله عن أفكارنا (رومية ١١ : ٣٣) ، لكن يمكننا أن نقول بكل يقين : إن هذا الاختيار لا يقوم عقبة أمام أى إنسان فى سبيل التوبة والايمان الحقيقي ، لأن الاختيار ليس إلا مظهر من مظاهر نعمة الله ومساعدته للراغبين في الإتيان إليه . لذلك فكل خاطيء يضع في قلبه أن يتوب عن خطاياه ويقبل إلى المسيح، سوف يرى أن روح الله يعضده ويساعده ويبعث الى نفسه بكل رجاء وأمل . وسوف يعلم في النهاية ، إن كان يؤمن إيمانًا حقيقيًا ، أن الفضل فى خلاصه لا يرجع إلى اجتهاده الشخصي بل الى نعمة الله وحدها.

أما الذي يظل فى خطاياه ويقول " ان كان الله قد اختارني ، فإنه لا بد أن يأتي بي إليه رغما عنى فى يوم من الأيام " ، وهكذا يظل عائشاً في خطاياه، ففضلا

عن أنه يبنى اعتقاده على غير أساس ، فإن قوله هذا دليل على أنه يصر على البقاء فى الخطية ، وبالتالي على أنه غير أهل للخلاص ، لأن الله لا يخلص أحدا رغما عن إرادته - فالمسيح يعرض نفسه على جميع الناس ، والناس لهم أن يقبلوه ولهم أن يرفضوه ، فإذا قبله واحد منهم يصبح للتو ابنا لله له حياة أبدية معه، وإذا رفضه آخر ، يظل فى خطاياه ويجلب على نفسه شقاء أبديا ، وبئس المصير.

مما تقدم يتضح لنا أن الحياة المسيحية ، مع الاعتماد على الله فيها كل الاعتماد ، ليست حياة سلبية بل حياة ايجابية ، فنحن يجب أن نقلع عن الخطية بأنفسنا ، ويجب أن نقبل المسيح مخلصًا لنا بأنفسنا ، ويجب أن نأخذ الروح القدس بالايمان بأنفسنا ، ويجب أن تتلقى عطايا الله ومواهبه بالإيمان بأنفسنا أيضا.

---

(١) لأن الكلمة " توبوا " ترد في الأصل اليوناني (ميتانويت) ، معناها الحرفي (كما يقول علماء اللغة اليونانية) " تبدلوا ، أو غيروا عن اتجاهكم ".

---

(١) إن الاستماع لأقوال الله ، يدل ولا شك على الرغبة في التعرف عليه أو التقرب منه ، لكن سماع هذه الأقوال بالاذن شيء وسماعها بالقلب فيؤثر فى النفس ويقودها للاتصال بالله شيء آخر ، لأن الأول لا يؤدي إلا الى زيادة المعلومات عن الله ، أما الثاني فيؤثر فى النفس ويقودها للاتصال بالله.

---

(١) " العبادة " هي تقديم الإكرام والسجود لله لما يتصف به تعالى من سجايا سامية، مثل المحبة والقداسة والقدرة والعلم والسمو . أما الصلاة فهي طلب ما نحتاج إليه منه في هذه الحياة . لذلك فالعابد يقدم شيئا لله ، أما المصلي فيطلب شيئا منه ، والأول يتأثر بالله دون سواه ، أما الثاني فيتأثر بحاجته أمام الله.

(١) فهو يشبه من هذه الناحية الموسيقار الموهوب الذي له أذن موسيقية فإنه يستطيع إدراك أقل خطأ قد يوجد فى لحن ما ، بينما لا يستطيع غيره ادراك هذا

الخطأ على الاطلاق.

(٢) أذكر أن أحد أساتذة الفلسفة كان يتحدث مرة في حفل عن الأدلة على وجود الله، وكان الكل يصغون اليه بانتباه الا رجل واحد وعند الانتهاء تقدم الى هذا الرجل وقال له " لماذا لم تكن مصغيا الى حديثى مع أهميته العظمى لكل الناس ؟ " فأجابه الرجل بكل بساطة " الله الذي تحاول أن تثبت وجوده ، أعرفه أنا معرفة شخصية ، ولي معه علاقة مستمرة " ، فبهت أستاذ الفلسفة وسكت.

---

(١) كان الكهنة والملوك فى العهد القديم يمسحون بزيت مقدس عند تعيينهم في وظائفهم (لاويين ٨ : ١٢ و ١ صموئيل ١٦ : ١٣) رمزًا لحلول الروح القدس عليهم (أعمال ١٠ : ٣٨) و (١ يوحنا ٢ : ٢٠) ولذلك يسمى الروح القدس مجازا "المسحة " .

(٢) مما يجدر الاشارة اليه في هذه المناسبة ، أن الكاثوليك والأرثوذكس والانجيليين يتفقون معا على حقائق الإيمان المسيحي الجوهرية (مثل قيام الله بثلاثة أقانيم ، ولاهوت المسيح ، وموته بالجسد كفارة عن الخطية ، وقيامه بعد ذلك من بين الأموات ، وصعوده إلى السماء) والفرق بينهم أن الفريقين الأولين يتمسكان بتقاليد توارثوها من القدماء لا يؤدي التمسك بها الى الحياة الأبدية ، أو عدم التمسك بها إلى الهلاك الأبدي . ولذلك لو التف كل المسيحيين حول المسيح وحده ، لاتحدت قلوبهم وأفكارهم .. وإن بقى شيء من الاختلاف بعد ذلك بينهم فإنه لا يؤثر على وحدتهم الروحية على الاطلاق . ولذلك عليهم أن يضعوا نصب أعينهم أن المسيح هو الذي يوحدهم ، ولكن آراءهم وتفسيراتهم هي التي تفرقهم.

(١) وإن كان المؤمن حسب الظاهر هو الذي يقوم بالأعمال الصالحة لكن العامل الرئيسي الذي يقوده للقيام بها هو الله . فقد قال الرسول " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة " يجب أن يكون المؤمن فى حالة التكريس الكامل لله (فيلبى ٢ : ١٣) ، ولذلك حتى تكون الأعمال الصالحة التي يقوم بها ، خالية من الشوائب التي ذكرناها في الفصل الأول.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

(١) أما الذي يتساءل من وقت الى آخر : " ماذا ينبغي أن يفعل لكي يخلص ؟ فلا يكون مؤمنًا حقيقيًا، لأن القاعدة العامة هي أن الايمان الحقيقي لا يدع مجالا للشكوك أو الوساوس على الاطلاق . غير أن هناك حالة شاذة لهذه القاعدة سببها عدم المعرفة الكاملة بكلمة الله ، أن يوجد مؤمنون يعيشون بالتقوى والأمانة أمام الله ، ومع ذلك لا يثقون ثقة تامة أن لهم حياة أبدية - فمثلهم والحالة هذه ، مثل جماعة من الفقراء يوجد بين أيديهم كنز ثمين ، وهم لا يدرون عن قيمته شيئا - لكن الله الذي يعرف قلوب هؤلاء المؤمنين ، لا شك أنه يعاملهم بالمعاملة التي يعامل بها أمثالهم من الذين يثقون أن لهم هذه الحياة.

---

(١) وحتى الايمان الذى يتطلبه المسيح من الراغبين في التغلب على أي صعوبة من الصعوبات ، لا يشترط فيه أن يكون عظيما . فقد قال مرة لتلاميذه : " لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك ، فينتقل "

(متى ١٧ : ٢٠) - ان الله يسرّ بمن كان إيمانهم عظيمًا، لكنه لا يهمل قليلي الايمان على الإطلاق ، لأنه ان كان يوبخهم، غير أنه يساعدهم ويخلصهم

(متى ٨ : ٢٦) .

---

(١) مما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة ، أن أي إنسان في البلاد المسيحية ، إن لم يكن مؤمنا حقيقيا ، فيندر أن يقول عن نفسه أنه مسيحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

١٠

المشكلات الجسدية والدنيوية التي تعترض الخلاص ، وموقفنا ازاءها

١- كثرة الخطايا السالفة : إن الذين لا يأتون الى المسيح ظنًّا منهم أنه لا يقبلهم لكثرة الخطايا التي عملوها فيما سلف من حياتهم يجب أن يضعوا في نفوسهم أن المسيح لم يأت للابرار بل للخطاة ، لأن الأصحاء لا يحتاجون الى طبيب بل المرضى (متى ٩ : ١٢) . ولذلك كان المسيح في أيام تجسده يقضى معظم أوقاته بين الخطاة والعشارين ، فقد قيل عنه مرة إنه " دخل ليبيت عند رجل خاطئ " (لوقا ١٩ : ٧) ، وقيل عنه مرة أخرى " وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه " (لوقا ١٥ : ١) ، وقيل عنه مرة غيرها أنه ، محب للعشارين والخطاة " (متى ١١ : ١٩). فضلا عن ذلك فإن الوحى يعلن لنا أنه " حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا " (رومية ٥ : ٢٠) ، ومن ثم ليس هناك ما يدعو لليأس والفشل مهما كانت الخطايا السالفة فاضحة وكثيرة ، بل كلما ازدادت الحالة سوءا ، يجب أن تزداد الثقة في خلاص الله كثيرا . فالمرأة التي قضت حياتها في الدنس خلصها المسيح (لوقا ٧ : ٥٠) ، واللص الذي صرف حياته في الإجرام خلصه المسيح (لوقا ٢٣ : ٤٣) ، و شاول الذي كان يضطهد المسيحيين أشر اضطهاد خلصه المسيح (١ تيموثاوس ١ : ١٥) . لذلك فإن الوحي ينادى الخطاة قائلا لهم " هلم نتحاجج يقول الرب . إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج (النازل من السماء) . ان كانت حمراء كالدودى (١) تصير كالصوف " (إشعياء ١ : ١٨) . والحق أن الخلاص أقرب الى أشر الخطاة مما يظنون ، فالمرأة الخاطئة (مثلا) أتت الى المسيح وهى لا تستطيع أن تواجهه لعارها وكثرة خطاياها ، ولكنها كانت في نظره أفضل من الفريسي المتدين الذي كان يضيفه وقتئذ ، كما كانت أقرب منه الى الخلاص كثيرًا (لوقا ٧:٥٠) ولذلك فمثل معظم الخطاة ، مثل جماعة من المسافرين في الصحراء يكون الماء على بعد خطوات قليلة منهم ، ومع ذلك يموتون عطشًا لعدم معرفتهم بمكان وجوده . ومن ثم على الجميع أن يعرفوا أن ينبوع الخلاص يتدفق من عرش النعمة الى حيث يوجدون ، ولكل منهم أن يتناول منه بنفسه ويرتوي (فهو له ، كما هو لغيره من الناس) ، فيصبح للتو ملكًا له لأننا لا ننال الخلاص على أساس الشعور باستحقاقنا ، بل على أساس كفارة المسيح وحدها.

٢ - الخوف من السقوط فى الخطية بعد الإيمان : وهناك بعض الناس لا يأتون الى المسيح خشية أن يسقطوا فى الخطية بعد الإيمان هؤلاء الناس يجب أن يضعوا فى نفوسهم أن النصرة على الخطية ليست من عملهم ، بل من عمل الله فيهم . ولذلك عندما يسلمون حياتهم له ويحفظون قلوبهم فى حالة الشركة معه ، يحفظهم في جو القداسة والطهارة ، وإن هاجمتهم الخطية يومًا ، فإنهم يستطيعون بنعمته أن ينتصروا عليها انتصارًا عظيمًا ، فقد قال الرسول " يعظم انتصارنا بالذي أحبنا " (رومية ٨ : ٣٧) .

أما المؤمنون الذين يرتابون في خلاصهم ، إذا وجدوا في نفوسهم بعد الايمان ميلا الى خطية ما ، فعليهم أن يعلموا باديء ذي بدء انه لا سكن في أجسادهم أو أجساد افضل القديسين شيء صالح (رومية ٧: ١٨) ، لأنه طالما نعيش فى الجسد فالطبيعة العتيقة تقبع داخلنا ، ولذلك نتعرض لظهور الميل الى الخطية في نفوسنا ، حتى ان بلغنا في حياة الإيمان أرقى الدرجات ، ومن ثم يجب ألا نضع اصبعنا على نبضنا الروحي من وقت الى آخر ، لكي نرى هل أصبحت حياتنا الروحية أفضل أم أرداً ، بل يجب أن ننظر إلى المسيح وحده فى كل حين ، لأنه هو برنا وقداستنا أمام الله (١ كورنثوس ١ : ٣٠) : فضلا عن ذلك فإن النظر إليه في كل حين ، من شأنه أن يحول أفكارنا عن كل ميل إلى الخطية ، ويجعلنا نتغير من مجد الى مجد كما من الرب الروح (٢ كورنثوس ٣ : ١٨) . و إذا تعرضنا على الرغم من اتجاهنا إلى المسيح ، لظهور أي مثل للخطية فى نفوسنا ، فعلينا ألا نفسح له المجال لكي يتشعب فينا، بل أن ننصرف في الحال عنه ، ونعود الى علاقتنا مع المسيح فنصبح في مأمن من الخطية وعواقبها الوخيمة.

٣- السعي المتواصل وراء الثروة : إن السعي للحصول على شيء من المال ، أمر لازم طالما نحن نعيش فى هذا العالم ، لكن اذا طغى هذا السعي على النفس ، يصبح خطرًا عظيمًا عليها ، إذ أنه لا يترك فرصة امامها لكي تفكر في ابديتها، كما يسلبها كل رغبة فى الحصول على خلاص الله . ولذلك قال الوحي إن الذين يريدون أن يكونوا أغنياء ، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة ، تغرق الناس في العطب والهلاك ، " لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة " (١ تيموثاوس ٦ : ٨ - ١٠). حقا ان بعض الذين يسعون وراء الثروة سعيا متواصلا لا يقترفون شرًا من الشرور الفادحة ، لكن هذا ليس دليلا على أنهم

أطهار أو أبرار ، ان فضلا عن أنهم خطاة بطبيعتهم وأعمالهم مثل باقى الناس ، وأن أعمالهم الصالحة لا تستطيع التكفير عن خطية واحدة من خطاياهم (كما ذكرنا في الفصل الأول) ، فإنهم يتجاهلون الله فى حياتهم . ولذلك فإنهم يشبهون الغني الذى عندما زادت ثروته زيادة لم يكن يتوقعها ، لم يشكر الله على نعمته وإحسانه ، أو يكف عن السعى وراء المال ، حتى يتسع له المجال للعبادة والصلاة وتوزيع شيء من نتاج أرضه المتكاثر على المساكين والفقراء ، بل أخذ يهنىء نفسه ويغبطها إذ قال لها : " يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة استريحي وكلي واشربي وافرحي " (لوقا ٢ : ١٩) - فهذا الرجل لم يقترف شرا من الشرور الفادحة في نظر الناس ، ومع ذلك كانت آخرته الظلمة الخارجية والعذاب الأبدي .

لذلك على هؤلاء الناس أن يذكروا قول المسيح " ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه " (متى ١٦ : ٢٦) ، وقول الحكيم " باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح " . وقوله بعد ذلك " فلنسمع ختام الأمر كله . اتق الله واحفظ وصاياه ، لأن هذا هو الإنسان كله (١) . لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة... إن كان خيرًا أو شرًا " (جامعة ١٢: ١٣و ١٤) .

٤ - الخوف من التعرض لتضحيات مالية أو غيرها من التضحيات : إن الله لا يريد أن يأتى الخطاة اليه ، لكى يأخذ منهم شيئا من المال ، لأن غنى الله لا يحصى ولا يحد (افسس ٣:٨) ، بل يريد أن يأتوا اليه ، لكى يخلصهم من خطاياهم ويعطيهم حياة أبدية . لذلك عليهم ألا يشغلوا نفوسهم الآن فى التفكير فيما يجب أن يضحوا به من مال أو غير المال ، بل عليهم فقط أن يقبلوا المسيح ربًا وفاديًا . وعندما يقبلونه ويتمتعون بخلاصه ، يحصلون منه على حياة جديدة تسمو بهم فوق العالم كثيرا ، كما تجعلهم ينظرون الى جميع الأشياء بالنظرة التي ينظر بها الله . ولذلك نرى زكا الذى كان يتفانى فى جمع المال وتكديسه ، عندما حصل على الحياة الجديدة، تغيرت نظرته من جهة المال تغييرا كليا فخاطب المسيح قائلا " ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين . وإن كنت قد وشيت بأحد أرد له أربعة أضعاف " (لوقا ٩ : ٨) ، مع أن الشريعة الموسوية التي كان يخضع لها ، لم تكن تطالبه بأن يدفع سوى عشر ايراده لله (تثنية ١٢ : ١٧) ، وأن يرد ما اغتصبه مضافا إليه خمس نيمته فحسب (١) . ولكن الحياة الروحية الجديدة التي دبت في زكا، جعلته يقوم من تلقاء ذاته بأعمال توازي أضعاف ما

يطلبه الناموس.

وعلى هذا النسق فإن من يقبل المسيح ويسلم حياته له ، لن يجد صعوبة البتة فى تقديم أى معونة لفقير أو مسكين ، بل بالعكس يجد في القيام بهذا العمل سرورا عظيمًا ، ان يرى أنه يتوافق به مع الله في إسعاد الآخرين . كما يرى أنه مهما أعطاهم من مال ، لا يكون هذا المال شيئا مذكورا بجانب نعمة الخلاص التى أحسن بها عليه ، هذه النعمة التي عندما اختبرها الرسول قال بملء فيه " لكن ما كان لي ربحا ، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة ، بل إني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي ، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه " (فيلبي ٣ : ٧ - ١١)

أما من جهة جواز التعرض لبعض الآلام والضيقات في العالم الحاضر بسبب الإيمان الحقيقي ، فيجب ألا يكون مانعًا أمام الراغب في الخلاص . لأن المسيح قال لنا " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات " (متى ٥ : ١١). كما قال رسوله " قد وهب لكم من أجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا من أجله أيضا ، (فيلبي ١ : ٢٩) ، ومع كل فإن " خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا اكثر فأكثر ثقل مجد أبدي " (٢ كورنثوس ٤ : ١٧) .

ه - الانصراف الكلي نحو مطالب الحياة الجسدية : إن الاجتهاد في سبيل هذه المطالب واجب فرضه الله على الإنسان ، فقد قال لآدم " بعرق وجهك تأكل خبزا " (تكوين ٣ : ١٩) ، كما قال على لسان رسوله " إن كان أحد لا يريد أن يشتغل ، فلا يأكل أيضا " (٢ تسالونيكي ٣ : ١٠) . ولكن الانصراف الكلي نحو المطالب المذكورة ، يكون حائلا بين الإنسان وبين الاتجاه إلى الله والتمتع بخلاصه . ولذلك وجه المسيح أنظار تلاميذه الى ضرورة عدم الاهتمام الكلي بهذه المطالب . فقال لهم " فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فان هذه تطلبها الأمم ، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه " (متى ٦ : ٢٥ - ٣٤) ، ولذلك يجب ألا تشغلنا مطالب الحياة الجسدية عن الله بأى حال من الأحوال.

٦- هموم الحياة : إن هموم الحياة كثيرة ، وإذا استسلم المرء لها فإنها تنسيه الله والأبدية ، وحتى إذا سمع كلمة الله يوما فإنه لا يفيد منها. ولذلك حذرنا المسيح من الهموم قائلا إن " هم هذا العالم يخنق الكلمة ، فتصير بلا ثمر " (متى ١٣ : ٢٢) . وقد عرف رجال الله خطر الهم ، فقال سليمان الحكيم " الغم في قلب الرجل يحنيه " (امثال ١٥ : ٢٢) . والسبيل الوحيد للتخلص من الهموم والمشاكل هو الاتكال على الله والاعتماد عليه ، ولذلك قال داود النبي " الق على الرب همك فهو يعولك " (مزمور ٥٥ : ٢٢) وقال بولس الرسول للمؤمنين " فأريد أن تكونوا بلا هم " (١ كورنثوس ٧ : ٣٢) . كما قال لهم " لا تهتموا بشيء ، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله" (والنتيجة) وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع " (فيلبي ٤ : ٦ و ٧) . وإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الخطاة الذين يتعرضون لهموم الحياة ، أن يضعوا في نفوسهم أن هذه الهموم لا تنتهى ، وأنهم إذا سلموا أمورهم لله بالإيمان ، فإنه سيتولاها نيابة عنهم ، كما يجب أن يضعوا في نفوسهم أن الحياة الأبدية أفضل من الحياة الدنيوية بما لا يقاس . ولذلك يجب عليهم أن يطرحوا عنهم همومهم و يقبلوا المسيح مخلصا لهم ويتمتعون بكل سلام وهناء ، فى الأرض والسماء على السواء.

٧- التمسك بخطايا خاصة : وهناك بعض الناس يحاولون أن يجمعوا بين الدين والدنيا معًا ، وهذا هو التناقض بعينه . فقد قال الوحي بعبارة صريحة " إن أراد أحد أن يحب العالم ، فقد صارعدوًا لله لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، (١ يوحنا ٢ : ١٦). كما قال " لأنه أية خلطة للبر مع الإثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال " (١ كورنثوس ٦ : ١٤).

ولذلك عليهم ألا يعرجوا بين الفرقتين (١ ملوك ١٨ : ٢١) ، فإما أن يختاروا المسيح أو يختاروا الخطية ، أو بلغة بيلاطس : إما أن يطلبوا المسيح أو يطلبوا باراباس (متى ٢٧ : ١٧) ، ولا وسط بين الاثنين . وإذا كان المسيح لا يخلص شخصًا من الخطية رغمًا عنه ، ولا يقبل في حضرته شخصًا مصرًّا على التمسك بها ، ومن الناحية الأخرى اذا كان من العار أن يفضل الانسان حياة الدنس والشر

على حياة الطهارة والبر ، يجب على من تقف في سبيل خلاصه خطية ما ، أن يتحول عنها من كل قلبه وأن يسلم نفسه للمسيح قبل أن يقلب صفحة أخرى من هذا الكتاب . أما إذا كان لا يستطيع التحول عن الخطية ، ولكن يرغب من كل قلبه في التحول عنها ، فليأت إلى المسيح بإخلاص ، والمسيح كفيل بتحقيق رغبته هذه بمجرد أن يقبله فى نفسه قبولا حقيقيًا ، لأن الذي جعل الأعرج يطفر والمفلوج يحمل سريره ويمشى ، والميت ينهض من نعشه بوافر الصحة والقوة يستطيع أن ينصره هو أيضا على الخطية نصرًا مبينًا ، كما ذكرنا فيما سلف.

٨- التأجيل : أخيرًا نقول أن التأجيل الذي يلجأ اليه بعض الناس أمر لا يقره العقل على الإطلاق، لأنه إن جاز التأجيل في بعض الشئون البسيطة ، فإنه لا يجوز في الشؤون الخطيرة . فأى شخص يرى منزله يحترق ، ويؤجل إطفاء النار التي تشتعل فيه ، أو يرى نفسه مشرفًا على كارثة ما ، ويؤجل النظر في أمر نجاته !! فضلا عن ذلك فإن حياتنا على ارض غير مضمونة ، إذ أن آخر الإحصاءات تدل على انه يموت كل يوم ٢٠٠ ألف شخص تقريبا ، كما أننا نعلم بالاختبار أن تأجيل القيام بعمل قد يكون مدعاة لاهماله وتركه . ولنا في الكتاب المقدس مثل واضح عن هذه الحقيقة ، فإن فيلكس الوالي تأثر مرة تأثرًا عظيمًا عندما سمع من بولس الرسول عن التوبة والإيمان ، غير أنه لم يشأ أن يتوب ويؤمن فى الحال ، ومن ثم قال للرسول " أما الآن فاذهب ، ومتى حصلت على وقت أستدعيك " (أعمال ٢٤ : ٢٤ و ٢٥) . ولكن فرصة الخلاص ولت من يد فيلكس وولت الى الأبد ، لأنه لم يفكر في الخلاص بعدها أبدًا . ولذلك يقول الرسول " هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص " (٢ كورنثوس ٦ : ٢) ، كما يقول " اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم . كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر .... بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم ، لئلا يقسى أحد منكم بغرور الخطية "(عبرانيين ٣ : ٧ - ١٣)

كما أن قبول المسيح يجب أن يكون باهتمام ورغبة حارة ، فقد قال الحكيم " كل ما تجده يدك لتفعله ، فافعله بكل قوتك ، لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها " (جامعة ٩ : ١٠) ، كما قال النبي " ملعون من يعمل عمل الرب برخاء " ولذلك إذا رجعنا الى تاريخ المسيح على الأرض (ارميا ٤٨ : ١٠) . نجد الخطاة والعشارين عندما سمعوا عن الخلاص ، كانوا يختطفونه لأنفسهم اختطافا (متى ١١ : ١٢) ، لأنهم وجدوا أنفسهم أمام فرصة عظيمة لا مثيل لها . فالخلاص اذا ليس أهلا للقبول فقط ، بل

انه أيضا أهل لكل قبول ، ولذلك قال الرسول " صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول ، أن المسيح يسوع جاء إلى العالم، ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا " (١ تيموثاوس ١ : ١٥) .

---

(١) الدودي هو الأحمر الغامق المشوب بالزرقة

---

(١) مما تجدر ملاحظته في هذه الاية أنها لا تقول : لأن هذا هو واجب الإنسان كله، بل تقول" لأن هذا هو الإنسان كله " ، أي أن الذي لا يتقى الله لا يكون إنسانًا ، أو بالأحرى لا يكون إنسانًا عاقلًا .

---

(١) وطبعا هذا بالاضافة الى ذبيحة الاثم ، التي يكون في وسعه تقديمها كفارة عن خطيته (لاويين ٦ : ٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

١١

ثبات مقام المؤمنين الحقيقيين الى الأبد

لو كانت بركات الفداء ، التى ذكرناها فى الفصلين الثاني والثالث معرضة للزوال عنا لسبب من الأسباب ، لما استراحت نفوسنا أو اطمأنت على الاطلاق . لكن مما يملؤنا سلامًا وابتهاجًا أن هذه البركات لن تنزع منا بأي حال من الأحوال ، إذ فضلا عن أنها ليست متوقفة على أعمالنا بل على كفاية كفارة المسيح إلى الأبد ، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على ضرورة بقاء البركات المذكورة معنا الى الأبد أيضا ، فهناك أدلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة، نذكر منها ما يأتي :

١- صدور بركات الفداء ليس من رحمة الله فقط ، بل ومن عدالته أيضًا : لو كان المسيح حصل لنا على هذه البركات دون ثمن ، لكان هناك مجال للظن بأنه من الجائز أن يستردها الله منا إذا أخطأنا لكنه حصل لنا عليها بدمه الكريم الثمين ، ولذلك أصبحت ملكا له بحق الشراء. وبمنحه إياها لنا بالإيمان الحقيقي ، أصبحت حقا مكتسبًا لنا بفضل دمه هذا كما أصبح بقاؤها معنا ليس من باب الرحمة فقط ، بل

ومن باب العدل أيضا ، لأن كل مطالبه قد تحققت في صلب المسيح.

ولذلك قال الوحي " هكذا تملك النعمة (أو بالحرى نعمة الخلاص) بالبر (أي بالعدل) (١) للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا " (رومية ٥ : ٢١) كما قال " إن اعترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل (٢) حتى يغفر لنا خطايانا و يطهرنا من كل إثم " (١ يوحنا ١ : ٩) . وقد رأى داود النبي هذه الحقيقة بروح النبوة قديما فصاح مرة " الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما " (مزمور ٨٥ : ٥) .

ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك ، لأن الله لكماله المطلق لا تتعارض فيه صفة مع صفة أخرى ، بل إن كل صفاته تتوافق بعضها مع البعض الآخر كل التوافق ، ومن ثم فإنه إن صفح عن المؤمن الحقيقي لا يكون صفحة متعارضًا مع

عدالته، لأن مطالبها قد تحققت بالصليب كما ذكرنا ، وأن عاقب غير المؤمن أو المؤمن بالاسم لا يكون عقابه متعارضًا مع رحمته تعالى ، لأن هذا الشخص وذاك قد رفضا الرحمة واستهانا بها.

٢- معرفة الله السابقة لطبيعتنا العتيقة المعرضة للخطأ : لو كان الله يجهل هذه الطبيعة ، لكان من الجائز أن يحرمنا من بركات الفداء إذا أخطأنا بعد الإيمان. لكنه كان يعلم كل ما يتعلق بهذه الطبيعة منذ الأزل ، ومع علمه هذا منحنا البركات المذكورة · ولذلك فان الوحي لا يقول عن الله انه " أجزل لنا هذه البركات بكل محبة ورحمة " ، وإن كان هذا حقا لا شك فيه ، لكنه يقول انه " أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة " (افسس ١ : ٨) . أى أن الله عندما منحنا الغفران وما يتبعه من بركات ، لم يكن واضعًا أمامه المحبة والرحمة فقط ، بل وأيضا الحكمة والفطنة . والحكمة والفطنة (كما نعلم) تعملان حسابا لكل الظروف والاحتمالات المستقبلة بكافة أنواعها ، ومن ثم لا يمكن أن يلغى الله وعوده بالبركة لنا إذا أخطأنا بعد التوبة والايمان . ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك ، لأنه لو كان الله فى مقاصده أن يحرمنا من بركات الفداء لسبب من الأسباب ، لما كان قد رضي أن يكون ابنه فدية عنا من أول الأمر.

وللايضاح نقول : إن الإنسان لقصر نظره قد يندفع لمساعدة بعض الأشخاص متأثرًا بما في قلبه من عطف عليهم ، غير واضع أمامه ما عسى أن يعاملوه به في المستقبل. ولذلك إذا ظهر له بعد مساعدته لهم أنهم أنكروا جميله وأساءوا إليه ، ندم على ما أسداه إليهم من جميل ، وتمنى لو كان فى وسعه أن يسترده منهم ، أما الله فعلى العكس من ذلك ، لأنه عندما وهبنا بركات الفداء ، كان يرى ببعد نظره كل الخطايا التي سوف تصدر منا بعد التوبة والإيمان ، ومع ذلك وهبنا هذه البركات بكل سخاء وكرم . لذلك لا يمكن أن يحرمنا منها إذا أخطأنا بعد التوبة والإيمان المذكورين . ولذلك قال الوحي " لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة " (رومية ١١ : ٩) ، كما قال " ليس الله انسانا فيكذب ، ولا ابن آدم فيندم " (العدد ٢٣ : ١٩) .

٣- شفاعة المسيح لأجل المؤمنين وتخصيص ذاته لأجلهم طوال وجودهم على الأرض : لو كان المسيح قد ترك المؤمنين وشأنهم بعدما قدم نفسه كفارة عنهم ، لكان هناك مجال للظن بجواز تعرضهم أو تعرض بعضهم للهلاك الأبدي ، ولكنه

منذ صعوده إلى السماء وهو يشفع فيهم هناك : فقد قال بولس الرسول عنه " الذي هو أيضا عن يمين الله ، الذي أيضا يشفع فينا " (رومية ١٨ : ٣٤) . وقال " إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم " (عبرانيين ٧ : ٢٥) . وقال انه " يظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا " (عبرانيين ٩ : ٢٤) . وقال يوحنا الرسول " وإن أخطأ أحد فلنا شفيع (١) عند الآب ، يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل (ولخطايا) كل العالم أيضا " (١ يوحنا ٢:٢) - ومما تجدر ملاحظته أن القول " لنا شفيع " ، لا يدل على أننا إذا أخطأنا ينهض المسيح للشفاعة لأجلنا ، بل يدل على أنه يقوم بهذه الشفاعة (٢) باستمرار لأجلنا ، لكى يضمن لنا البقاء في مركز القبول الكامل أمام الله في كل الأوقات والظروف ، ويترتب على ذلك أننا اذا أخطأنا ينبه المسيح أيضا ضمائرنا حتى نكره الخطية التى أيتناها ونعترف بها بتذلل أمام الله فيغفرها (١) ، ويعيد لنا حياة الشركة الروحية التي كنا نتمتع بها معه من قبل.

وشفاعة المسيح لأجل المؤمنين لم تبدأ بعد صعوده الى السماء ، بل كان يمارسها وهو بعد على الأرض ، فقد قال عن المؤمنين " ولأجلهم أقدس (أو اخصص) أنا ذاتي ، ليكونوا هم أيضا مقدسين فى الحق " (يوحنا ١٧ : ١٦) ولذلك تشفع مرة لأجل بطرس الرسول ، فطلب لكي لا يفنى ايمانه (لوقا ٢٢ : ٣١) كما تشفع لأجل تلاميذه ولأجل المؤمنين جميعا. فقال للآب " لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير .... ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط (أي تلاميذه) بل وأيضا لأجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ... أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا ، لينظروا مجدي " (يوحنا ١٧ : ١٥ - ٢٤) ولا شك أن شفاعة المسيح هذه قد استجيبت بالنسبة للتلاميذ ، وتستجاب بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين في كل البلاد والعصور.

٤- وساطة المسيح وضمانته للمؤمنين : فقد قال الرسول عن المسيح أنه " وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون ، إذ صار موت لفداء التعديات ، ينالون وعد الميراث الأبدي " (عبرانيين ٩ : ١٥) ، وأنه وسيط لعهد أعظم ، قد تثبت على مواعيد أفضل " (عبرانيين ٨ : ٦) . وقال للمؤمنين عنه " قد أتيتم.... إلى وسيط العهد الجديد يسوع ، والى دم رش يتكلم أفضل من هابيل (٢) " (عبرانيين ١٢ : ٢٤) ، ولذلك فمهما كانت مواعيد الله لنا بالبركات الأبدية تفوق العقل والإدراك ، لنا في المسيح " النعم و الآمين (١) (٢ كورنثوس ١ : ٢) . لأنه لا يجيب عن تحقيق هذه المواعيد لنا إلا بالقول " نعم" ، والقول " آمين" تكون مضمونة لنا الى

أبد الآباد.

والمسيح بوصفه الوسيط والضامن ، قد حقق أمنية القديسين الذين عاشوا فى كل العصور القديمة ، تلك الأمنية التى جاشت مرة في صدر حزقيا الملك التقى ، فصلى الى الله قائلا " ضعفت عيناي ناظرا الى العلاء، يارب قد تضايقت . كن لى ضامنا (٢) " (إشعياء ٣٨ : ١٤) . كما أن هذا الضامن أو الوسيط ، هو ما كان أيوب يتوق إليه لكي ينجو من قصاص خطاياه . فقد قال الله مرة " إن وجد عنده (أي عند الله) مرسل وسيط واحد من ألف ، ليعلن للإنسان استقامته (أي استقامة الله) ، يترأف

(الله) عليه ويقول : اطلقه عن الهبوط الى الحفرة ، قد وجدت فدية . يصير لحمه (أي لحم الإنسان) أغض من لحم الصبي ، ويعود الى أيام شبابه (رمز الحياة الجديدة التي يحصل عليها) ، فيصلي الى الله فيرضى عنه ويعاين وجهه بهتاف

(أي بترنم الفرح والابتهاج) . فيرد (الله) على الإنسان بره (ولذلك) يغنى (الانسان) بين الناس فيقول : قد أخطأت وعوجت المستقيم ولم أجاز عليه (أي على الخطأ) . فدى (الله) نفسي من العبور إلى الحفرة ، فترى حياتي النور " (أيوب ٣٣ : ٢٣ - ٢٨) .

والمسيح هو الكائن الوحيد الذي يضمننا (أو بالحرى يضمن وجودنا بلا لوم أمام الله الى الأبد) ، لأنه هو الذي وفي جميع حقوق عدالة الله وقداسته من جهتنا إلى التمام . ونظرا لأن العهد الجديد قائم على ضمانة المسيح للمؤمنين ، لذلك قال الله عن هذا العهد " هذا هو العهد الذي أعهده معهم اجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم .وأنا أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبا . ولا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلا : " اعرف الرب . لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم . لانى أكون صفوحا عن آثامهم ، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد " (عبرانيين ٨ : ١٠ - ١٢) .

٥ - وجود الروح القدس مع المؤمنين وفيهم الى الأبد : ووجود الروح القدس مع المؤمنين وفيهم ، له غرضان هامان هما :

(١) الشفاعة في المؤمنين وتعضيدهم وتعليمهم طوال وجودهم على الأرض : فمن جهة الشفاعة ، قال الرسول عن الروح القدس أنه " يشفع فينا بأنات لا ينطق بها . ولكن (الله) الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين " (رومية : ٢٨) . وقال أيضا " لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها " (رومية ٨ : ٢٦) . ومن جهة التعضيد قال الرسول عنه ، أن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢ تيموتاوس ١ : ٧) . ومن جهة التعليم والإرشاد قال المسيح عنه للتلاميذ " فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم ، (يوحنا ١٤ : ١٦) . فضلا عن ذلك فإن وجود الروح القدس في نفوسنا من شأنه أن يولد فينا قداسة السماء وطهارتها ، كما يؤهلنا للشركة الله والتوافق معه في صفاته العلوية السامية. (ب) العربون الذي يؤكد للمؤمنين حصولهم على الحياة الأبدية : فقد قال الرسول عن الله " الذي ختمنا ايضًا (للدلالة على أننا أصبحنا ملكا له) وأعطى عربون الروح في قلوبنا " (٢ كورنثوس ١ : ٢٢) ، كما قال " ولكن الذي صنعنا لهذا (المجد) عينه هو الله ، الذي أعطانا أيضا عربون الروح " (٢ كورنثوس ٥ : ٥) ، وقال "إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى (١) لمدح مجده " (أفسس ١ : ١٤) - والروح القدس يوصف في هذه الآيات بأنه عربون، ليس من ناحية قيمته وقدره بالنسبة الى الميراث السماوي ، بل من ناحية عمله كضامن للحصول على هذا الميراث ، وذلك لسببين (الأول) ان العربون يكون عادة أقل من قيمة الشيء المطلوب الحصول عليه ، بينما الروح القدس أثمن من المجد السماوى بما لا حد له (الثاني) أن العربون لا يدفعه المالك للمشترى ، بل يدفعه المشترى للمالك . ولكن يتضح لنا من هذه الآيات ، أن الله المالك هو الذي أعطانا عربون الميراث الذي نريد الحصول عليه.

وفى ضوء ما تقدم نقول : إذا كان العربون المقدم للحصول على شيأً ما ، أعظم فى قيمته من هذا الشيء ، وكان هذا العربون (فضلا عن ذلك) مقدما ليس من طالب الحصول على الشيء المذكور بل من المالك نفسه ، فلا شك أن الحصول على هذا الشيء يكون مضمونا للغاية . وإن كان ذلك كذلك ، فإن الميراث السماوي هو بكل يقين ملك لنا من وقت حلول الروح القدس فينا ، أو بالحرى من

وقت ايماننا بالمسيح ايمانا حقيقيا - وهذه الحقيقة عينها هى التى تقابلنا عند التأمل في الآية القائلة " فماذا نقول لهذا ؟ الذى لم يشفق على ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء ؟ " (رومية ٨ : ٣٢) ، لأنه إن كان الله قد بذل المسيح نفسه لأجلنا ، لا يمكن أن يمنع عنا بعد ذلك أى بركة من البركات ، لأن كل البركات مجتمعة لا تكون شيئا مذكورا بجانب المسيح .

٦- تثبيت المؤمنين واحضارهم كاملين وبلا لوم الى المجد ، لا يتوقف على أعمالهم بل على أمانة الله والمسيح : فبولس الرسول (مثلا) كان يبنى يقينه بالخلاص الأبدي ليس على أعماله بل على أمانة المسيح ، فقد كان شعاره " لأنني عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم " (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) وقال الوحي عن المسيح أنه " رئيس كهنة أمين على بيته وبيت المسيح هو المؤمنون الحقيقيون (عبرانيين ٣ : ١٧). وقال عن الله " إنه إله أمانة ، لا جور فيه البتة " (تثنية ٣٢ : ٤) ، وان أمانته كثيرة ، (مراثى ٣ : ٢٣) ، وانها إلى الغمام " (مزمور ٣٦ : ٥) ، وانها " الى دور فدور " (مزمور ١٠٠ : ٥) . لذلك قال بولس الرسول للمؤمنين " ربنا يسوع المسيح الذى سيثبتكم أيضا الى النهاية بلا لوم أمين هو الله الذي به دعيتم الى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا " (١ كورنثوس ١ : ١٩) كما قال " اله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح . أمين هو الله الذي يدعوكم ، الذي سيفعل أيضا " (٢ تسالونيكى ٥: ٢٣ و ٢٤) . و " أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير " (٢ تسالونيكي ٣ : ١٣) . و " ربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاء أبديًا ورجاء صالحًا بالنعمة ، يعزى قلوبكم ويثبتكم في كل كلام وعمل صالح" ، (٢ تسالونيكي ٢ : ١٦ ، ١٧) . و " لنتمسك بإقرار الرجاء راسخًا ، لأن الذي وعد هو أمين" (عبرانيين ١٠ : ٢٣) و" ان الله سيحضر كم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه " (كولوسي ١ : ٢١) . و " اله السلام الذى أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي ، يكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح " (عبرانيين ١٣ : ٢١) . وأن الله الذي " بدأ فيكم عملا صالحا يكمل الى يوم يسوع المسيح " (فيلبي ١ : ٦)

وأن الله " يكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان (فيكم) بقوة " (٢ تسالونيكي ١ : ١١) . وأن المسيح أحب أيضًا الكنيسة " وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة ٠لا دنس فيها ولا غضن (١) ، أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب " (افسس ٥ : ٢٥ -٢٧)

وقال بطرس الرسول للمؤمنين " وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيرًا ، هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم " (١ بطرس ٥ : ١٠). وقال يهوذا الرسول لهم عن الله " والقادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج" (يهوذا ٢٤) .

٧- ارتباط حياتنا بالمسيح وعدم تعرضها للضياع منا تبعا لذلك : لو كانت الحياة الأبدية التى منحها الله لنا موجودة في حياتنا ، أو معهود بحفظها وصيانتها الينا ، لكان من الجائز أن تضيع منا . لكن هذه الحياة ، هي حياة المسيح ، ولذلك فهى فيه ومعه في الله . فقد قال الرسول إن المسيح هو الاله الحق والحياة الأبدية (١يوحنا ٥ : ٢٠) وانه " حياتنا "، (كولوسي ٣ : ٤) " وان الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحياة في ابنه "، (١ يوحنا ٥ : ١١) " وان حياتنا مستترة مع المسيح في الله " (كولوسى ٣ : ٢) - فحياتنا الأبدية إذا هي حياة المسيح نفسه ، حال كونه متحدًا بنا ونحن متحدون به اتحاد الرأس بالجسد واتحاد الجسد بالرأس ، ومن ثم فانها لا تفقد أو تسلب منها على الاطلاق . ولذلك كما دخل المسيح الى المجد ، لا بد أن ندخل نحن أيضا (افسس ٢ : ٦) ، وكما أنه مقبول أمام الله ، لا بد أن نكون نحن أيضا مقبولين أمامه (افسس ١ : ٣ - ٧) ، وكما أنه سيملك الى الأبد ، لا بد أن نملك نحن أيضا معه (٢ تيموثاوس ٢ : ١٢) ، لأننا بالإيمان أصبحنا متحدين بشخصه الكريم كل الاتحاد.

واذا كان الأمر كذلك ، فلا الشيطان أو العالم أو ضعفنا الطبيعي أو أي شيء آخر في الوجود ، يمكن أن يحرمنا من الحياة الأبدية مع الله على الإطلاق . وهذا ما دعا الرسول مرة أن يتهلل قائلا " من سيشتكي على مختاري الله ؟ الله هو الذي يبرر (وما دام الله نفسه هو الذي يبرر المختارين ، فطبعا ليس هناك من يشتكي عليهم) . من هو الذي يدين ؟ المسيح هو الذي سارت بل بالحري قام أيضا، الذي هو أيضا عن يمين الله الذي أيضا يشفع فينا (وما دام الديان هو نفسه الشفيع فطبعا ليس هناك من يدين هؤلاء المختارين (١) ٠" فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء، ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو

ولا عمق ، ولا خليقة أخرى(شيطانية كانت أم بشرية) تقدر أن تفصلنا عن محبة الله (لنا) التى فى المسيح يسوع ربنا " (رومية ٨ : ٣١- ٣٩).

٨ - إقامة المؤمنين في السماء وتمجيدهم فيها من وقت إيمانهم بالمسيح : لو كان موضوع إقامة المؤمنين في السماء وتمجيدهم فيها سيبحث أمام الله فى المستقبل بناء على أعمالهم ، لجاز أن يتسرب اليهم الشك في إمكانية تمتعهم بالله في الأبدية ، لكن هذا الموضوع فصل فيه نهائيا بنعمة الله لمصلحتهم من وقت إيمانهم، بناء على مقاصده الأزلية الصالحة من نحوهم . فقد قال الرسول عن الله لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم (وليس سوف يعينهم) ليكونوا مشابهين صورة ابنه . والذين سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضًا (وليس سوف يدعوهم) . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضًا (وليس سوف يبررهم) . والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا (وليس سوف يمجدهم (١) " (رومية ٨ : ٢٩ - ٣١) .

وقال أيضا" مبارك الله أبو ربنا يسوع الذي باركنا (وليس سوف يباركنا) بكل بركة (٢) روحية في السماويات في المسيح ، كما اختارنا فيه (وليس سوف يختارنا فيه) قبل تأسيس العالم ، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة " (أفسس ١ : ٣ و ٤)، وأيضا " الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها (وليس سوف يحبنا بها) ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح (وليس سوف يحيينا معه، واقامنا معه (وليس سوف يقيمنا معه) ، واجلسنا معه (وليس سوف يجلسنا معه) في السماويات في المسيح يسوع ، ليظهر في الدهور الآتية (ليس أعمالنا وجهادنا ، وإن كانت هذه لها قيمتها ومكافاتها في الوقت المناسب ، بل ليظهر) غنى نعمته الفائق باللطف علينا (٣) في المسيح يسوع (لأن النعمة الغنية هي الأساس الوحيد (لخلاصنا) ، " أفسس ٢ : ٤ - ٧ " . وأيضا " شاكرين الآب الذي أهلنا (وليس سوف يؤهلنا) لشركة ميراث القديسين في النور ، الذي أنقذنا (وليس سوف ينقذنا) من سلطان الظلمة ونقلنا (وليس سوف ينقلنا) الى ملكوت ابن محبته " (كولوسى ١ : ١٢ ، ١٣) – واستعمال الأفعال الواردة في هذه الايات فى صيغة الماضي، دليل قاطع على أنه أصبحت لنا الحياة الأبدية بكل أمجادها وبركاتها من وقت إيماننا الحقيقي بالمسيح . ولا غرابة في ذلك على الإطلاق ، لأن المسيح ليس سونى يفدينا ، بل فدانا بالتمام عندما قبل الصليب نيابة عنا .

٩ - سهر الله على المؤمنين ومحافظته عليهم : فقد قال الوحي عن الكنيسة (١) انه " يحرسها ليلا ونهارًا " (إشعياء ٢٧ : ٣ ، ٤) ، وان " أبواب الجحيم لن

تقوى عليها " (متى ١٦ : ١٨) . وأن المؤمنين محفوظين ليسوع المسيح " (يهوذا ١) . وقال المسيح عن جماعة المؤمنين " وأنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك الى الأبد . ولا يخطفها أحد من يدى " (يوحنا ١٠ : ٢٧، ٢٨) .

أما الاعتراض [بأن المؤمن الحقيقى وان كان لا يخطفه أحد من يد المسيح ، لكن يمكنه (إذا أراد) أن يترك المسيح ، ومن ثم يمكن أن يهلك]،

فلا يجوز الأخذ به، فضلا عن أن هذا المؤمن لا يمكن أن يترك المسيح لأن المسيح هو الكل فى الكل له ، فهناك سببان يقضيان على هذا الاعتراض قضاءً تامًا

(الاول) إن المؤمن الحقيقى ليس ملكا لذاته حتى يمكنه الانفصال عن المسيح إذا أراد الانفصال عنه ، بل هو ملك للمسيح وعضو في جسده الروحي (١) . فقد قال الوحي عن المؤمنين أنهم " أعضاء جسمه من لحمه وعظامه " (افسس ٥: ٣) ، ومن ثم لا يمكن أن يسمح له المسيح بالانفصال عنه على الإطلاق، لأن بهذا الانفصال (ان جاز التعبير) يفقد المسيح عضوًا من أعضائه، وهذا لا يجوز بأى معنى من المعاني.

(الثاني) أن المسيح قال لنا « وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني ، أن كل ما أعطاني الآب ، لا أتلف منه شيئا ، بل اقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦ :٣٩) . فنحن المؤمنين عطية الآب للمسيح ، ولذلك فإنه يمسك بنا كأشخاص أصبحنا فى عهدته . وقال أيضا عن رعيته " أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد (٢) أن يخطف من يد أبي" (يوحنا ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) ، أي أننا لسنا متمسكين بيد المسيح فقط بل وبيد الآب أيضا ، ومن ثم لا يمكن لأحد المؤمنين الحقيقيين أن يفلت من يد الله، حتى إن سولت له نفسه أن يفعل ذلك .

فضلا عما تقدم ، فإن الرسول لكى لا يدع أى مجال للشك أمامنا من جهة خلاصنا الأبدي ، قال " ان الله ولدنا ثانية لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلنا ، نحن الذين بقوة الله محروسون بإيمان الخلاص (٣) مستعد أن يعلن في الزمان الأخير (١ بطرس : ٣ - ٥) - فالميراث السماوي محفوظ لنا ، ونحن محفوظون له بقوة الله التي لا يمكن أن تقهرها قوة ما ، سواء أكانت شيطانية أم بشرية - ولكى تتضح لنا أهمية الحقيقة الواردة في هذه الآيات

نقول : إذا أراد إنسان أن يحفظ ميراثًا لابنه ، فإنه يضعه تحت وصاية أمينة ، تكفل له التمتع بالميراث طوال حياته على الأرض. ولكن مهما أوتى هذا الإنسان من الفطنة والذكاء فى اختيار الأوصياء ، لا يستطيع أن يحفظ ابنه الميراث ، فقد يموت هذا الابن صغيرا ، أو يصاب بمرض عقلى أو جسمى يمنعه من التمتع بالميراث . أما الله والحمد له كل الحمد، فإنه يحفظ الميراث السماوي لنا ويحفظنا أيضا لهذا الميراث ، ولذلك لا يمكن أن نفشل فى التمتع به ، أو ينزع هو منا بأى حال من الأحوال .

١٠ - مبدأ عدم الطلاق : بالرجوع إلى الكتاب المقدس نرى أنه ينهى عن الطلاق ، فقد قال إن الله " يكره الطلاق " (ملاخي ٢ : ١٦) . ويرجع السبب في ذلك الى وحدة الزوج والزوجة أمام الله . فقد قال الوحي عن كيفية تكون حواء " فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة ، و أحضرها إلى آدم (١) . فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا"، (تكوين ٢ : ٢١) .

والوحدة المعنوية التي جعلها الله بين الزوج والزوجة هي رمز لعلاقة المسيح مع المؤمنين . فقد قال الرسول " كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه . فانه لم يبغض أحد جسده قط ، بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة ، لأننا جميعًا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإنسان جسدا واحدا . هذا السر عظيم ، ولكني أقول من نحو المسيح والكنيسة " (أفسس ٥: ٢٨ - ٣٢) . ولذلك شبه بولس الرسول المؤمنين بالعذراء من جهة العلاقة الروحية بالمسيح فقال لهم : " فإني أغار عليكم غيرة الله ، لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢ كورنثوس ١١:٢) ، وشبههم يوحنا الرسول بالعروس فقال انه رآهم " كعروس مزينة لرجلها " (رؤيا ٢١ : ٢) .

واننا نشكر الله من كل قلوبنا لأجل مبدأ عدم الطلاق ، ليس فقط لأنه يصرف نفوسنا عن الأهواء الجسدية ، بل وأيضا لأنه يعلمنا أن المسيح قد اقترن بنا نحن المؤمنين الحقيقيين ، وأننا أصبحنا معه وحدة واحدة غير قابلة للتفكك أو الانفصال على الإطلاق ، لأن " ما جمعه الله لا يفرقه انسان " (متى ١٩ : ٦) أو شيطان .

١١ - محبة الله اللانهائية للمؤمنين : تحدثنا كثيرا فيما سلف عن محبة الله للمؤمنين وعرفنا أنها تفوق العقل والإدراك ، ونسجل هنا أنها أيضا محبة لا نهائية بالمعنى الذي نفهمه من اللانهائية . فقد قال المسيح مرة للآب عن المؤمنين "أحببتهم (أنت) كما أحببتني " (يوحنا ١٧ : ٢٢) ، وقال مرة لتلاميذه " كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا ، (يوحنا ١٥ : ٩) فالآب أحبنا بذات المحبة التي أحب بها المسيح والمسيح أحبنا بذات المحبة التى أحبه بها الآب . ومحبة الآب للمسيح لا نهاية لها ، ومن ثم تكون محبة الآب لنا ومحبة المسيح لنا لا نهاية لها أيضا . ولذلك قال الرسول عن المسيح إن الذين أحبهم ، أحبهم إلى المنتهى (يوحنا ١٣ : ١) ، والمنتهى الذي لا نهاية له.

وإذا كان ذلك كذلك ، فطبعا لا يمكن أن يهلك أحد المؤمنين الحقيقيين ولا يمكن أيضا أن يقل المجد الذي سيتمتعون به ، عن مجد المسيح نفسه . وقد أشار المسيح الى هذه الحقيقة فقال مرة للآب عنهم " وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧ : ٢٢). كما أشار إليها الرسول (١) فقال" وإله كل نعمة الذي دعانا الى مجده (وليس إلى المجد) الأبدي في المسيح يسوع (١بطرس ٥ : ١٠) . وفى ضوء هذه المعاملة الطيبة المملوءة بالمحبة والجود نقول بكل يقين : أنه إذا أمكن أن تقل محبة الآب المسيح يوما من الأيام، يمكن أيضا أن تقل محبته للمؤمنين الحقيقيين ، ويمكن أن يتعرضوا للهلاك تبعا لذلك . أما ومحبة الآب المسيح لا تتغير على الاطلاق بل تظل كما هي بكل كمالها الى الأبد لذلك لا يمكن أن يهلك واحد من هؤلاء المؤمنين على الاطلاق.

١٢ - توسط الله بقسم لتأكيده وعده لنا بالخلاص الأبدي : أخيرا نقول : فضلا عن أن الذي وعدنا بالخلاص الأبدي هو الله الذي لا يكذب ولا يندم على الاطلاق ، فانه لكي يطمئن نفوسنا ولا يدع أى مجال للشك امامها من جهة وعده المذكور ، أقسم بذاته (وهو الذي ليس في حاجة الى أن يقسم البتة) أن يتممه بنفسه لنا . فقد قال الرسول "فإن الناس يقسمون بالأعظم (مقاما)، ونهاية كل مشاجرة (أو مجادلة) عندهم لأجل التثبيت هي القسم . ولذلك أن أراد الله (بمحض مشيئته) أن يظهر أكثر كثيرا لورثة الموعد عدم تغير قضائه ، توسط بقسم ، حتى بأمرين عديمي التغير (هما الوعد والقسم) ، لا يمكن أن الله يكذب فيهما ، تكون لنا تعزية قوية أو بالحرى راحة كاملة واطمئنان ثابت) نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا . الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة (إذ أن هذه المرساة) تدخل الى ما داخل الحجاب (أو بالحرى الى قدس أقداس الله نفسه ، مكان الأمان

الذي ليس بعده امان) ، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا " (عبرانيين ٦ : ١٣ - ٢٠) ولذلك فحيث يوجد المسيح فى السماء ، لا بد أن نوجد أيضا معه الى الأبد.

---

(١) كلمة " البر" تعنى فى الأصل " الاستقامة " ، كما تعني "العدل أيضا " .

(٢) أن الغفران كما نعلم ، هو من باب الرحمة أو التساهل في مطالب العدل ، ولكن الوحى يعلن فى الآية المذكورة أعلاه أن الغفران هو من باب العدل والأمانة ، فترى ما السبب في ذلك ؟ (الجواب) طبعا لأن كفارة المسيح لا بد أنها حققت كل مطالب عدالة الله وقداسته من جهة المؤمنين الحقيقيين الى الأبد ، حتى أصبح من العدالة والأمانة للحق أن تغفر لهم خطاياهم التي يعترفون بها أمام الله.

---

(١) ان شفاعة المسيح لا تعنى أنه يتوسل الى الله لأجلنا حينما نسقط في خطية ما حتى يعفو عنا ويرضى ، بل تعنى أنه قائم أمام الله في كل حين لأجلنا ، لكي نكون نحن المؤمنين في مركز القبول التام أمامه (عبرانيين ٩ : ١١ - ٢٨) ، وأيضا لكي يرد نفوسنا ويهدينا إذا انحرفنا عنه (مزمور ٢٣ : ٣) ، وذلك بواسطة التأثير عليها بكلمته .

(٢) إن المسيح لا يقوم بالشفاعة بوصفه ابن الله ، بل بوصفه ابن الإنسان الوسيط بين الله والناس (١ تيموثاوس ٢ : ٥) . وهذا مما يملؤنا ثقة واطمئنانًا من جهة القبول الدائم أمام الله ، لأن المسيح بوصفه ابن الإنسان ، يرثى لنا ويحس

بضعفاتنا، ومن ثم فانه يعين المتألمين والمجربين منا (عبرانيين ٤ : ١٥)

---

(١) إن الغرض من هذا الغفران ليس ، طبعا ، هو نجاة المؤمن من الدينونة الأبدية، بل اعادته الى حياة الشركة مع الله التي كانت له من قبل كما ذكرنا أعلاه ، لأن النجاة من الدينونة المذكورة قد تحققت له الى الأبد منذ ايمانه بالمسيح ايمانا حقيقيا ، كما اتضح لنا في الفصول الثلاثة الأولى.

(٢) دم هابيل يطلب من الله الانتقام من قايين ، أما دم المسيح فكان يطلب من الله الصفح عن الذين صلبوه . فقد قال وهو على على الصليب " يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (لوقا (٢٣ : ٣٤)

---

(١) كلمة الآمين هنا ليست بالهمزة "أمين" بل بالمدة " آمين " ، ومعناها " استجب يا الله ".

(٢) لا شك أن حزقيا ، قبل أن ينطق بهذه الصلاة ، كان قد جال ببصره فى كل مكان ، فلم يجد كائنًا يستطيع أن يضمن قبوله أمام الله ولذلك ألقى بنفسه عند قدمى الله دون سواه ، لكى يكون ضامنا له ، ولقد أصاب في ما فعل .

---

(١) يراد بالمقتنى " المؤمنون أنفسهم " ، لأن الله اقتناهم لنفسه . ولذلك قيل عنهم أنهم " شعب اقتناء" ، (١ بطرس ٢ : ٩) . والفداء الذي ينتظرونه ليس هو فداء أرواحهم (لأن هذا تم نهائيًا بالصليب) ، بل فداء أجسادهم ، أو بالحرى تغييرها الى صورة جسد المسيح ، كما ذكرنا في الفصل الثاني.

---

(١) " الغضن" ، هو التجاعيد التي تظهر على الوجه وتدل على الرهن والإعياء والشيخوخة ، والمراد بالآية المذكورة أعلاه أن المسيح سيحضر المؤمنين الى مجده، وهم ممتعون بكل جمال وكمال أدبي.

---

(١) المختارون ليسوا أشخاصًا اختارهم الله رغما عنهم ، بل أشخاص اتوا اليه بمحض رغبتهم معتمدين على رحمته ونعمته في المسيح ، كما ذكرنا فيما سلف.

---

(١) التمجيد هنا هو طبعا التمجيد شرعًا على أساس تمجيد المسيح (الذي نحن متحدون به) بواسطة قيامته من بين الأموات (رومية ٦: ٥) ، غير أن هذا التمجيد سيكون فعلا ، عندما ننتقل الى السماء.

(٢) مما تجدر الإشارة اليه أن الوحي لا يقول إن الله باركنا ببركات كثيرة ، أو باركنا بمعظم البركات، بل يقول انه باركنا بكل بركة - فما نحتاج إليه الآن إذا ، ليس أن يعطينا الله بركة جديدة ، بل أن نكتشف نحن البركات التي وهبها لنا ، وأن نقوم باستثمارها والإفادة منها.

(٣) فالله لم يمنحنا نعمة فقط ، بل منحنا نعمة غنية فائقة كلها لطف وعطف ومحبة . وهذا ما يملأ قلوبنا سلامًا وابتهاجًا ، وأفواهنا حمدًا وترنمًا ، ويقودنا إلى التعبد والسجود لالهنا الطيب الكريم.

---

(١) " الكنيسة " ، لغة ، هي جماعة من البشر تربطهم رابطة ما (أعمال ٧ : ٣٨) ، وحسب الاصطلاح المسيحى يراد بها المؤمنون الحقيقيون بالمسيح في جميع البلاد ، مهما اختلفت أجناسهم أو طوائفهم فقد قال الوحي عن الكنيسة " أن المسيح أحبها وأسلم نفسه لأجلها " (أفسس ٥ : ١٧) . والمسيح كما اتضح لنا مما سلف ، لم يبذل نفسه لأجل جماعة خاصة من المؤمنين ، بل لأجل جميع المؤمنين في كل العالم. ويمثل الكنيسة العامة هذه ، المؤمنون الحقيقيون الذين يجتمعون باسم المسيح في بلدة ما (متى ١٨ : ٢٠). ومن ثم فلا يراد بالكنيسة البناء الذي يجتمع فيه المسيحيون للعبادة والصلاة ، أو رجال الدين الذين يقومون بالخدمات الدينية بينهم ، كما يظن بعض الناس.

---

(١) جسد المسيح المادي ، هو الذي كان يعيش فيه على الأرض والذي تغير الى جسد ممجد عندما صعد الى السماء وجسده الروحي هو المؤمنون ، لأنهم يقترنون به اقترانًا روحيًا ، ويعلنون في سلوكهم نعمته وافضاله . وجسده التذكارى هو العشاء الرباني ، لأنه يذكرنا بأن المسيح مات عوضا عنا على الصليب (لوقا ٢٢ : ١٩) .

(٢) مما تجدر ملاحظته أن كلمة (أحد) في القول " لا يقدر أحد " يمكن أن يراد بها الإنسان أو الذات أو الشيطان أو .. أو .. ولذلك فإن سلامة المؤمن مضمونة

الى الأبد كل الضمان . نعم أن الخطية التي تسقط فيها أحيانا تعطل علاقتنا مع الله، ولكن لا يمكن أن تفصم اتحادنا بالمسيح فما نفقده بالسقوط فى الخطية اذا ، ليس هو الخلاص بل بهجة الخلاص . ولذلك عندما سقط داود فى خطيته لم يقل لله (رد لي خلاصك) ، بل قال له " رد لي بهجة خلاصك " (مزمور ٥١ : ١٠)

(٣) "الخلاص" هنا، يقصد به الخلاص من العالم الحاضر الشرير. بتغيير اجسادنا الى صورة جسد المسيح ونقلنا الى مجده الأبدي ، كما ذكرنا في الفصل الثاني.

---

(١) هناك أوجه شبه بين الكيفية التي تكونت بها حواء ، والكيفية التي تكون بها المؤمنون الحقيقيون الذين هم بمثابة عروس المسيح . فحواء تكونت من أحد أضلاع آدم عندما أوقع الله عليه سباتا ، والمؤمنون تكونوا من قلب المسيح أو بالحرى من محبته العميقة عندما مات كفارة عنهم ، اذ انه لو لم يمت ، لما كان لهم وجود معه . وآدم أحب حواء وقال انها عظم من عظامه ولحم من لحمه ، والمسيح أحب المؤمنين ، وشهد الرسول بالوحي أنهم من الناحية الروحية أعضاء جسد المسيح من لحمه وعظامه.

---

(١) مما تجدر ملاحظته فى هذه المناسبة أن للمسيح بوصفه (ابن الله) مجدا ذاتيًا يلازمه منذ الأزل الذي لا بدء له الى الأبد الذي لا نهاية له . وهذا المجد خاص به وحده ، وليس لنا أن نشترك معه فيه على الإطلاق. ولكن بوصفه ابن الإنسان الكامل الذي أرضى الله وحقق كل مطالبه ، اكتسب مجدا آخر . وقد أشار الرسول الى هذا المجد فقال عن الله ، أنه رفع المسيح وأعطاه اسما فوق كل اسم (فيلبي ٢: ٩) وبوصفنا متحدين مع المسيح اتحاد الجسد بالرأس ، قد أصبح لنا امتياز الاشتراك معه ، في مجده المكتسب هذا .

١٢

أهمية التقوى والأعمال الصالحة في حياة المؤمنين

إن الخلاص بالايمان الذى تحدثنا عنه فيما سلف ، وان كان يبعث السلام الكامل إلى المؤمنين الحقيقيين ، غير أنه يثير أحيانا بعض الأسئلة منهم وبعض الاعتراضات من غيرهم، واتمامًا للبحث نستعرض فيما يلي هذه الأسئلة والاعتراضات، ونرد عليها بقدر ما يتسع المجال .

١ - اذا كان المؤمنون الحقيقيون قد حصلوا على الحياة الأبدية بمجرد إيمانهم ، ولا يمكن أن تنزع منهم على الإطلاق ، لذلك لهم الله يخطئوا ويهملوا في الأعمال الصالحة كما يريدون ، وهذا ما لا يتفق مع حق الله على الإطلاق !!

الرد " إن المؤمنين الحقيقيين كما ذكرنا فيما سلف ، ولدوا مرة ثانية من الله وحصلوا منه على طبيعة روحية تكره الفعلية وتمقتها . ولذلك فان فكرة جواز سلوكهم فى حياة الشر هى فكرة بعيدة الاحتمال. فقد قال الرسول لنا " نحن الذين

متنا عن الخطية ، كيف نعيش بعد فيها !! " (رومية ٦ : ٢) ، لأن النعمة التي خلصتنا تعلمنا " أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر " (تيطس ٢ : ١٢) .

فضلا عن ذلك ، فإن الطبيعة الروحية التي حصل هؤلاء المؤمنون من الله عليها من شأنها أن تقودهم للقيام بالأعمال الصالحة بكثرة ووفرة . وإذا قصروا مرة فى شيء من هذه الأعمال ، فإنهم لا يشعرون براحة أو سلام . ولذلك يحاولون جهد الطاقة أن يقوموا بالأعمال المذكورة لكي يريحوا ضمائرهم، وقبل كل شيء لكي يمجدوا الله الذي أحبهم واكرمهم . وقد أشار الرسول إلى أن المؤمنين الحقيقيين طبعوا على القيام بالأعمال الصالحة فقال لهم " مخلوقين فى المسيح يسوع ١٠: ٢ لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (افسس

مما تقدم يتضح لنا أن حقيقة عدم تعرض المؤمنين الحقيقيين للهلاك الأبدي لا تشجعهم على السلوك في حياة الشر أو الإهمال في عمل الخير . فهم يشبهون من هذه الناحية الزوجة المسيحية الأصيلة التي مع علمها أن زوجها التقي لا يمكن أن يطلقها أو يهجرها ، لا يخطر ببالها مطلقا أن تسيء إليه أو تتهاون فى شيء من شؤونه . اما اذا كان هناك إنسان يستغل هذه الحقيقة في عمل الشر أو التهاون في عمل الخير ، فإنه لا يكون مؤمنا حقيقيا بل مؤمنا بالاسم ، والإيمان بالاسم لا وزن له ولا قدر عند الله ، إذ أنه هو وعدم الإيمان سواء .

٢ - اذا كان المؤمنون الحقيقيون قد حصلوا من الله على طبيعة روحية ، فلماذا يسقطون أحيانا فى الخطية مثل غيرهم من الناس ؟

الرد : إن المؤمنين الحقيقيين بحصولهم على الطبيعة الروحية ، لا تتلاشى الطبيعة العتيقة منهم ، ومن ثم فإنهم يتعرضون للسقوط في الخطية إذا لم يسلكوا بالروح ، ولذلك قال لهم الرسول " اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون " (١) (غلاطية ٥ : ١٦ و ١٧) ٠ لكن مع كل ، فإنهم يختلفون كل الاختلاف عن غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم إزاء الخطية ، لأنهم اذا سقطوا فيها مرة لسبب ما ، لا يطيقون البقاء فيها ، ومن ثم يسرعون الى النهوض منها والعودة إلى حياة الشركة مع الله والطاعة له . مثلهم في ذلك (إن جاز التشبيه) مثل الابرة المغناطيسية التي إذا انحرفت عن اتجاهها الأصلي لسبب ما ، سرعان ما تعود بطبيعتها الى مركزها الأول. أو مثل الحملان التي إن سقطت في الوحل مرة ، لا يحلو لها البقاء فيه لحظة واحدة ، بل تنهض بكل

سرعة وتنفض ما علق بها منه .

٣- لماذا لا يخلص الله المؤمنين الحقيقيين من الطبيعة العتيقة ،لكي يجنبهم السقوط في الخطية ؟

الرد (ا) لو خلصهم الله من هذه الطبيعة ، لما أصبحت لهم ارادة في الامتناع عن الشر أو القيام بالخير ، وبذلك يكونون أقرب إلى الآلات الصماء التي تقوم بأعمالها دون وعى أو إدراك ، منهم الى الكائنات العاقلة التى تقوم بأعمالها بإرادة حرة طليقة . ولما كان الله لا يريد أن تحيا معه مثل هذه الآلات ، كان من البديهي أن يترك الطبيعة العتيقة في هؤلاء المؤمنين لكي، يظهروا عمليا، مقدار كراهيتهم للخطية ورغبتهم في القيام بالأعمال الصالحة في العالم الحاضر .

(ب) فضلا عن ذلك فإن بقاء الطبيعة العتيقة في المؤمنين الحقيقيين يدعوهم الى السهر وكثرة الصلاة ، الأمر الذي يسمو بنفوسهم ويؤهلها الزيادة التمتع بالله والاستعداد لعمل مشيئته في هذه الحياة . فإذا أضفنا إلى ما تقدم، أن الله لم يتركنا لذواتنا ، بل وهب لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة ، اللذين بهما قد لنا المواعيد العظمى والثمينة ، لكى نصير بها شركاء الطبيعة الالهية وهب الأدبية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة (٢ بطرس ١ : ١ - ٤) ، لا يبقى لأحدنا شكوى من جهة بقاء الطبيعة العتيقة فيه بعد الإيمان .

٤ - كيف يكون المؤمنون الحقيقيون مقبولين لدى الله ، وهذه الطبيعة لا تزال تكمن في نفوسهم، وتصدر منها أحيانا أعمال لا تتوافق مع قداسة الله وكماله ؟

الرد (ا) ان المسيح باتخاذه مركز النيابة عنا ، اعتبر السلب الذي نفذ فيه فعلا أنه نفذ فينا) أو بالحرى فى طبيعتنا العتيقة الخاطئة) شرعا ، فقد قال الرسول ان انساننا العتيق قد صلب معه (أي مع المسيح) واننا متنا معه (رومية ٦ : ٦، ٧) . وبما أننا صلبنا مع المسيح ومتنا معه شرعا ، نكون قد خلعنا شرعا جسم خطايا البشرية (كولوسى ٢ : ١١ - ١٣) ، ومن ثم لا يكون له وجود أمام الله بالنسبة لنا نحن المؤمنين (١) .

(ب) فبقاء الطبيعة العتيقة ، فينا لا يجعلنا إذا في مقام خطاة مذنبين (١) . ولا يقلل من مركزنا كأشخاص مبررين ، لأن الله لا يعود ينظر الينا فى ذواتنا بل فى المسيح ، أو بالحرى بالنظرة التي ينظر بها إليه . فمكتوب " وكما هو السماوي ، هكذا السماويون أيضا " (٢ كورنثوس ١٥ : ٤٨) ومكتوب " لأنه إن كنا قد

صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير ايضًا (متحدين معه) بقيامته " (٢) (رومية ٦ : ١٥) . ومكتوب " وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح" (أفسس :٦،٥) - هذا هو مقامنا الذي يرانا فيه الله منذ ايماننا بالمسيح وهر مقام ثابت الى الأبد لأنه متعلق بالمسيح الثابت في ذاته ومقامه الى الابد .

فاتحادنا بالمسيح ووجودنا فيه أمام الله هو اذا أساس كل بركة لنفوسنا، ولذلك قال الوحي إن الله باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح ، وأنه اختارنا فيه قبل تأسيس العالم ، وأننا نلنا فيه نصيبًا (أفسس ١ : ٣ - ١٩) : كما صرنا فيه قديسين ، وأن الله أجلسنا فيه السماويات (أفسس ٢ : ٦) . ولايضاح أهمية كلمة " في" ، الواردة هذه العبارات نقول : إذا أتانا انسان مصابة يده (مثلا) بقروح خبيثة ، فإننا لا نطيق النظر إليه، لكن إذا أتانا مرتديا قفازا (جونتي)، فإننا لا ننفر منه على الإطلاق . لماذا ؟ طبعا لأننا لا نرى شيئا من قروحه بسبب وجود يده في القفاز . وهكذا الحال معنا منذ إيماننا بالمسيح ، فإننا لا نبدى أمام الله فى خطايانا، بل نبدو أمامه فى المسيح ، ولذلك يرانا فيه كاملين كل الكمال.

(ج) مما تقدم يتضح لنا أن شخصيتنا القديمة كأولاد آدم أو الإنسان العتيق ، تلك الشخصية التي تفرض علينا الدينونة بسبب الخطية الأصلية والخطايا الفعلية ، قد خلعها الله عنا شرعًا في صليب المسيح (لأن المسيح في نعمته الغنية قبل على نفسه هذه الشخصية ، واحتمل كمل عارها ولعنتها وقصاصها نيابة عنا) وألبسنا عوضًا عنها شخصية المسيح الكريمة الكاملة . فقد قال الرسول " خلعتم العتيق " (كولوسى ٣ : ٩) ، ولبستم المسيح " (غلاطية ٣ : ٢٧) ، ولذلك فنحن مع بقاء الطبيعة العتيقة فينا ، مقبولون أمام الله قبول المسيح أمامه ، ليس لأننا في ذواتنا مثله بل لأننا موجودون أمام الله في شخصه.

ه - لكن الا تتلاشى هذه الطبيعة بأى وسيلة من الوسائل ، حتى نضمن عدم التعرض للخطية ؟

الرد : (ا) كلا انها لا تتلاشى على الإطلاق، بل تظل كما هي فينا جنبا الى جنب مع الطبيعة الجديدة طالما نحن فى العالم الحاضر ، ولذلك إذا أهملنا مرة فى الصلاة أو فى حفظ أنفسنا تحت تأثير كلمة الله ، تظهر الطبيعة العتيقة فينا بكل شرورها (اقرأ مثلا : ٢ صموئيل ١١) . فمثل الطبيعة العتيقة والحالة هذه ، مثل طبائع الوحوش المفترسة تماما ، فانه وان كان من الممكن ترويضها وتهذيبها ، غير أنها تظل كما هي بكل غرائزها ، ولذلك تنقض أحيانا على مروضيها أنفسهم وتفتك بهم . وكل ذلك مصداق لقول الوحي " المولود من الجسد ، جسد هو "

(يوحنا ٢ : ٦) . لكن التجديد الوارد ذكره فى الكتاب المقدس : ليس خاصا بالطبيعة العتيقة بل الجديدة ، فمكتوب " ان خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه ، (كو ٣ : ٩ ، ١٠) فالطبيعة الجديدة وحدها هي التي تتجدد بتأثير الروح القدس فيها ، وبذلك ينمو المؤمنون فى معرفة الله ، ويزدادون اقترابا منه وتوافقا معه يوما بعد يوم .

(ب) أما الذين يقولون انهم بلغوا القداسة المطلقة في العالم الحاضر ، وأن الطبيعة العتيقة تلاشت منهم تماما بمجرد إيمانهم ، فإنهم في الواقع يخلطون بين التقديس الشرعى (أو الاكتسابي) وبين التقديس العملي، مع أن الأول يختلف عن الثاني كل الاختلاف كما ذكرنا في الفصل الثاني . ومع كل فهؤلاء الناس (كما نعلم جميعا) يخطئون أحيانا بالقول والفعل مثل غيرهم من المؤمنين ، ولكنهم يعللون خطأهم هذا بأنه سطحي لا أصل له فى نفوسهم . غير أنه مهما كانت دعواهم ، فإن مجرد صدور هذا الخطأ منهم ، دليل واضح على بقاء الطبيعة العتيقة فيهم ، اعترفوا بهذه الحقيقة أم لم يعترفوا .... واننا بقولنا هذا لا نقلل طبعا من شأن القداسة العملية ، أو نحول نظر أحد عن السعى بكل قوته إليه ، بل ننير على وجوب الحذر من الطبيعة العتيقة ، وذلك بالابتعاد عن كل شر وشبه شر وبحفظ النفس تحت تأثير الله في كل حين .

٦- لماذا يجربنا الله ، وهو يعلم أنه لبقاء الطبيعة العتيقة فينا ، كثيرا ما نسقط فى الخطية إذا تعرضنا لها ؟

الرد : إن الله لا يجرب أحدا بالخطية ، فقد قال الوحي " لا يقل أحد إذا جرب ، أنى أجرب من قبل الله ، لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحدا . ولكن كل واحد يجرب ، إذا انجذب وانخدع من : شهوته، ثم الشهوة اذا حبلت تلد الخطية ، والخطية إذا كملت تنتج موتا" ، (يعقوب ١ : ١٣ - ١٥) . فنحن إذا بانقيادنا أحيانا وراء أهوائنا ، ندخل أنفسنا فى التجربة ، ولذلك يكون اللوم علينا وحدنا.

٧- إذا كانت الطبيعة العتيقة لا تنزع منا طالما نحن في هذا العالم ، فكيف يكون هناك مجال للنصرة التامة على الخطية ؟

الرد : (ا) هناك مجال واسع لهذه النصرة ، لكن ليس بقوتنا الذاتية بل بقوة

المسيح العاملة فينا ، فقد قال الرسول " يعظم انتصارنا بالذي أحبنا " (رومية ٨ : ٣٧) ، كما قال أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني " (فيلبي ٤ : ١٣) . ولكى نتمتع بقوة المسيح ، علينا أن نحسب أنفسنا أولا أمواتا عن الخطية ، فقد قال الرسول - احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا - اذا لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ، ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، أعضاءكم آلات بر لله فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة " (رومية ٦ : ١١ - ١٤) . اذا فان الناموس يطلب القداسة دون أن يساعد على بلوغها ، أما النعمة فتساعد على بلوغها كل المساعدة .

(ب) فنحن يجب أن نحسب أنفسنا أمواتا عن الخطية لأن الله حسبنا أمواتا عنها (١) هذه حقيقة إلهية راسخة (مثل حقيقة حصولنا على الحياة الأبدية بواسطة كفارة المسيح) ، يجب أن نؤمن بها وأن نحيا بقلوبنا فيها ، وبذلك لا يمكن للخطية أن تثيرنا (لأنها لا تثير الموتى) ، وبالتبعية لا يمكن أن تحرمنا من التمتع بحياة المسيح فينا في أي وقت من الأوقات، والرسول الذي اختبر هذه الحقيقة قال مرة "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا في " (غلاطية ٢ : ٢٠) . والحق ما أهم حياة امانة الطبيعة العتيقة وما أسماها ، لأنها حياة الراحة الكاملة من الخطية وأهوائها . وفى حياة مثل هذه يصفو الجو الروحي أمام النفس تماما ، فتصلى لله كثيرا ، وتفرح به كثيرا ، وتخدمه كثيرا ، ومن ثم تنمو كثيرا وتتبارك كثيرا .

(١) ان كل امتياز حصلنا عليه من الله يصحبه واجب علينا القيام به . فيما أن الطبيعة العتيقة التى فينا ، قد ماتت أمام الله فى صليب المسيح شرعا (رومية ٦ : ٨ ، كولوسى ٢ : ٣٠ ، ٣ : ٣) ، يجب أن نموت نحن عن الخطايا فعلا (١ بطرس ٢ : ٢٤) . وكما خلعنا جسم الخطايا بصليب المسيح أمام الله شرعا (كولوسى ٣ : ٩ ، ٢ : ١٩) ، يجب أن نخلع بأنفسنا الإنسان العتيق الفاسد مع أعماله فعلا (أفسس ٤ : ٢٢ و رومية ١٣ : ١٢) . وكما لبسنا المسيح أمام الله شرعا (غلاطية ٣ : ٢٧ ، كولوسى ٢ : ١٠) ، يجب أن نلبسه في سلوكنا فعلا (رومية ١٣ : ١٤ وكما قمنا مع المسيح وجلسنا معه فى السماويات شرعا (أفسس ٢:١٦) يجب أن تكون سيرتنا في السماويات فعلا (فيلبي ٣ : ٢٠) ، وذلك لكى يكون سلوكنا متفقا مع مقامنا كل الاتفاق . فما أشبهنا والحالة هذه بأشخاص كانوا فقراء فأصبحوا أغنياء ، فإنهم لا يحيون بعد حياة الذل والهوان ،

بل حياة السمو والرفعة.

أما الذين يحاولون النصرة على الخطية باضعاف أجسادهم المادية عن طريق الزهد والتقشف، فإن يخطئون السبيل إلى النصرة للأسباب الاتية : (١) أن الخطية ليست في الجسد بل في النفس ، إذ أن يد السارق (مثلا) لا تختلف في تركيبها الجسماني عن يد الأمين في شيء ، إنما الفرق بينهما هو أن نفس الأول غير أمينة ، أما نفس الثاني فأمينة . (٢) أن محاربتنا للخطية بقوتنا الذاتية دليل على أننا نقف أمامها موقف الأحياء بالنسبة لها ، والحال أنه يجب أن نقف أمامها موقف الموتى الذين لا تربطهم بها علاقة ما . فضلا عن ذلك فان هذه المحاربة تكون في الواقع ضرب من الخداع الذي لا يجدي كثيرا ، لأن الخطية التي نحاربها تميل اليها نفوسنا، ونفوس تميل بطبيعتها الى الخطية لا تستطيع أن تحارب الخطية باستمرار محاربة جدية . (٣) كما أن محاربتنا للخطية بقوتنا الذاتية ، وإن أدت بنا إلى النصرة عليها يوما ، غير أن نصرة مثل هذه لا تكون في الواقع نصرة بالمعنى الحقيقى ، لأننا لا نحصل عليها إلا بعد أن نكون قد وقفنا أمام الخطية فترة من الزمن ، وفي هذه الفترة تكون الخطية قد تسربت الى عقولنا وقلوبنا ولو الى حد ما . (٤) أخيرا نقول أن تعذيب الجسد بواسطة الزهد والتقشف بغية النصرة على الخطية ، هو إنكار لقوة المسيح العاملة فينا وعودة الى الأساليب الوثنية (١) التى لا تجدي ولا تنفع ، لذلك فالسبيل إلى النصرة (كما أعلن الوحي) هو اعتبار أنفسنا أمواتا عن الخطية، لكي تظهر حياة المسيح في جسدنا المائت (٢ كورنثوس ٤ : ١١) ، أو بالحرى الذي في حكم المائت .

٨- ما موقف الله إزاء مؤمن حقيقى يسقط في الخطية ولا ينهض للتو منها ؟

الرد : ان الله يستخدم كل الوسائل لهدايته وإعادته إليه ، وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد واختبارات الحياة ، لأنه (أي هذا المؤمن) هو من أولاده الذين ولدهم مرة ثانية لرجاء حي (١ بطرس ١ : ٣) ، وتعهد المسيح برعايتهم والعناية بهم فى هذا العالم (يوحنا ١٠ : ١٤ ـ ١٨) . وداود النبي الذي اختبر هداية الله له بعد الانحراف ، قال مرة عنه " يرد نفسي يهديني الى سبل البر من أجل اسمه " (مزمور ٢٣ : ٤) ٠٠ كما أننا إذا تأملنا معاملة المسيح مع تلاميذه، نرى أنه لما سقط بطرس في خطيته المعروفة ، لم يتركه المسيح وشأنه لكي يستمر في زيغانه ، بل أيقظ ضميره بنظرته الثاقبة الفاحصة ، فأحس بطرس بشناعة خطيته وبكى من أجلها بكاء مرا (متى ٢٦ : ٧٥) وليس هذا فقط ، بل أن المسيح في نعمته الغنية لم يهمل بطرس أو يقصيه عن باقي التلاميذ ، بل أعاده الى

نفس المركز الذى كان يشغله بينهم قبل سقوطه (يوحنا ٢١ : ١٧) .

٩ - ما موقف الله إزاء مؤمن يعيش فى الخطية على الرغم من استخدام الوسائل اللازمة لهدايته ؟

الرد : المؤمن الحقيقي لا يعيش فى الخطية ، لأنها تتعارض مع الطبيعة الروحية التي نالها من الله كما ذكرنا فيما سلف . لكن إن استمر مؤمن في عمل الخطية لسبب من الأسباب ، فإن الله ينزل به ما يراه مناسبا من التأديب حتى يثوب الى رشده ويقلع عن خطيته . وهذا التأديب قد يكون مرضا أو ضيقا أو خسارة أو .... أو ... فقد قال الرسول : لو كنا حكمنا على أنفسنا (وسرنا فى خوف الله) ، لما حكم علينا لكن ان قد حكم علينا نؤدب من الرب (١ كورنثوس ١١ : ٣٢) . وقال أيضا "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل ابن يقبله .. فأي ابن لا يؤدبه أبوه ؟ " (عبرانيين ١٢ : ٦ ، ٧) . وتأديب الرب للمؤمنين ليس بالأمر الهين فقد قال النبي لله عنه " بتأديبات ان ادبت الانسان ، افنيت مثل العث مشتهاه " (مزمور ٣٩ : ١١) ، لأنه مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحي (عبرانيين ١٠ : ٣١) .

وهذا التاديب قد يستمر ، حتى بعد أن يغفر الله الخطية التي استلزمت التأديب ، فداود (مثلا) نال من الله غفرانا عن خطيته (٢ صموئيل ١٢ : ١٣) ، ومع ذلك فان سيف التأديب لم يفارق بيته (١٢ : ١٠) - لكن يجب ألا يغيب عنا ان غرض الله من التأديب ليس هو الانتقام من المؤمنين الذين يخطئون (لأن النقمة حملها المسيح بأكملها نيابة عنهم على الصليب) ، بل رد نفوسهم إليه بتنقيتهم من كل عيب وشر . وما يعمله الله مع المؤمنين بالتأديب ، هو ما يعمله الصائغ بما لديه من ذهب فإنه يسلط عليه النار لا لكى يتلفه أو يحرقه ، بل لكي يطهره وينقيه من كل زغل ولذلك قال الرسول عن التأديب أنه للمنفعة لكي تشترك في قداسة الله (عبرانيين ١٢ : ١٠ و ١١) ، والنبي الذي عرف فائدة التأديب قال لله مرة أدبني يارب . (ارميا ١٠ : ٢٤) . ونحن نشكر الله لأجل ما يوقعه علينا من تأديب، كما نشكره لأجلها يسديه إلينا من احسان: لأنه لا يسرنا فقط أن تكون لنا حياة أبدية بفضل كفارته ، بل يسرنا أيضا أن تشترك معه في قداسته باى وسيلة من الوسائل . ١٠ - ماذا يفعل الله لمؤمن حقيقى لا يتوب عن الخطية على الرغم من هذا التأديب ؟

الرد : ان كان هناك مؤمن مثل هذا ، فإن الله يضاعف عليه التأديب . وان استمر

بعد ذلك فى خطيته، ينتزع الله حياته من الأرض انتزاعا. فقد قال الرسول للكورنثوسيين الذين استهانوا بمائدة الرب من أجل ذلك فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون (أى يموتون) (١ كورنثوس ١١ : ٣٠) . كما قال لهم عن المؤمن الذي في ساعة من ساعات الطيش ارتكب خطية الزنى ، أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد (أى لموته أشر ميتة)، (١ كورنثوس ٥:٥)

- كيف لا يدان هؤلاء المؤمنون وأمثالهم في الأبدية ، مثل غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم ؟ .

الرد : بما أن النجاة من الدينونة ليست متوقفة على الأعمال الصالحة التي نقوم بها ، بل متوقفة على كفارة المسيح ، لأن هذه الكفارة هي التي وقت كل مطالب العدل الإلهي . وبما أن العدل الالهى لا يطالب بحقه مرتين ، اذا فهؤلاء المؤمنون لا يدانون فى الأبدية بفضل كفارة المسيح . ولذلك قال الرسول عن الغرض من إهلاك جسد المؤمن السابق ذكره تحت التأديب " لكي تخلص الروح (أى روح هذا المؤمن) في يوم الرب يسوع " (١ كورنثوس ٥ : ٧) . وعن الغرض من تأديب المؤمنين الذين استهانوا بمائدة الرب " لكي لا يدانوا العالم " (١ كورنثوس ١١ : ٣٠) . وقديما قال الله عن سليمان " أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا . ان تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم ، ولكن رحمتي لا تنزع منه " (٢ صموئيل ٧ : ١٤) .

أما الإنسان الذى لا يعرف أعماق الطبيعة العتيقة وما يكمن فيها من شر فيعترض قائلا [لماذا لا يهلك الله الى الأبد كل المؤمنين الحقيقيين الذين يخطئون خطايا شنيعة ، كما يفعل مع غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم !] وللرد على ذلك نكتفى بالقول : إذا رجعنا الى الكتاب المقدس ترى أن داود النبى (مثلا) قد ارتكب خطيتى الزنى والقتل، ومع ذلك رحمه الله وأعاده الى علاقته الأولى معه ، وهذا هو ما يفعله تعالى مع كل المؤمنين الحقيقيين الذين يخطئون - واننا بقولنا هذا لا نشجع طبعا على عمل الشر أو نبيحه لأنفسنا أو لغيرنا ، ولكن تعظم نعمة الله التى ترثى لنا وتعطف علينا . وان كانت تسمح بحلول التأديب علينا في الزمن الحاضر ، فإنما اكى تجنبنا العذاب الأبدي الذي لا نهاية لهوله .

١٢- كيف يستطيع المؤمنون الذين أخطئوا في هذا العالم ، ان يتمتعوا بالله في الأبدية دون أن يتحرروا من خطاياهم الفعلية ؟

الرد : إن التحرر من هذه الخطايا، بمعنى القضاء عليها والاعتزال عنها ، يكون بواسطة وضع النفس تحت تأثير كلمة الله ، فهي أمضى من كل سيف ذى حدين

وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته (عبرانيين ٤ : ١٢) ، وقادرة بقوة الله على القضاء على كل شر دفين فى النفس ، والذين لا يقضون على أعمال الخطية بكلمة الله فى الوقت الحاضر ، يطهرهم الله منها رغما عنهم بالتأديب السابق ذكره . ومع كل فنظرا لأن المؤمنين الحقيقيين جميعا حصلوا على طبيعة روحية تتوافق مع الله بالولادة الثانية منه ، ونظرا لأنهم بانتقالهم من العالم الحاضر يخلعون فعلا الطبيعة العتيقة التي تجنح بهم الى الخطية ، لذلك لا يبقى هناك ما يمنعهم من التمتع بالله في الأبدية.

١٣ - اذا كان المؤمنون الذين يسقطون فى خطايا شنيعة، سيتمتعون بالله في الحياة الأبدية ، يكون الله قد أحسن إليهم بانتزاعهم بالموت من هذا العالم، ولا يكون قد أدبهم أو عاقبهم كما يكون قد وضعهم جنبا الى جنب مع المؤمنين الذين يحفظون أنفسهم بعيدا عن الخطية ويجتهدون في خدمته واكرامه ، بما يقومون به من الأعمال الصالحة !! .

الرد (ا) هناك فرق كبير بين مؤمنين ينتقلون من هذا العالم بعد أن يكونوا قد تمموا رسالتهم فيه ، وبين مؤمنين آخرين ينتزعون منه قبل أن يتمموا رسالتهم . والفريق الأول يشبه ضباط الجيش المجتهدين الذين يظلون في خدمة بلادهم ، حتى تنتهى مدتهم القانونية ويحصلوا على أسمى الدرجات المقدرة لهم . والفريق الثاني يشبه الضباط المهملين الذين يحالون الى الاستيداع قبل نهاية المدة القانونية ، ولذلك لا يتسع المجال أمامهم للحصول على كل الدرجات التى كان من الممكن أن يحصلوا عليها ، لو كانوا مجتهدين فى عملهم مثل زملائهم السابق ذكرهم . وإذا كان ذلك كذلك ، لا يكون الله قد أحسن الى المؤمنين الذين أهملوا في حياتهم الروحية بانتزاعهم من هذا العالم ، بل يكون قد أدبهم كثيرا .

(ب) فضلا عن ذلك فإن الله سيكافئ المؤمنين الذين حفظوا أنفسهم من الخطية واجتهدوا في خدمته وإكرامه . فقد قال الوحي " إن بقي عمل أحد قد بناه عليه (أي على الإيمان بالمسيح) فسيأخذ أجرة ، (١ كورنثوس ٣ : ١٤) - والأجرة هذه ستكون طبعا بالاضافة الى الحياة الأبدية ، لأن الحياة الأبدية هبة مجانية من الله على أساس كفارة المسيح، وليست أجرة عن عمل صالح (رومية ٦ : ٢٣) ، أما الذين أخطئوا ولم يكرموا الرب فى حياتهم كما يجب، وإن كانوا سيتمتعون بالحياة الأبدية بفضل كفارة المسيح مثل غيرهم من المؤمنين ، لكنهم سيخسرون الأجرة السابق ذكرها . فقد قال الوحي " وإن احترق عمل أحد فسيخسر (أى سيخسر الأجرة)، أما هو فسيخلص أى سيخلص من الدينونة الأبدية (ولكن

خلاص هذا المؤمن يكون) كما بنار " (١ كورنثوس ٣ : ١٥) ، أى كخلاص شخص شبت النار في بيته فأحرقت كل ما لديه أما هو فنجا بنفسه فحسب، كما كانت الحال مع لوط قديما (تكوين ١٩ : ٢) .

١٤- إن بعض الذين كانوا يواظبون على الصلاة والصوم والوعظ والإرشاد، انغمسوا فى الخطية وأصبحوا من أشر الخطاة ، ومع ذلك لم تر الله قد وقع عليهم تأديبا ما ، الأمر الذي يدل على أن المؤمنين الحقيقيين يمكن أن يرتدوا وأن يهلكوا بعد ذلك في جهنم الى الأبد !!

الرد : إن الأساس الذي نبني عليه إيماننا ، ليس هو ما نراه بعيوننا بل ما يعلنه الله لنا في كتابه . وبما أن الله يعلن لنا في هذا الكتاب أن المؤمنين الحقيقيين لن يهلكوا الى الأبد . اذا فلا داعي للجدال أو المناقشة فى هذا الموضوع . لكن لكي لا ندع مجالا للشك أمام أى انسان من جهته نقول ، كما قلنا فيما سلف ، أن المؤمن الحقيقي ليس هو من يقول عن نفسه أو يقول عنه غيره انه مؤمن حقيقى ، بل هو ما يقوله الله عنه أنه كذلك . لأن الشيطان يمكن أن يغير شكله الى شبه ملاك نور فيظن بعض الناس أنه ملاك بينما هو الشيطان بعينه (٢ كورنثوس ١١ : ١٤) . وعلى هذا النسق هناك أشخاص يعيشون بين المؤمنين كمؤمنين ، ولكنهم ليسوا بمؤمنين ، فقد قال الرسول عن أمثالهم " منا خرجوا ، لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا " (١ يوحنا ٢ : ١٩) ، لذلك يجب ألا يزعزع أمر من الأمور ايماننا من جهة عدم تعرض المؤمنين الحقيقيين للهلاك الأبدي.

١٥ - اليس الاعتقاد بعدم هلاك المؤمنين الحقيقيين جرأة تتعارض مع التواضع الذي يجب أن يتصفوا به ؟!

الرد : نظرا لأن عدم هلاك هؤلاء المؤمنين لا يتوقف على أعمالهم أو سلوكهم بل يتوقف أولا وأخيرا على كفارة المسيح وحدها ، لذلك فان هذا الاعتقاد لا يبعث الى نفوسهم بشيء من العجب والكبرياء ، بل بالعكس يملؤهم بالاتضاع والخشوع، ويدعهم أن يفتخروا ألا يفتخروا بأنفسهم بل بالرب دون سواه (٢ كورنثوس ١٠ : ١٧) . ولقد صدق أحد الكتاب الارثوذكس في قوله " لا شيء يأتي بالإنسان الى احساس التواضع مثل ارتباطه بعمل الرب الفادي .. (لأن) فى ظل الفداء وعمل نعمة الله الغنية يحني الإنسان هامته ليعطى المجد والكرامة لفاديه الحبيب (١) ، أما المتكبرون فهم الذين يفتخرون بالأعمال التي يدعونها

صالحة ، ويعتقدون أنهم أهل بها للحياة الأبدية دون غيرهم من الناس ، الذين لا يأتون مثل هذه الأعمال ، كما كانت الحال مع الفريسي الوارد ذكره في (لوقا ١٨ : ١٠) .

١٦- ان كان المسيح خلص المؤمنين من كل قصاص الخطية ،فلماذا يموتون الموت الجسدى مثل غيرهم من الناس ؟

(ا) إن المؤمنين يتعرضون للموت الجسدى ، لأن أجسادهم مثل أجساد غيرهم من الناس، أصبحت بسبب الخطية معرضة للضعف والمرض والموت. وكان من الممكن أن يغير الله أجسادهم وهم على الأرض الى أجساد غير قابلة لهذه الأعراض ، عندما آمنوا بالمسيح وقبلوه ، لولا أنهم أصبحوا بالإيمان شعبا سماويا لا أرضيا (أفسس ١ : ٣ ، فيلبي ٣ : ٢٠) ، والشعب السماوى موطنه في السماء وليس على الأرض ، وحياته بالروح وليس بالجسد ، فضلا عن ذلك فإن بقاءهم في العالم الحاضر يسبب لنفوسهم آلاما متعددة بسبب الشرور الكثيرة التي تحيط بهم فيه . ولذلك قال الوحي أنه من وجه الشر يضم الله إليه الصديقين (إشعياء ٥٧ : ١) ، بعد أن يتمموا رسالتهم في هذا العالم . (ب) ومع كل فالموت ليس هو الوسيلة الوحيدة التي تنتهى بها حياة المؤمنين الحقيقيين من الأرض ، فهناك من انتقلوا الى السماء دون أن يذوقوا الموت مثل أخنوخ وإيليا (تكوين ٥ : ٢٤ ، ٢ ملوك ٢) . وهناك من سينقلون أيضا إليها دون أن يذوقوه . مثل المؤمنين الحقيقيين الذين سيكونون أحياء على الأرض عند مجيء المسيح في المرة الثانية فقد قال الرسول " هوذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ، ولكن كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين . عند البوق الأخير . فانه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير (١)، لأن هذا (الجسد) الفاسد (أي الذي فسد بالموت) لا بد أن يلبس عدم فساد . وهذا (الجسد) المائت (أى القابل للموت) ، لا بد أن يلبس عدم موت ، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ، وهذا المائت عدم موت ، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع (أو تحول) الموت إلى غلبة (ولذلك سينادى المؤمنون قائلين) أين شوكتك يا موت . أين غلبتك يا هاوية " (١ كورنثوس ١٥ : ٥١ ـ ٥٥)

(ح) ونظرا لأن الموت الحاضر بالنسبة الى المؤمنين لم يعد موتا بل أصبح انتقالا الى المجد ، لذلك صاح أحدهم قائلا " لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدا ، لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح " (فيلبي ١ : ٢١ ـ ٢٤). وأيضا " لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي . (أى

أجسادنا الأرضية المؤقتة) فلنا في السماء بناء من الله (أى الجسد الممجد) غير مصنوع بيد أبدي · فنثق ونسر بالاولى أن نتغرب عن الجسد (أى ننتقل من هذا العالم ونستوطن عند الرب) ، (٢ كورنثوس ٥ : ١ - ٨) . ومن ثم فالموت بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين يكون رقادا ، أو ، نوما " (يوحنا ١٢ : ١١) ، لأنهم يقومون بعده إلى حياة سعيدة بأجساد ممجدة مثل جسد المسيح نفسه كما ذكرنا ، ولذلك فانهم لا يخشون الموت ولا ما بعد الموت .

فما أسعد المؤمنين في حياتهم ، وما أسعدهم في موتهم ، وما أسعدهم أيضا بعد موتهم . ولكن الفضل وكل الفضل في هذه السعادة يرجع إلى إله كل نعمة (١ بطرس ٥ : ١٠) ، له المجد والقدرة والعظمة والسلطان الى أبد الآباد.

---

(١) اقرأ الترجمة العربية للكاثوليك ، وأية ترجمة أخرى باللغات الأوروبية

(١) ولذلك يجب ألا يكون له أي وجود في نظر ايماننا أيضا ، لأنه ليس هناك أي مبرر يدعونا الى اعتباره موجودا أمامنا ، ما دام الله قد ازاحه من أمامه الى الأبد في صليب المسيح.

---

(١) لايضاح حقيقة وجود الخطية فينا وليس علينا ، قال بعض الشراح أن المسيح عندما كان معلقا على الصليب كانت الخطية عليه (لأنه رضي أن يحملها على

نفسه عوضا عنا) ، لكنها لم تكن فيه (لأنه قدوس في ذاته كل القداسة) . واللص الذي لم يؤمن بالمسيح كانت الخطية فيه (لأنه كان خاطئا بالطبيعة والفعل) وكانت أيضا عليه (لأنه رفض المسيح) . أما اللص الذي آمن بالمسيح (والذي يمثلنا نحن المؤمنين) ، فان الخطية كانت فيه مثل اللص السابق تماما (لأنه كان خاطئا بالطبيعة والفعل مثله (ولكنها لم تكن عليه) لأنها حسبت على المسيح بسبب إيمان هذا اللص به) - وما دام قد رفع الخطية عن المؤمنين بفضل كفارة المسيح ، فإنه لا يعود ينظر اليها فيهم كأنها جريمة تستلزم قصاصا ، بل كأنها مرض يستلزم علاجا . والواقع يؤيد هذه الحقيقة كل التأييد ، لأن المؤمنين الحقيقيين يكرهون الخطية ، وان سقطوا فيها مرة لا يطيقون البقاء فيها ، بعكس الاشرار تماما كما ذكرنا

(٢) مما تجدر ملاحظته في هذه الآية ، أنها وان كانت تقول " اننا صرنا متحدين مع المسيح بشبه موته " ، لكنها تقول بعد ذلك " اننا نصير متحدين معه بقيامته " بدون كلمة " شبه ". ويرجع السبب في ذلك إلى أن المسيح فى نعمته الغنية لم يشأ أن يشركنا فعلا فى موته ، لكنه أشركنا فعلا في قيامته ومجده . فعند الصليب احتمل وحده كل قصاص الخطية وعارها ولعنتها ، لكن عند القيامة أشركنا معه فى كل أمجاده - وهذا ما يفعله كل أب كريم ، فإنه يتحمل الآلام وحده ، ولكنه يشرك أبناءه معه فيما يناله من سؤدد ومجد .

---

(١) فطبقة الزهاد بين الوثنيين الذين يطلق عليهم اسم " الفقراء" ، يصومون اياما كثيرة ، ويعذبون اجسادهم بطرق متنوعة . فيمشون على المسامير ويحرقون بعض أجزاء من أجسامهم أو يقطعونها ، ظنا منهم أنهم بهذه الوسائل يمكنهم القضاء على الخطية الكامنة فيهم ، ولكن لن يتحقق ظنهم بالوسائل المذكورة على الإطلاق ، لأن الخطية ليست في الجسد بل في النفس.

---

(١) مقالة للدكتور راغب عبد النور ، فى مجلة الكرازة الصادرة في فبراير سنة ١٩٦٦ .

---

(١) وهذا التغيير هو ما يعبر عنه فى الكتاب المقدس في موضع آخر بـ " فداء الجسد " ، الذي تحدثنا عنه في الفصل الثاني.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025 info@arabicbible.com

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA – All rights reserved © 1998 - 2025